



سلسلة تراث كربلا، الثقافي (١٠)

الكتاب الديني

حسن المردی الشیرازی

قامت بإعادة طبعه
شعبة التراث الثقافي والديني
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة



الكتابي الإسلامي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١٤ - ٢١٢٥

IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

مصدر الفهرسة:

BP 230.2.H83 2015

رقم تصنيف LC:

الحسيني الشيرازي، حسن المهدى، ١٣٩٩ هـ ١٣٥٤

المؤلف الشخصي:

الوعي الاسلامي

العنوان:

الوعي الاسلامي: الاقتصاد / تأليف السيد حسن المهدى الشيرازي

بيان المسؤولية:

الطبعة الثانية

بيانات الطبعة:

كريلاء: العتبة الحسينية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية

بيانات النشر:

شعبة التراث الثقافي والديني، ١٤٣٦ هـ = ٢٠١٥ م

[٣٢] صفحة

الوصف المادي:

() قسم الشؤون الفكرية والثقافية - شعبة التراث الثقافي والديني

سلسلة النشر:

يحتوي على هوامش لانحة مصادر (الصفحات ٣١٩ - ٣٢٠)

تبصرة بيليوغرافية:

الاسلام والاقتصاد

مصطلح موضوعي:

الاقتصاد الاسلامي

مصطلح موضوعي:

الاسلام دفع مطاعن

مصطلح موضوعي:

الاسلام والمجتمع

مصطلح موضوعي:

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



رابط بديل

قامت بإعادة طبعه
شعبة التراث الثقافي والديني
في قسم الشورون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

التعريف بشعبية التراث الثقافي والديني

عاشت مدينة كربلاء المقدسة حالة من الإهمال الشديد والمعمد من قبل الأنظمة التي مرت على تاريخ العراق مما أدى إلى ضياع الكثير من الآثار والمخطوطات المهمة وفي الوقت نفسه كان هناك توجهاً إلى نبذ القديم وتركه والتوجه نحو التجديد والحداثة مع نسيان بأنه لا نتيجة للحديث دون الانتباه إلى أهمية القديم بالإضافة إلى خطورة التمييز بين الحداثة وضياع الهوية وهي المصيبة التي وقع بها مجتمعنا وأمتنا، من ذلك العكاوز الغريب حتى ينجدل على الأرض العراء لاصقاً بها لا هو من الأموات ولا من الأحياء.

وبعض الناس اليوم يطالبون بالتحرر ولكن على هدي الأجنبي، وبالتقدم وبقدمي الأجنبي أيضاً، وهذا محقق للذات ووأد للصفات وهدر للكرامات فعلى الأمة أن تبدأ تقدمها من حيث انتهت أوائلها وتنتظر في صحيفة ماضيها للتعرف على مواريثها ثم تأخذ منها قوة الدفع لحاضرها، ولا تجعل من تلك المواريث قيوداً تعيق تقدمها، إذ ليس كل ما يدخل تحت هذا المفهوم يفيد في التطور والتقدير، فلا بد من الانتقاء واختيار ما ينفع وترك ما لا ينفع فيه للأعتبار على أن يبقى في حوزة الأمة ماستفيد منه أيضاً بتلمس الخطأ فيه لتجنبها في مستقبل أيامها.

ونتيجة لهذا فقد تأسست شعبة التراث الثقافي والديني، وذلك من خلال البدء بعملية إحياء تراث المجالات والدوريات والنشرات والكتب التي كانت تصدر في تلك الفترة، لأن الغرض على المستوى البعيد ليس إحياء التراث الثقافي فحسب، بل هي محاولة نشر الآثار التي اندثرت في مدينة كربلاء على مر السنين والتي باتت الحاجة ماسة إلى احيائها في يومنا هذا، لأنها تعكس مدى التطور العلمي والثقافي لتلك المدينة وأثرها في نشر الوعي في تلك المنطقة. فالمشروع وكما ذكرنا لا يشمل فقط طبع المخطوطات بل يضم

إعادة طبع المطبوعات القديمة لمؤلفات علماء وأدباء ومثقفين وغيرهم ليشمل أساتذتهم وتلاميذهم من العلماء حيث ان تلك الفترة كانت تمثل العصر الذهبي للدرسة كربلاء العلمية، عصر ازدهار الدراسة والبحث العلمي وعصر تخرج فحول وأساطين المذهب.

وقد تجلى عميق الخسارة بفقدان الكم الهائل من الآثار العلمية والكتب المهمة بعد سقوط الصنم حيث كان حرق وسرقة المكتبات الشاغل للنظام البائد وزمرته ونتيجة لذلك فقد ضاعت الكثير من المخطوطات والمؤلفات المهمة ليس من مكتبات كربلاء فحسب بل من مكتبات العراق بصورة عامة وعلى أثر ذلك تم التوجه من قبل الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة والمتمثلة بسمامة الامين العام للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبدالمهدي الكربلاوي(دام عزه) وبدعم من مسؤول قسم الشؤون الفكرية والثقافية الشيخ علي الفتلاوي (دام توفيقه) الى محاولة طبع وتنقيح ما تبقى من تلك الكتب او على الأقل توثيقها من خلال جمع وتجليل ما يمكن العثور عليه وحفظه في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة، سواء في مدينة النجف الأشرف أم في مدينة قم المقدسة او في باقي البلدان العربية والاجنبية.

وان ما لا يدرك كله لا يترك جله والمشروع ضخم ، انا آملين المساعدة من يمكن من ذلك ، والتوفيق والتسديد من المولى جل وعلا إنه نعم المولى ونعم النصير.

احسان خضير عباس
شعبة التراث الثقافي والديني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

المبدأ – الذي ينبع منه نظام وعقيدة واجتماع – هو مقياس عظمة الشعب وحضارته وثروته الفكرية والمادية ومدى خلوده ومقاومته للشعوب المناوئة له .. والمبدأ هو شارة الانتصار او الفشل في كل ميدان والمبدأ اعظم ثروة يرثها الجيل من ابائه، ويخلفه لابنائه.

اما الحضارة والثروة المادية والعلمية، فانها تتبع المبدأ في تكوينها وبقائها على تقدير وجودها قبل ذلك.

فالامة التي لها مبدأ صحيح – تسير على ضوئه – تستطيع ان تحفظ بها لديها من حضارة وثروة .. ! حتى ولو اتفقت الظروف المعاكسة ان تعصف بها وتبدد ثروتها، وتدمي حضارتها وتقوض كيانها من القواعد وتكتسح كل غال ورخيص، فسرعان ما تستعيد قواها المسلوبة وتلملم نشاطها المنهوب بتوجيهه من ذلك المبدأ – لتتجدد كيانها، وتهتدي الى حضارتها مرة اخرى فتعود الى مقرها الآمن الوديع حتى ولو ابتدأت الامة بلا حضارة، ولا ثروة مادية أو علمية، فمن الهين عليها – بقيادة المبدأ الصحيح – ان تكون الحضارة والثروة وكل شيء وأن تتخذ البرامج – التي تساعده على التوسيعة والاخضاع، واصهار الشعوب

الآخرى في بوقتها بكل سهولة وبساطة.

كما ان امة الاسلامية في ابتداء بعثة الرسول الاعظم لم تكن تملك حضارة ولا ثروة ولكنها حيث سارت على خطط الاسلام والقرآن حكمت في رب العالمورة وانشأت الحضارة والثروة الهاشتين.

اما الامم التي تدين بمبدأ فاسد فإنها وان سُنحت لها الظروف المؤاتية وفراغ الميدان ان تملك الحضارة والثروة، وتصل الى الاكتشافات العلمية والمخترعات الصناعية.. لكنها ستنتهي في اشواطها الى حروب طاحنة تخسر فيها كل شيء حتى شخصيتها وكيانها.

والتاريخ يحذّنا: ان (الفراعنة) رغم حضارتهم وثرواتهم الزاخرة كيف اندحروا امام النبي العظيم موسى بن عمران وهو يشرح لنا انهزام (بني اسرائيل) تجاه الرسول القدس عيسى بن مریم ...

ويبيّن لنا ان (الفرس) و(الروم) وما شيدواها من حضارة وثروة كانت تلفظ انفاسها الاخيرة في نفس المجازر الشاسعة التي ارصقتها للوقوف في طريق ثورة النبي الاعظم ﷺ .. كما يحذّنا عن فشل المغول و(اللويسين) و(النازيين) وغيرهم من الذين حفل بهم التاريخ وازدهرت الحضارة في وجوههم وزحفت الثروات من اكناف العالم كي تتكدس بين ايديهم .. فلم تغن حضارتهم وامواهم وشعوبهم من واقع الحياة شيئاً ..

وذهب مصيرهم الباكرا عبرة الاجيال.. حيث لم يكن لهم مبدأ صحيح يسيرهم وفق نظام يضمن لهم البقاء والخلود.

أما الاشتراكية، والرأسمالية الديمقراطية، فالاليوم يتوجولان في رحاب الحياة، حيث لا مبدأ يناظرهم الميدان، ولو قدر للاسلام يوماً - كما هو المقدر انشاء الله تعالى - ان يقبح على زمام الامر ويمسك بخيوط المؤامرات التي يحيكونها ضد الشعوب ويعلن للعالم تناقضاتهم وسيئاتهم وما ينطلون عليه من خداع وتشويه للحقائق لرأى الناس ان الاشتراكية والرأسمالية كيف تتضاءلان امامه وتتهافتان على اعتابه .. ثم يبقى تاريخهم اضحوكة القرون ومهزلة المفكهين والمسلمون - اليوم - يملكون اكبر ثروة مفتتة بمحنة ولديهم مبدأ ومناهج لو نفذوها لأجري ثروتهم في مسالك الحياة وشيد لهم حضارة نادرة تنحصر عندها الانظار والافكار - كما جربوه من قبل - غير ان ذلك المبدأ لا وجود له في واقع الحياة وانما هو مذكور في بعض الكتب والصدور .. وسائل المسلمين يعتبرون مسلمين لأنهم يقولون: اشهد ان لا اله الا الله، وآشهد ان محمدأ رسول الله .

اما الافكار الاسلامية، فيعرفونها فلسفة مثالية فارغة ليس عليهم ان يدرسواها، وانما ذلك شأن الفلسفه فحسب.. واما الشعائر الدينية العامة، فيزعمون انها من وظائف رجال الدين.. واما الفرائض الدينية فيؤجلونها الى أوان الشيخوخة والمشيب، والشاب ما دام في غضون الشباب ف (كان الله غفوراً رحيمًا)... واما القسم الآخر من الاسلام، فملحق من قبل اناس نفعين.. واما الاقتصاد والمجتمع والسياسة وما شاكلها، فلا يربطها الى الاسلام، وبينها وبين الاسلام شقة واسعة ومن نسبة الى الدين فقد ابتدع في الدين، لانها اطروحة مدخلة في الاسلام وليس من الاسلام.

والبعض الآخر من المسلمين الذي عرف شيئاً من الاسلام فيحسب انه لا ينفعه في القرن العشرين، وانما كان من صالح القرن العاشر.

هكذا الاستعمار الكافر صور الاسلام ضحلاً هزيلاً في اعين المسلمين حتى اصبح ذلك طابعهم الاصيل والمستوى العام لوعيهم الاسلامي، وكذلك اصبحوا فاقدين للفكرة الاسلامية الكاملة، ولأية فكرة أخرى، وانما امسوا أذناباً لمن يسودهم، وعيالاً على من يكفلهم ولم يعرفوا غير هذه العيشة المضنية التي اسهر الاستعمار على ان يقيهم عليها ، فهم يبحثون عنمن يتبعونه ولا يطلبون من يتبعهم ،فكان طبيعياً ان يتلونوا كل يوم بلون وان ينجرفوا مع كل تيار يمر ببلادهم لأنهم ذلك المبدأ الذي يسير ثروتهم وينبني عليها حضارة وكياناً.

اما سياستهم الاقتصادية ،فانها -بحكم الاستعمار السافر او المتلصص في بلادهم -رأسمالية لم تترجح منذ ان وضع المستعمرون الكافر قدمه في بلادهم ،... ولقد حاول البعض ان يوفق بين احكام الاسلام وبين القوانين الرأسمالية حتى وصل الى حد الشعور بعجز الاسلام عن ايجاد المعالجات للمشاكل المتجددة، ثم حكم بضرورة اتخاذ المعالجات الرأسمالية كما هي الان – دون حاجة الى محاولة التوفيق...ولا ضير في ترك الاحكام الاسلامية لانها (في نظره) فاصرة عن مجارة الرأسمالية والاشتراكية .

وبقي القسم الاخر حتى اليوم يعتقد امكان التوفيق بين الاقتصاد الاسلامي والرأسمالي، ولكن سينتهي الى ما انتهى اليه صاحبه وسوف يفشل في هذه المحاولة.

كما ان جماعة من المفتونين بالنظام الاشتراكي ، اطلقوا الاحكام الطائشة باتفاق الاقتصاد الاسلامي والاشتراكية على معالجات موحدة للمشاكل الاقتصادية واتخذوا من علي عليه السلام وابي ذر بطلين اشتراكيين ..

والواقع : ان هؤلاء اناس لم يعرفوا الاسلام - رغم انهم نشأوا في أحضانه . واتفقت الرأسمالية او الاشتراكية مع ميولهم ، ومصالحهم الفردية فحاولوا ان يبرروا موقفهم أو يحرفوا الاخرين معهم بمثل هذه الاكاذيب التي تنم عن الصهاير العفنة ، والعقول الاسنة القدرة .

واما كان ذلك مبلغ المسلمين من الاقتصاد الاسلامي و موقفهم من المبدأ الاسلامي .. فمعناه : ان لا وجود لمبدأهم في واقع حياتهم ومتى كان ذلك فلن يسودوا مهما تعددت منابعهم ، وحضارتهم المدنية لامها لا تجد قيادة تسيرها وفق نظام متوج ينchezهم من الجهل والفقر والتقشف ويدرأ عنهم المأساة والويلات . فمتى صاقوا بهذه الحياة النكدة التعيسة عليهم ان يستسلموا للمبدأهم وينطلقوا في الحياة وفق اوامره وزواجه .

من هنا كان الواجب يحتم علينا .

١ - أن نستعرض صوراً واضحة عن الاقتصاد في النظام الرأسمالي والاشتراكي وننوه الى تناقضهما مع الاسلام في النقاط المركزية التي لا تقبل التأويل والتزوير .. ليعلم المأجورون والمغلبون ان الاسلام ليس رأسانياً ولا اشتراكياً ، ولن يتفق معهما ابداً ، اضافة على ما فيهما من اخطاء ... و اخطاء ...

٢ - ان نفصل شطراً عن الاقتصاد الاسلامي ونشرح كيف انه يستقل بتنظيم الحياة الاقتصادية ويعالج المشاكل الحاضرة وفق نظام دقيق يرفع المستوى الاقتصادي للمجتمع الى درجة لا يمكن ان يتقاربها المجتمع الاشتراكي او الرأسمالي.

كما سنبحث في الجزءين الاخرين من هذا الكتاب عن جانبي اخرين للاسلام لنرفع الستار عن وجوه المتنطعين والمستغلين الذين يغالطون ضمائرهم ثم يسرقون ركائز الاسلام ليتباروا بها ويبيعوها على الاسلام فيجلبوا بذلك اكبر عدد ممكن من المؤمنين من حضائرهم المقدسة الى مساقط المجرمين .

السيد حسن الشيرازي

كريلاء

١٣٧٩/٨/١٧

الاقتصاد

... ولا تنس نصيبك من الدنيا ...

القرآن الكريم

من لا معاش له لا معاد له

رسول الحياة

ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه.

زين العابدين

تصدير:

الاسلام فكرة واحدة ، عن الكون والحياة والمجتمع .. فهو يتحدث عن علاقة الكون والحياة بالانسان ، وعلاقة الانسان بالكون والحياة ، وعن علاقة المجتمع بالفرد ، وعلاقة الفرد بالمجتمع ، وعلاقة المجتمع بالمجتمع ، وعلاقة الفرد بالفرد ، ثم علاقة المجتمع والفرد مع الله فيعطي كل واحد من هذه المواضيع حقه من الدراسة والتحقيق ويستتتج من كل ذلك ، ثم يقرر احكامه عليها بكل دقة واتقان ...

وبذلك يتميز الدين الاسلامي عن الاديان ، والمبادئ والدساتير التي تعني بجانب وتهمل جوانب .

والدين برنامج الانسان في الحياة وخططه ووظائفه في مسيرته الكبرى الى دار الخلد والمقام .. تبعاً لدوعي فطرته ، وطبع الاشياء التي تسير معه ...
وإذا كان الانسان والاشياء وحدة متكاملة فلا يكون الدين إلا خطة واحدة تلائم غرائزه واسواقه وتسابير عواطفه وميوله الاصلية ضمن تحديد وإطلاق يتنااسب والمعركة الحامية بين العقل والنفس .

ومتى كان الدين هكذا .. فمن الصعب جداً انتزاع اقتصadiاته من غيرها ، فما يتحرّاها الباحث لا وتزدحم عليه الافكار وكلها من صميم الموضوع .. وما ان يجد حيلة إلا ان يفكر طويلاً ليلتقط الاقرب فالاقرب .

وقد حاولنا ان ننظر الى الاقتصاد الاسلامي من الزاوية المادية لينسجم مع الاقتصاد الاشتراكي والرأسمالي الماديين حين التقارن .. واهملنا النواحي المعنية - مؤقتاً - لغير اشعار.

واقتصاديات الاسلام تدور حول فكرة واحدة هي: تكوين مجتمع متقارب الطبقات، اعني تأمين المصالح العامة : إلغاء الفقر والمرض .. ولا يفتر الغني، بل يغنى الفقير.

واقتصاديات الاسلام فكرة بين الاشتراكية والرأسمالية - او غيرهما تماماً - سبقتها الاشتراكية ففشلت، وتأخرت عنها الرأسمالية فسقطت.

وهذا الدستور هو النظام الوسط .. يكون حجة على الناس ومهيمناً على النظامين يكشف ما فيهما من مروق وجود.

طبيعة المال:

طبيعة الثروة ان تتكدس في جانب وتنحسر عن جانب .. تبعاً لاختلاف الاعمال والافكار والاساليب - الى حيث ترى الكلب المدلل يرفل في الحرير، ويمرح في ضياء الكهرباء، وينعم باحدث المدافئ والمكيفات ، في الوقت الذي نجد الطفل البريء - خلف سياج البيت نفسه - ينفض حياته تحت وطأة الجوع، ولفحة الهجير، او لدغة الثلوج وفي ذلك فساد المجتمع، فحيثما تكدرست ثروة فائضة لا بد ان تبحث عن مسارب ومصارف فتأخذ طريقها الى شهوات الفرد واحلامه الفاجرة، عند ذلك ينفلت التوازن عن المجتمع - ولا تستطيع ان تعيده السلطة والنظام - ويوزع الى حلقات المترفين الجشعين وفريق الاممّات

والطفيليين وقافلة الرقيق والنخاسين .. (١) وموكب الابطال الذين يكيدون لهؤلاء جميعا..

ثم يأتي - بعد ذلك دور السرقات والفقر والجهل والمرض .. والاوبيات المتطايرة مع الريح في كل مكان، ثم الثورات !!!
فهذه مشكلة عالية يجب معالجتها من قبل المسؤولين.

الوصفات:

وقد حاول علاجها الرأسمالية ، الاشتراكية ، الشيوعية ، الاسلام وقام كل منها بدور ايجابي جريء ... ! فلننظر من التائه؟ ومن المصيب؟

(١) ولعلّ امير المؤمنين (عليه السلام) يرمز الى ذلك، حيث يقول: ((ما رأيت نعمة موفورة إلا والى جانبها حق مضيء، وما جاء فقير إلا بما متع به غني)).

الرأسماليون

فلسفة الرأسمالية:

تتركز فلسفتهم الرأسمالية الديمقراطية العامة على الایمان بالفرد ومصالحه الخاصة ويعتقدون: ان توفير مصالح الافراد خير ضمان لتعديل المجتمع، وحمايته بصورة طبيعية، فالمجتمع ليس إلا الفكره العامة عن الافراد ويتموين مصالح الافراد يكون تأمين مصالح المجتمع.

اما الدولة فهي عميلة المواطنين وحاميتها، ونائبتهم في القيام بخدماتهم العامة.

هذا هو الخط العريض للنظام الرأسمالي الديمقراطي، يبتدئ من الایمان بعصمة الفرد وحاجاته وينتهي بإعلان الحريات الثلاثة: السياسية، الاقتصادية والفكرية^(١). أما الحرية الدينية فهي فرع من فروع الحرية الفكرية العامة التي

(١) هذه الفلسفة - كما تراها - فلسفة مادية كافرة لا تؤمن إلا بالفرد القائم بذاته، والمنفصل عن الله والدين والآخرة كالاشراكية - تماماً - غير أنها تحمل الفرد قاعدة يتركز عليها النظام وتعرف الدولة سلاحاً يتتبّعه الفرد للدفاع عن حقوقه ويكون المال مقياس قيمة الفرد والسلع والخدمات وحجر الزاوية للاجتماع في جميع المجالات... والاشراكية تعتبر الدولة قاعدة ينشق النظام منها وها الشعوب جهاز مسرح لخدماتها وحجم الانتاج مقياس قيمة الفرد والعمل.. وحجر الزاوية للدولة! ولكن الاشتراكية انفجرت في مجتمع متذبذب مضطرب الایمان والعقائد فاستطاعت ان تعلن الحادها الفاجر بكل صراحة وواقحة. أما الرأسمالية الديمقراطية، فقد ولدت في

يعنى بها ان يعيش الناس احراراً في افكارهم وعقائدهم.

ولستنا بقصد عرض النظام الرأسمالي الديمقراطي بما فيه من حريات تؤول الى عبوديات وانما نبحث عن الحرية الاقتصادية بهذا التفسير الذي قرر - للشعوب - المأسى والويلات.

ومتى استعرضنا النظام الاقتصادي لدى الرأسماليين وجدنا الاقتصاد لديهم مجموعة مباحث عن:

١ - حاجات الانسان.

٢ - وسائل اشباعها : (السلع والخدمات).

٣ - كيفية توزيع وسائل الاشباع على الحاجات^(١).



احضان الكنيسة والمؤمنين بها - وان كانت الكنيسة يوم ذاك عجوزاً موهون القوى، منهمك الاعصاب - غير انها كانت تحتفظ بعيتها المنخورة ووقارها التليد فرأى قادة الرأسمالية انها ليست بحاجة الى اعلان ماديتها ما دامت احكامها تنفذ في مختلف الميادين دون ان تنكرها الكنيسة والخلاصون لها ولا يعوزها ان تثير ضجة الكنيسة وهي تسابرها في كل مجال .

وقد علمت الكنيسة الحاد الرأسمالية الديمقراطية، ولكن لم تعلن حرباً عليها لانها شلت عن المقاومة والاصطدام بعد ما تلاحت علىها ضربات الشعب ونقمته الثائرة وعرفها الناس دائرة التجسس والاغتيالات والتعذيب والاستغلال.

(١) هذه المباحث الثلاثة تعتبر فصلاً واحداً في الاقتصاد الرأسمالي يسمى بـ (مشكلة الندرة النسبية للسلع والخدمات بالنسبة للحاجات). ويتلخص هذا الفصل فصلان آخران:

١ - قيمة الشيء المترج.



حاجات الانسان:

يقررون ان للانسان حاجات الى اشياء شتى فلا بد من اشباعها بالنسبة الى جميع الافراد ، وهذه الحاجات :

١ - قد تكون محسوسة ملموسة للافراد ك حاجتهم الى الطعام والكسوة والمسكن ...

٢ - قد تكون محسوسة ملموسة للافراد ك حاجتهم الى الطعام والكسوة والمسكن ...

تكون محسوسة غير ملموسة ك حاجة الانسان الى الطيب والنظام ...

وبعد ذلك تنقسم الحاجات الى :

١ - الحاجات الضرورية للانسان والتي لا بقاء له إلا باشباعها ، ك حاجته الى الغذاء والكساء والدواء ...

٢ - الحاجات (الكمالية) والتي تتزايد وترتقي مع المدنية والحضارة ك حاجة الانسان الى السيارة ، القصر ، الخادم ، الفاكهة ، العطور ، المنازه ...^(١)



٢ - الثمن والدور الذي يقوم به في الانتاج والاستهلاك والتوزيع. ولكن حيث ان في هذين الفصلين يبحثون عن الحقائق الواقعية التي لا يؤثر فيها النظام والقانون، وانما يصلحان كمباحث تمهيدية لسن النظام حول الفصل الأول: (مشكلة الندرة النسبية للسلع والخدمات بالنسبة للحاجات) لذلك لم ت تعرض لها وانما اكتفينا بالبحث عن الفصل الأول فقط وما يستلزم من نقاط ..

(١) انهم يطلقون (الحاجة) على (الرغبة) فكل حاجة رغبة وكل رغبة حاجة ، وقد جرينا على



هذه الحاجات تنمو وتتضاعف ولا يمكن اشباعها اشباعاً كلياً حتى ولو وفرنا خيرات العالم لفرد واحد. وبما أن هذا النظام مادي ديمقراطي يرى لكل فرد الحق في اشباع حاجاته باقصى ما يمكنه السيطرة على وسائل الاشباع وبأي اسلوب يستطيع به من تحصيلها.

وسائل الاشباع:

أما وسائل اشباع هذه الحاجات فيطلق عليها - عند الاقتصاديين الرأسماليين - اسم (السلع) و (الخدمات) فالسلع وسائل الاشباع للحاجات المحسوسة الملموسة كالقمح ، الارز ، الرمان .. والخدمات وسائل الاشباع للحاجات المحسوسة غير الملموسة كالهندسة التطبيق التعليم ...

أما الذي يجعل السلع والخدمات صالحة للاشباع فهو - عندهم - (المفعة) حتى اذا توفرت في شيء جعلته صالحة للاشباع ، فالشيء النافع - اقتصادياً - كل ما يرغب فيه سواء أكان مضرًا أم نافعاً لدى الرأي العام ، وفي نظر الدين والأخلاق فإنه يعتبر نافعاً مادام هنالك راغب يبذل بازائه الثمن ، ف (الخمر) سلعة نافعة - من الوجهة الاقتصادية الرأسمالية - كما ان (الزنا) خدمة نافعة في نظرها - و (الحانات) و (المواخير) لا تختلف - عن المطاعم والمستشفيات ...

فكلاها يشبع الحاجات ويؤدي انتاجاً شريفاً - في رأي الاقتصاد - .



فالاقتصادي ينظر الى الاشياء من الزاوية المادية فحسب ، ولا يطل على المجتمع من فوق ، حيث يشرف على الجميع في نظرة واحدة حتى يستطيع من مقاييسه المنافع بالمفاسد ليضع كل شيء في موضعه .

هكذا يرى الراقصة والمعلمة تخدمان الاجتماع ، وتنتجان ما يجد راغباً يبذل له الثمن ، كما يوقف المقامر بجانب الفلاح فكلماها يتبع ما يشبع رغبة وبعد ذلك فلا يفرق بينهما شيء !

تلك هي الحاجات ووسائل الاشباع غير ان الاقتصاد الرأسمالي يواجه -
الآن - .

مشكلة الندرة:

النسبة للسلع والخدمات بالنسبة الى حاجات الافراد وما دامت السلع والخدمات لا تشعّب حاجات الجميع فالنتيجة الختامية لها : أن تشعّب حاجات الاغنياء بأكبر قدر ممكن من وسائل الاشباع ، بينما تبقى حاجات الفقراء معطلة يعوزها حتى الخبز . واذا كانت وسائل الاشباع أقل من الحاجات فمن الطبيعي أن يكثر الطلب ويقل العرض فترتفع الاسعار وتقتصر عنها اليدى الفقيرة - من هذه الناحية أيضا - فتضخم عدد ضحايا الخبز وتشيع الجرائم والوفيات والمرض في سبيله .

فلا بد - إذن - من تقرير مصير للقضاء على هذا القصور الاجتماعي وذلك لا يكون الا بتقوية جهاز الانتاج حتى توفر السلع والخدمات وتسع الجميع ، وتشعب حاجات الاغنياء اشباعاً كلياً ، عندما تشعّب الحاجات الاساسية - فقط - للفقراء وذلك أقصى ما يبلغه الاقتصاد .

اطلاق التجارة:

أما توفير السلع والخدمات فلا يكون إلا بطلاق التجارة الحرة في الأسواق العالمية ، والموضعية ، وشتي مجالات الاقتصاد .

ذلك ان المصلحة العامة الفردية أقوى حافز للتفكير ، والعمل من أجل تضخيم حجم الانتاج ، وتحسينه مع تخفيض المصروف والنفقات فالانسان اذا علم ان فائض اعماله لا تغتصب منه ورأى منافسيه قد احتكروا أكبر ثروة رابية نتيجة الدأب المتواصل عبر الشهور والسنين سوف تعصف في دمه النخوة ، والغيرة على المال ولا يستقر قلبه ، ونفسه ، وشهوته حتى يبذل فوق المستحيل ، ويفرغ امكانياته ومواهبه حتى الشهادة ليسبق أقرانه في كل مجال فيصبح أوحداً لا يدانيه أحد وذلك لا يكون الا باشغال أكبر عدد من العمال ، واستخلاص الطاقات المعطلة ، فيكون في اطلاق التجارة الحرة علاج ل :

١ - مشكلة الندرة النسبية للسلع والخدمات بالنسبة الى الحاجات العامة.

٢ - مشكلة اليد العاطلة والفقر الناتج من العطل .

٣ - مشكلة الطاقات المعطلة.^(١)

(١) فان أكثر طاقاتنا اليوم معطلة لا تستغل فنحن لا نزرع أراضينا ونحمي المياه التي تنحدر الى بلادنا ونحرسها عن ان تمد اليها يد حتى تنصب في البحار ، كما أننا لا نعرف أن في استطاعتنا أن نزرع الجبو ونزرع البحار ، كما لا نعرف ان لدينا خامات يمكن تحويلها إلى منافع فنوجه الجهود والاموال إلى إفائه زاعمين أنها أو ضار وأقدار . ونحن نكتفي الان بهذه الامثلة :



الاراضي المصرية الصالحة للزراعة تربو على ١٢ مليوناً فداناً ! وقد ظهر ان تحت النيل نيلاً آخر يحوي من المياه المخزنة يكفي لمائة فيضان والعمال الذين لا يجدون العمل يعدون بالمليين وبعد ذلك فالاراضي المزروعة لا تزيد على ستة ملايين أفدنة . أما الصحاري الشرقية والغربية الواسعة فقد اهملت مسرحاً للشمس وملعباً للأعاصير . والنيل يبقى للفيضانات العارمة ، والايدي العاطلة تدخل للسرقات والمظالم .

إكتشف أحد علماء (الالمان) ان في استطاعتنا تخلص عنصر (النيتروجين) وتحويله إلى (نيترات) للتسميد . ومنذ خمسين عاماً أخذوا يزرعون الجو فزاد مصروف (القمح) عندهم بمقدار النصف أو الثلثين ! وكذلك الحبوب الاخر .

ان النبات يتغذى بضوء الشمس وعلى الطبقات العليا من البحار إلى حيث ينفذ ضوء الشمس تكون نباتات (ميكروسكوبية) وإلى جنب هذه النباتات حيوانات تأكلها وتعيش بها ، وهي حيوانات صغار تأكلها حيوانات أكبر منها ، ثم يتدرج سلم الاحياء إلى حيوانات تأكلها الاسماك . لذلك أخذوا يسمدون البحار بـ(النيترات) - كما يسمدون الارض - كي تحد النباتات الميكروسكوبية الغذاء في هذا السباد ، فيسرع نموها وتتكاثرها ، ثم تتكاثر عليها الحيوانات الصغيرة ثم الاسماك .

و (الروث) ليس الا العصف المأكول و (الفير) الان يتخذ من نفس الروث الذي نحرقه في الاتون والتتوبر ، فهو ليس الا النبات المحطوم الذي تكفل الحيوان إعداده لصنع الفير .

وخرء الانسان مخصص لدينا بالتسميد ، والان يستخرج منه نوع من (الصابون) و (السجاد) وبعض الادوية الكيمياوية .

وجئنا بهذه الامثلة كشواهد على أبعد الطاقات المعطلة التي استخدمها التنافس التجاري المحر .

تحسين الموارد:

كما أن التنافس التجاري كفيل بتحسين الانتاج ، فكل شركة أفراد يسعى في تحسين بضائعه ليجلب رغبة المستهلكين في صرفها بأبلغ ثمن . وكذلك يتم توفير الانتاج وتحسينه .

ميكانيكية الثمن:

والثمن - بواسطة التجارة الحرة - يمارس شوطاً ناجحاً في معالجة المشاكل الآتية :

١- تعين نوع الانتاج.

٢- تقسيم الاعمال

٣- تحديد الاسعار.

٤- توزيع البضائع على المستهلكين.

٥- توفير أجور العمال والمستخدمين.

تعيين نوع الانتاج:

أما الدور الذي يقوم به جهاز الثمن في تعيين نوع الانتاج وكميته ، فهو : أن الحافز الرئيسي للمنتجين في القيام بأي مجهود أو أية تضحية في سبيل الانتاج أنها هو مكافأته بما يصلح للاشباع أو الحصول على الثمن - على ما هو الغالب - ومتي كان الثمن العامل الوحيد في الانتاج فمن حرية المستهلكين ان لا يبذلو

الثمن إلا بازاء نوع خاص وكمية معينة من الانتاج - فمثلاً - أن المستهلك الذي يرغب عن (التبغ) يمتنع عن شرائه ويعوض أمواله بالفواكه - مثلاً - وإذا أضر ب المستهلكون جيئاً عن استهلاك التبغ وأقبلوا على استهلاك الفواكه كان من الطبيعي أن يقف أنتاج التبغ ويهمله المتتجون أيضاً، عندما يتضاعف نشاطهم على أنتاج الفواكه من تلك الانواع الخاصة التي توافق إليها الرغبات وبتلك الكميات المعينة التي يستهلكها الناس .

هكذا يقرر المستهلكون كمية الانتاج ، ونوع الانتاج ، ويفرضون على المنتجين تعديل نشاطهم وفق رغبات المستهلكين ، وهذه العمليات تنفذ على أثر انجازات من جهاز الثمن .

تقسيم الاعمال:

ومن بنود الاقتصاد الرأسمالي : لا يأكل إلا من ينتفع فعلى الفرد أن يسعى في اشباع حاجاته سوى العجزة وحب الذات يقرر نظاماً طبيعياً يحفز كل فرد على اطلاق غرائزه وميله بالتنعم بأكبر قدر من المتع ، وهو لا يتوفّر إلا عن طريق العمل . فهذا العاملان يفرضان على المرء الدّلوب في العمل والتفكير المتواصلين لازدة كمية الانتاج وتحسينه مع تقليل تكاليفه ونفقاته. وهذا ينهض بقسم من الاعمال حسب ما تسمح له موهبه وامكانياته.

كذلك يقوم كل فرد من الافراد بما يستطيع من العمل كما يستوفي بمقدار عمله من الارباح.

تحديد الاسعار:

للثمن – في نظر الاقتصاد – مكانة آلية في الاحتفاظ بالمستوى الطبيعي للبضائع بالنسبة الى القيمة حتى لا يدع للمتاجرين حرية تحديد الاسعار حتى لا يرفعوها بوحي من نهمهم القاسي الى ارفع مستوى، وذلك ان المادة الانتاجية متى قلت تكاليف انتاجه وتحسينه، كثر عرضه على المستهلكين، واذا ارتفع سعره عن مقدار اشباعه للحاجة مع الاحتفاظ بكون الحاجة ضرورية أو كمالية فكل الراغبين يمتنعون عن استهلاكه الا بالقدر الضروري، فلا بد للمنتج من احد مصيرين بالنسبة الى الباقي إما ان تبقى بضاعته من دون مستهلك حتى تبور ويخسر، او ان ينخفض السعر حتى يبلغ المستوى العادل بالنسبة الى العرض والطلب، ومتى علم المنتج التنافس التجاري الحر ورفض المستهلكين بضائعه إلا بالسعر المعين بادر اليه قبل ان يلحقه الخسران.

كما ان قلة العرض وكثرة الطلب للمادة الاستهلاكية تدعوان الى ارتفاع السعر ليبلغ مستوى الطبيعي العادل بالنسبة الى الحاج الحاجة التي تشبعها هذه البضاعة.

توزيع البضائع:

وحيث ان المتوجات العامة لا تسع لاشباع الحاجات العامة والثمن معدل المجهودات فالانسان لا يستطيع ان يحصل على الثمن الا بمعدل مجهوداته الانتاجية، كما لا يقدر على استهلاك المواد الا بمقدار ما يحصله من الثمن.

فهو في الحقيقة يستبدل مجهوداته بجهودات غيره وبمقتضى هذا النظام لا يستطيع احد ان يستهلك اكثر مما يتبع.

هكذا يقدر الاستهلاك بمعدل الانتاج حتى توزع البضائع على الجميع ويتمكنوا من اشباع حاجاتهم.

تحديد الاجور:

والثمن هو القاعدة التي يتواضع عليها المتوجون الفرديون او الشركات مع العمال والمستخدمين بما يضمن لهم اشباع حاجاتهم، فالعامل او المستخدم لا يقوم الا بعمل يتکفل اشباع حاجاته الاساسية - في الحد الادنى - حتى لو اراد الرأسمالي استخدامه بأقل من ذلك أضرب عن العمل والتنافس الحر يحفز المنتج الآخر على استخدامه بما يتفقان عليه فيفصل الرأساني الاول عن حلبة الانتاج، ولا تمهد له طريق العودة الى زمرة المتوجين الا بعد ان يوفر للعامل من الاجور ما يستقبل بالترفية عن حاجاته .

غير ان الاجور ربما تختلف تبعاً لاختلاف الجهد الذي يبذله العمال والمستخدمون حسب القوانين الطبيعية للعرض والطلب - فمثلاً - ان الاعمال التي ينفقها الكادحون من العمال كثيرة العرض لكثره العمال وكثيرة الطلب لكثرة المتوجين - ايضاً -، لذلك تقابل بأثمان ضئيلة. أما الخدمات التي يتقدم بها المهندسون فقليلة العرض لندرة المهندسين وكثيرة الطلب لازدياد عدد المتوجين الذين تعوزهم الهندسة لهذا تعادل بأجور طائلة حتى ان ارباح المهندس تدر عليه الموارد التي تشبع حاجاته الاساسية وشطرأً من حاجاته الكمالية بينما العامل لا يوفى الا لكف حاجاته الضرورية بكل قنوع وتقدير.

هذه هي الخطوط العريضة لفلسفة النظام الاقتصادي الرأسمالي الديمقراطي التي طالما تبجح بها الكثيرون رافعين عقيرتهم الخشنة قبل ان تقضى على دست الحكم وتطفر بسيادة الشعوب، وما ان فتحت طريقها الى مخطط الحياة إلا وانكشفت عن سيئات وخطاء استمرت حتى اليوم لعنة الشعوب رغم التعديلات التي تواردت عليها من قبل كل مQN و MF.

وستلملم - الان - الى فشل هذا النظام وسيئاته، وخطائه المفضوحة وما فيه من عجز ومناقصات.

فشل الرأسمالية:

ان مهمة النظام الاقتصادي - سواء أكان رأسمالياً، او اشتراكياً، او اسلامياً - هي الغاء الفقر عن المجتمع لا ازيداد حجم الانتاج ولا توفير ثروة البلاد ولا اي شيء اخر، فأنها تخص علم الاقتصاد. اما النظام الاقتصادي فهدفه الوحيد اشباع حاجات الافراد فرداً فرداً. فهو مخصص بمكافحة فقر الافراد لا فقر البلاد، او الاسواق، فالفرد فقير يطلب الخبز لا البلاد ولا المجموع. والقضاء على الفقر هو مقياس النجاح في النظام الاقتصادي كما ان بقاء الفقر، او استفحاله في المجتمع اكبر دليل على فشل ذلك النظام الاقتصادي السائد.

ولكن الاقتصادي الرأسمالي لا يهمه فقر الافراد وما يصيّبهم بعد ذلك وانما يختصر - جهوده لمحاربة فقر البلاد والمجموع، اما الفرد فالنظام غير مسؤول عنه ما دامت ثروة البلاد مكفولة والانتاج متوفّر فعليه ان يعمل^(١)

(١) لقد كانت البلاد الرأسمالية في انتعاش اقتصادي قبل تحكم الرأسمالية فيها وفي غضون

ليتيج فيأكل^(١). والنظام الرأسمالي يهدف الى غاية واحدة ويعمل للوصول الى ارفع مستوى ممكن من الانتاج وزيادة ثروة البلاد والدخل الاهلي ويحسب ان



تطبيقاتها اصييت البلاد بتصديمة الاقتصادية هو جاء جعلت عدداً هائلاً من الفلاحين فقراء متسللين حتى اضطربت البلاد بهذا الفقر المتزايد فالتجئوا الى اصدار القوانين القاسية للاكراه على العمل الاجباري. ففي عام ١٥٣٠م قرر هنري الثامن قانوناً جاء فيه: (...) وبالمقابل فان الجلد والحبس من نصيب المشردين الدائمين فيبريطانيا الى مؤخرة العربات ويجلدون حتى يسيل الدم من اجسادهم ومن ثم يقسمون اليهان المغلظة بأن يعودوا الى مسقط رأسهم او حيث عاشوا السنوات الثلاث الاخيرة من عمرهم ويأخذوا بالعمل (...). أما إدوارد السادس فأنا قانوناً صدر في العام الاول من عهده ١٥٤٧م يأمر بـ (ان أي امرأ يرفض العمل يحكم عليه بان يستبعد من وشى عليه كعاطل عن العمل، ثم يكون له الحق في ان يجبره على القيام بأي عمل شاء منها كان معرفاً وله الحق في اكراته على ذلك بالسوط والسلسل، واذا هرب ثلاث مرات اعدم ك مجرم اثيم. واذا ضبط اي متشرد عاطلاً عن العمل طوال ثلاثة ايام فيجب ارساله الى مسقط رأسه ودمغ في صدره بحرف (م). ويمكن استخدام الفقراء من قبل اشخاص ي يريدون تقديم الطعام والشراب لهم وایجاد عمل من اجلهم...) وهذا النوع من العبيد استمر في انكلترا حتى القرن التاسع عشر. !!

وفي حكم اليازابيت عام ١٥٧٢م صدر قانون ينص على معاقبة كل متسلل لا يحمل رخصة ويزيد عن الرابعة عشرة في المرة الاولى او الثانية بالجلد الشديد ثم يدمغ في اذنه اليسرى إلا اذا تطوع شخص باستخدامه لمدة سنتين ، لكنه اذا تكرر المجرم للمرة الثالثة فانه يُعد - دون رحمة - ك مجرم اثيم...).

وهكذا استمر اصدار مثل هذه القوانين واعنف منها ضد العاطلين والمتسللين حتى القرن الثامن عشر ولم يلغ مفعولها الا في حكم الملكة (آن) (كارل ماركس راس المال ج ٣ ص ٢٦٨ - ٢٧١).

(١) وهذا اقسى تناقض في الاقتصاد الرأسمالي ، فهو يتدلى بجعل الفرد قاعدة يتكون النظام منه ولا شعاع حاجاته، ثم ينتهي بأذلة الفرد وحقوقه وواجباته عن النظام.

ازدياد الدخل الاهلي وتضخيم حجم الانتاج في البلاد يقضيان - بصورة طبيعية - على فقر الافراد وذلك بتمكنهم من اخذ الثروة حين ترك لهم الحرية في العمل لانتاجها وحيازتها . فالنظام الاقتصادي - في نظرهم - ليس لاشباع حاجات الافراد بل لايجاد اكبر قدر ممكن من الانتاج واشباع حاجات المجموع جملة . اما الافراد فلهم حرية التملك والاكتساب وعليهم ان يستفيدوا من هذه الحرية وينالوا من وسائل الاشباع كل حسب ما يملك من عناصر الانتاج . وبعد ذلك سواء - لدى الاقتصادي الرأسمالي - ان حصل الاشباع لجميع الافراد او لبعضهم دون بعض .

عجز وانهزم:

فأذن تتلخص الفلسفة الرأسمالية - الحالية - في هذه العبارة يجب تمويل البلاد بالثروات الطائلة ، فانها طاقة خلاقة يجب حمايتها ، والانتاج مما لا بد منه للتوفير عن المجموع . أما توزيع الانتاج على الافراد فعلى الشعب أن يقوموا بذلك . فماذا فعل النظام الاقتصادي الرأسالي إذن؟ ان المشكلة الاقتصادية هي توزيع الانتاج على الافراد ولا غير ، والنظام الاقتصادي الرأسالي ينكل عن معالجتها فهو فاشل !

سيئات الرأسمالية:

لقد كان الناس يأملون أن يربحوا من النظام الاقتصادي الرأسالي إلغاء الفقر وتكوين مجتمع متقارب للطبقات وما إن طبق هذا النظام إلا وانقسمت امامهم عن جرائم وسيئات لم يجدوا إلى تبريرها سبيلاً . ودفعوا في سبيلها أفح ح الشهان

من هنا وقعت البشرية في دوامة من الماسي والويلات والدماء والدموع لا تستطيع الهروب منها إلا إلى أسوء منها . وسوف يضيق المجال لو استعرضنا ما أصابت البشرية من هذا النظام الطائش ، كما هي في واقع الحياة غير أنا نشير إلى بعضها من بعيد.

تكوين الطبقات:

فقد أعلن النظام الاقتصادي الرأسمالي حرية التجارة والاكتساب بشتى الوسائل والالوان واتفق هذا الاعلان مع دوي المعامل وهدير المصنع التي تعهدت أداء شطر كبير من الاعمال واكتساح القسم الاكبر من العمال فأهمل الناس الصناعات اليدوية – التي كانت تتفق على الطبقة الوسطى وقسط من العمال – ولم يكن يستطيع استئجار الآلة إلا الصفة من أرباب الشروات وقد استخدمت الحريات والضمادات المقدسة التي قررها النظام الرأسمالي للتوسيعة في استغلال الافراد والاموال فاصبح الناس وقد وضع أصحاب الشروات الكبرى أصحابهم على المعامل ومنابع الشروة الاخرى (الاراضي الزراعية ، الخامات ، العمال ..) والفئة الوسطى على شفير الهاوية مشرفه على السقوط – لأن المستهلكين انصرفوا عن المنتوجات اليدوية وازدحموا على الصناعات الآلية – وقطع العمال الذين اخذ الحديد يمارس وظائفهم وجمahir العمال الاخرى بقى تحت رحمة تلك الصفة التي لا تعرف إلا مغانمها وما ربها ولا تؤمن إلا بالمادة ولا تقدر الرحمة والانسانية إلا من أنواع الجبن الفكري .

وهكذا انقسم المجتمع إلى طبقتين :

١ - الأقلية المترفة على قمة الثراء المزودة بأوسع الحرفيات والضمانات القانونية والتي تملك مصير الملايين وتستخدم حتى السلطة الحاكمة في أعمالها الابتزازية ، وضيقتها الدائمة أن تستغل حاجة الأكثريّة إليها فتلتقط القادرين لفرض عليهم العمل في مدة لا يمكن الريادة عليها وبأجور لاتفي إلا بالحياة الضرورية . ثم تنطلق في إشباع رغباتها إلى ..

وهكذا برب بعض الشركات وميزانيتها تصارع ميزانية الدولة . كما أن أقل من (٤٠٠٠ : أربعة آلاف نسمة) - في مصر - قبل إصدار قانون الاصلاح الزراعي كانوا يملكون ثلث جميع الاراضي المصرية وثلث جميع النقود الموجودة في البنوك المصرية .

وأخيراً وبتأثير الخوف من الشيوعية أموا الموارد العامة - إنجلترا - قبيل سنوات ، أما في أمريكا فحتى اليوم نجد المنابع الوهابة ملكاً للأفراد .

٢ - الأكثريّة السحيقة المنهارة في اعماق الفقر المدقع البريء والخطام البشري المنتشر في الشوارع والطرقات والعمال القذرين الذين يكذبون مع العجلات والدوالib في الزيوت التئنة السوداء . حتى كأنهم الحديد المتحرك ، او الديدان التي تغوص في الوحول والمستنقعات وإن خطاب (غلادستون) عن الميزانية يعطينا صورة بارزة عن وضع الجماهير التي تتزرحلق على حافة الاملاق عندما يقول : (ليست الحياة البشرية في كل تسع

من عشر حالات سوى صراع من أجل الوجود^(١) ، وكما يتحدث عن ذلك (س. لينغ) قائلاً: (لسنا نعرف مكاناً ضحيت فيه حقوق الاشخاص بكل صراحة وصفاقه لحقوق الملكية كما هي الحال في مساكن الطبقة الكادحة ، وانه ليتمكن اعتبار كل مدينة كبرى مكاناً للتضحية البشرية مذبحاً تحرق عليه سنوياًآلاف لأشخاص كضحايا ملوك البخل)^(٢).

وهكذا وجد في إحدى البلاد الرأسمالية رجل ورث عن أبيه خمسة ملايين جنيهاً ثم صار الذهب يتدفق عليه كما ينهر الحمم الوهاج على جوانب البركان وقدر فائضه كل أسبوع بـمليون جنيهاً - هو (جون روكلفر) ورجل يعمل في المزرعة كل يوم (عشرة) ساعات ويتقاضى راتباً مقداره (خمس) سنتات - يومياً - وفتاة وجدت ميتة فكشف الفحص الطبي أنها ماتت جوعاً وفتيان انتحروا فقراً ...

والسبب في تكون هذه الطبقات الجائرة أن شيئاً من الاراضي الزراعية والخامات لم يزدد بواسطه الآلة والذى حدث أن المنتوجات الآلية حيث كانت أجود من المنتوجات اليدوية وأرخص - لأنها اعتمدت على الآلة الحديدية لا على العضلات الحيوانية - جلبت رغبات الناس وبالتابع خفضت أسعار المنتوجات اليدوية هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الرجل الواحد مع الآلة

(١) نفس المصدر: ١٤٠ / ٣ .

(٢) هامش نفس المصدر: ١٤٨ / ٣ .

يتتج أضعاف ما ينتجه نفر من عمال اليد فكان من الطبيعي أن تخفض أجور عمال اليد كثيراً ويصبح راتب عامل الآلة أضعف رواتب عدد من عمال اليد، لذلك كله أضررت عمال اليد وخسر أصحابهم وأصبحوا - جمعاً - بربة العمال. وهكذا تقلصت المتوجات اليدوية عن الأسواق فبقيت الأراضي الزراعية والخامات كلها تحت ايدي أصحاب الآلة، فكان على الناس ان يخرجوا أرزاقهم من ايدي أصحاب الآلة، فما كان من أصحاب الآلة الا ان زجوا بوفر من العمال في ملحمة الاقدار واستخدمو القسط الآخر. وحيث كانت جهودهم منصبة على الاستزادة من الفائض دون ان يحرصوا على سلامة المجتمع رفعوا الاسعار الى حيث شئت لهم مطامعهم فكان العامل - في الحقيقة - لا يتمتع الا بما يساوي قسماً من عمله ، أما ما يساوي القسم الآخر فكان يتسلب الى صناديق صاحب رأس المال ! فكان العامل يتدهور نحو الهوة عندما جعل سيده يرتفقى نحو القمة كما صرخ بذلك (غلاستون) قائلاً: (انه لمن الصفات المحزنة للوضع الاجتماعي في هذا البلد اننا نجد الى جانب النقص في قوى الشعب الاستهلاكية والى جانب الزيادة في حرمانات الطبقة العاملة والاجراء ورؤسها تجتمعاً مستمراً للثروة في الطبقات العليا وزيادة متصلة للرأس مال في الوقت نفسه^(١). وقد أكد ذلك (غلاستون) حيث قدم ميزانيته قائلاً: (من ١٨٤٢ الى ١٨٥٢ زاد الدخل الوطني الخاضع للضرائب بنسبة ٦٪... وفي ثانية سنوات من

(١) نفس المصدر: ١٣٨ / ٣

١٨٥٣ الى ١٨٦١، زاد بنسبة ٢٪ على اساس عام ١٨٥٣ وان هذه الحقيقة
لياعنة على الدعة العميقة حتى لا تكاد تصدق الزيادة المسكرة للثروة والقوى
المحصورة كلياً في الطبقات المالكة يجب ان تعود بمنفعة غير مباشرة على السكان
العاملين لانها تخص بضائع الاستهلاك العام ، فيما كان الغني يزداد غنياً كان
الفقير يصير اقل فقراً^(١) ...).

وعندما كان العامل يحتم على سيده ان يرفع الاجور لا يفتأ ان يرفعها غير ان
شيطان المادة كان يسول له ان يرفع بمقداره سعر البضاعة كي يتدارك الامر فلا
تقل ارباحه كما يكشف ذلك (غلاستون) قائلاً:

(انا لا انكر بكل تأكيد ان الاجور قد ارتفعت لهذه الزيادة للرأس مال (في
السنوات العشر الاخيرة)، بيد ان هذه الحسنة الظاهرة تذهب هباءً حتى درجة
بعيدة لان عدداً كبيراً من ضرورات المعيشة قد اصبحت اغلى ثمناً، ان الغني
يزداد غنى بصورة سريعة فيما لا نجد اي تقدم محسوس في الرغد الذي تتمتع به
الطبقات الصناعية^(٢) ..).

فالعامل - على اي حال - لا يستطيع ان يعيش مرفهاً وان كانت تدر عليه
مدد من قبل صاحب رأس المال والعامل يريد ان يعيش سعيداً ولا يطالب بأي
شيء سواه، وذلك ما لا يناله تحت هذا النظام. كما يلبي بذلك الدكتور (سيمون)
في تقريره بخصوص هذه الحقائق، حيث يقول:

(١) نفس المصدر: ١٣٩ / ٣ .

(٢) نفس المصدر: ١٤٠ / ٣ .

(...) وان لمن الصحيح فيما يخص عمال المدن ان العمل الذي يحصلون بواسطته على مرتبهم الهزيل يمدد بصورة دائمة تقريباً ... ومع ذلك فان من المؤكد اننا لا نستطيع ان نقول الا في حالات قليلة ان هذا يكفي لاعالتهم .. ان ذلك لا يعدو كونه على نطاق واسع جداً مسيراً يطول او يقصر . نحو الاملاق^(١) .

النتائج :

وتكون الطبقات ليس لما يضر الفقراء فحسب ، وانما يسبب المشاكل كل للفقراء والاغنياء على حد سواء ، فقد جاء في الاحصائيات العالمية (ان ٩٠ % من حوادث الاجرام والاغتيال مصدرها الفقر ...) وهذه الجرائم والاغتيالات تتوجه نحو الاغنياء ، كما ان الفقراء يعتقدون المبادئ الهدامة لمطاردة الفقر فيصبون العذاب الاليم على رؤوس الناس ...

وقد جاء في احصائية اخرى : (ان ٧٠٪ من القلق الذي نعانيه مرجعه الى المال ، وان معظم الناس يعتقدون ان متاعهم ستنتهي متى ازداد دخلهم بمقدار ١٠٪ وقد يصدق ذلك في بعض الاحيان ، ولكنه في اكثر الاحيان لا يصدق)^(٢) . فقد ثبت ان الاسراف يهدد كيان الانسان بالموت الباكر ، وشتي الامراض ، فان اجهزة الجسم لو افرطت في استهلاك طاقاتها تحطمت وسوف لا تغفر للانسان

(١) نفس المصدر: ج ٣ ص ١٤٠ .

(٢) دع القلق... ص ٣٧١ .

صغيرة ولا كبيرة . كما ان الارباح الفائضة تولد مصارف جديدة وتسبب المشاكل الاجتماعية الفادحة .

الغاء الاديان:

أن فلسفة الاقتصاد الرأسمالي لا تنسجم مع فكرة الاديان ! فالاقتصاد الرأسمالي يعمل لتوفير الانتاج من أي سبيل كان والاديان لا ترضى بالظلم، والرشوة ، والربا ، والاحتكار ، وسائر الموارد المحرمة ... كما أن الاقتصاد الرأسمالي يقرر لكل فرد الحق المقدس في إشباع حاجاته كلها في حين أن الاديان تمنع الزنا ، والقامرة ، والخمر ، والغناء ، واللهو ...

والاقتصاد الرأسمالي يحاول تكريس جهود الناس ، و المجالات نشاطهم في الانتاج والاستهلاك .. فلا بد أن يعبدوا رباً واحداً هو المادة كي لا يفكروا فيها ولا يعملوا الا لها . اما الاديان فتوزع القوى والثروات إلى جميع جوانب الحياة وتحدد علاقة الفرد بالمادة . فهي إذن تعرقل طريق الاقتصاد فلابد من إلغائها .

والحرية الدينية لا يعني بها إلا أن يكون الفرد مؤمناً – في قلبه – برب ونبي وإمام . وليس له الحق في تطبيق دينه على المجتمع (فالدين الله والوطن للجميع) .

مأسات الفضيلة:

وما دامت الامور تقدر بمنافعها المادية فمن الطبيعي سحق القيم المعنوية ، والفضائل الخلقية ، وكبت البواعث الفكرية ، والتزعات النبيلة .. فالمجتمع الرأسمالي الذي يرى الانسان – كسائر الحيوانات – مجرداً عن الميول الروحية ،

والافكار الانسانية النبيلة ، والاهداف التي تسمو عن عالم المادة وجواذبها ولا يعرف للفرد كرامة معنوية وسمواً روحياً ، بل يتطرف في الاتجاهات والموازين المادية البحتة ولا يقدر النجاح والفشل إلا بالاستغلال والاستهلاك وإشباع الجموعات الجسدية وتوفير ثروة البلاد لا بد أن يشذ مجتمع يسوده هذا النظام عن الفضيلة ويغرى بالجريمة ...

وإذا آمن الفرد بالمادة وعرفها مقاييساً وهدفاً للحياة ، وعلم ان ميدانه ونصيبه في هذا الوجود هو هذه الفترة من حياته الخاصة ، وأن له الحرية في التصرف والاستهار وأنه المسؤول عن نفسه ، ولا مدافع عنه إلا قواه ، ولا غرض من حياته إلا مصالحه الفردية وانه في خطر من كل مصلحة من مصالح الآخرين التي قد تزاحمه على هدف عند ذلك يشعر الانسان أنه في صراع دائم ، وجهاد لا ينقضي ، وقد يستبد به الخنوع ، وتنسبوا قواه فيرضى أن يعلن انهزامه ، ويضع حداً لحياته بالانتحار . ولكن مadam حب الذات يحفزه على الاستمرار في الجلاد ، فإنه لا يفتأ يتصاول من كل جانب ويسرق ، ويغش ، ويخون ... ويعمل كلما تملئ عليه هواجسه وبوادره ليوفر على حاجاته وميوله وأغراضه اكبر قدر ممكن من وسائل الاشباع .

وهكذا نرى المجتمعات الرأسمالية تعرف - من الضروري - إطلاق البغاء ، وتشجيع معاقة الخمور ، وشرب الأفيون ، وارتكاب المحرمات كلها لأنها تشبع نوعاً من الحاجات وتجلب قسماً من الثروات وهل يعرف المجتمع الرأسمالي غير الحاجات والثروات ؟

الخمر:

وكذلك نهض قوم واستغلوا الحرية الشخصية للاكتساب وراحوا يبيعون الخمور على قوارع الطريق جلباً للثروة الى جيوبهم ولم يكن هناك ثائر ينقذ المجتمع من غوائل هذا الطاعون الفتاك ، بل حافظت السلطات والقوانين على مصالح الخماريين ودافعت عنهم بالسلاح . والقضية التالية تضمن لنا ابراز مكانة الاخلاق من النظام الرأسمالي في إحدى الدول الشقيقة عرضت لائحة على البرلمان لمنع استعمال الخمور فكان الجواب الأول والأخير ضدها : (إن الكحول تلتقط للدولة كل عام (٤٠ : أربعين مليوناً) من الـ (...)) وذلك وفر كبير لا يمكن الغض عنه ...) مع أن نواب البرلمان - جمياً - اعترفوا اثناء المحاورات بمضار الكحول الفردية الاجتماعية .

الربا:

وجاء آخرون فأخذوا يرabilون الناس بأموالهم ونشرـوا فخاخهم في القاصية والدانية وراحوا يمتصون دماء العالمين ويختلفون ورائهم الاساطير والامثال بصورة قانونية جريئة كي لا يسلم منهم أحد بقطرة من دمه .

القمار:

وقام اخرون فاشاعوا في المجتمعات القمار وابتكروا له طرقاً حديثة تسربـ الى جميع شعب التجارة حتى لم يسلم مكسب من المكاسب من عنصرـ القمار ومآنتهـ، وكان لهذه العناصر الثلاثة الخمر ، الربا ، القمار أثراً بعيداً في تفسخ الاخلاق وتكوين الطبقات .

وكذلك انحرت العفة ضحية الترف الغليظ والاغراض المثير الذين تحفل بها حياة المترفين مع ما عليه الاكثريه من الفقر والحرمان .

اساطير فارغة:

وقد يخلو للمتمشدين من أنصار النظام الرأسمالي أن يدللوا على وجود الأخلاق في المجتمع الرأسمالي بأوهام خرافية ليس لها في صميم الواقع أي أثر !! ذلك أنهم يقولون : إن المهدف الشخصي بنفسه يحقق المصلحة الاجتماعية وأن النتائج التي تهدف إليها الاخلاق تتحقق في المجتمع الرأسمالي لا عن طريق الابيان بالاخلاق ومكانتها الذاتية أو الاخروية ، بل عن طريق الدوافع المادية الفردية ، فالإنسان حين يقوم بخدمة إجتماعية يشمله قسم من تلك الخدمة العامة باعتباره عضواً في المجتمع الذي خدمه وحين ينقد حياة فرد من الخطير فقد أفاد نفسه لأن هذا الفرد سوف يخدم المجتمع فيعود اليه نصيب منها .

غير أن هذه الكلمات البراقة لا تكون الاخلاق في المجتمع ، فإن كثيراً من الخدمات التي يسددها الفرد إلى المجتمع تبعاً للدوافع المعنوية لا تعود إليه بخير أبداً^(١).

(١) لقد شفى المسيح عليه السلام عشرة من المفلوجين – في يوم واحد - فلم يقدم له الشكر إلا واحد منهم ، و (صمويل لا بيتز) الذي كان محامياً ثم قاضياً أنقذ (٧٨) ثمانية وسبعين رجلاً من الكرسي الكهربائي فلم يشكره أحد من هؤلاء (دع القلق .. ص ٢١٧

فالأنبياء جميعاً أنفقوا في سبيل المجتمع أوسع الخدمات فلم يشكرهم المجتمع إلا بالسم أو السيف ، و (غاندي) حرر الهند و (إبراهام لنكولن) حرر العبيد ورفع أعدائه إلى المناصب الخطيرة ثم كان نصيبيها الاغتيال !!!

ثم لو كان الإنسان يخدم المجتمع ليعود إليه نصيب من تلك الخدمة كان الاجدر أن يكرس تلك الخدمة لنفسه - فمثلاً - لو كان الإنسان يطعم الناس ليشتراك معهم في الأكل - ولا غرض سواه - فالعقل يفرض عليه أن يدخل مجموع الطعام لوجبات نفسه ، وهل من المقبول أن يوزع الفرد على المجتمع الملايين ليغنم واحداً من نفس ماله .. ؟

وليت الأمر وقف عند هذا الحد إذن هانت المؤسسات ، ولكن الاقتصادي الرأسمالي أدى إلى :

إنهايـارـ المـجـتمـعـ :

فرجل الاقتصاد لا يحاول تنظيم المجتمع كما يجب أن يكون ، وإنما تهمه المنافع والمصالح ، فهو لا يغش حتى تنجح تجارتـه وتـكـثـرـ روـادـهـ وإذا رـبـحتـ تـجـارـتـهـ بالـغـشـ والـخـدـيـعـةـ فالـنـظـامـ الرـأـسـمـاـلـيـ يـسـمـحـ لـهـ مـباـشـرـتـهـاـ وـهـوـ لـاـ يـتـكـفـلـ الفـقـراءـ تـلـيـةـ لـلـبـوـاعـثـ الدـيـنـيـةـ أـوـ الـعـاطـفـيـةـ ، وـإـنـاـ يـعـيـلـهـ مـخـافـةـ أـنـ يـسـرـقـوهـ أـوـ يـقـتـلـوهـ ، أـمـاـ إـذـاـ أـمـنـ مـكـرـهـمـ فـالـفـكـرـ الرـأـسـمـاـلـيـ يـؤـكـدـ عـلـيـهـ تـجـوـيـعـهـ !!!

وهـنـاـ يـتـبـلـورـ الـاقـتصـادـ الرـأـسـمـاـلـيـ فـيـ اـطـارـ جـدـيدـ هوـ الـاستـغـلالـ وـالـاسـتـعبـادـ بلاـ حدـودـ - فـمـنـ حـقـ الصـفـوةـ مـنـ اـصـحـابـ الشـرـاءـ انـ يـسـتـغـلـواـ حاجـةـ الاـكـثـرـيةـ اليـهـمـ فـيـفـرـضـواـ عـلـيـهـمـ الـاعـمالـ المـرـهـقةـ بـأـجـورـ بـخـسـةـ ضـئـيلـةـ لـاـ تـضـمـنـ الحاجـاتـ

الضرورية للإنسان فيوزع المجتمع إلى أقليات متربفة تسود وتستهلك ولا تنتج
واكثرية تعمل ولا تسود ولا تستهلك إلا قليلاً ...

هكذا تحكم الأقلية على الأكثريّة رغم ديمومقراطية هذا النظام وبعد ذلك

يأتي دور :

الاستعمار والحروب:

١ - العمال المتتجون لا يستطيعون ان يستهلكوا بمقدار ما ينتجون لضئولة اجرورهم ، والساسة المتخومين لن يأتوا على مجموع الانتاج مهما حرصوا وشدة حركة الانتاج وتدفقها بداع الحرص والاستعلاء المادي^(١) جعلت المنتجات الفائضة اكثر من الاستهلاك ، فتجد المخازن تغص بالبضائع والمعامل تخب في الفائض والأسواق جامدة غافية، فلا بد للساسة المالكين أن يبحثوا عن أسواق متعطشة الى بضائعهم ، ولا بد ان تخرج هذه البضائع الى خارج الحدود والجمارك لا تسمح أن يكون الوارد إلا أقل من الصادر – لتنمية ثروات البلاد – فأذن أين تصرف هذه البضائع ؟ إلا في الدوليات التي لا تملك المقاومة والصمود . من هنا تنطلق الدول الكبار تستعمر ما تستطيع من الدول الصغار لتصرف فيها بضائعها وفرضها على الشعوب بأثمان تقدرها بنفسها . وهذا هو الاستعمار السافر.

(١) في بعض البلاد الرأسية كـ(اليابان) و (فرنسا) يتخذ العمال في المعمل القباب المنصوب على عجلات صغار ليكون تنقلهم في المعمل أنشط من المشي أو العدو .. وهذه الحركات العنيفة نشرت فيهم الصداع الدائم والهستيريا .

ويتلن ذلك تطاحن الدول الكبار حول إستعمار الدوليات ، وهذا ما لا ينتهي إلا بالحروب .

٢- ان وفرة الانتاج تتوقف على وفرة الخامات وجميع الموارد الموجودة في الدولة موزعة بين أصحاب رأس المال ، فلا بد أن يمدوا أبصارهم إلى افاق جديدة ومناطق تكتض بالمواد الاولية لينشروا نفوذهم عليها فيمتصوا الموارد ويسلبوا الامتيازات ، وهذا هو الاستعمار وهنا يكون التنافس والتناظح على الاستغلال وإهدر الاموال السخية في سبيل الدعاية والتحبيذ.

فإذا كانت هناك دولة قوية يرخص لها الجميع إمتصت دماء العالمين بكل هدوء وتحت شعارات وطنية مخلصة ووويل للناس إذا تكافئت القوى ولعلت الحروب تلتهم الرطب واليابس .^(١)

(١) والقضية التالية تحدثنا باسهاب عن مدى صدق هاته النقاط التي سجلناها:
(كان التجار الانكليز) يحملون الافيون إلى بلاد الصين ، وقد اعتاد الصينيون أن يدخلنوا الافيون الخالص دون أن يمزجوه بالتبغ فتقل تكاليفه وأضراره ، وتبعاً لذلك سرى فيهم (المalaria) والفقر ، وفي عام ١٨٠٠ أصدرت الحكومة مرسوماً لمكافحة هذا الداء الذي جعل يهدى كيان الشعب وثروة البلاد ، فمنع من إستيراد الافيون منعاً صارماً ، ولكن الارباح المتضاعفة - وخصوصاً بعد إعلان المنع - حملت التجار على التهريب وشراء ضمائر المسؤولين بالرشى وازداد التهريب بعد عام ١٨٣٢ فاضطررت الحكومة إلى اتخاذ إجراءات حازمة لتحديده وعيت (لن تسي هي) مأموراً لمقاومة التهريب فأرغم جميع التجار الاجانب على أن يسلمو الكميات الموجودة لديهم من الافيون المهرب وأحرقها .

٣- أن هناك تبايناً شاسعاً بين طبائع البلاد ومناخاتها تبعاً للفروض الطبيعية، في بينما نجد بعض البلاد ينسل بالخيرات ويطفع بالمواد الأولية حتى ان في ترابها انواعاً من الخامات ، نجد إلى جانبها بلاداً فاحلة جرداً يسودها المحل والجدب . والرأسمالية الكبرى حيث تسعى نحو إنجاب أكبر قدر من الانتاج ، لابد لها أن تقوم بتقسيم عالمي للأعمال والمناطق ، تفرضه المراكز الرئيسية للصناعة الكبرى على سائر المناطق ، فتقلب قسماً من الكره الأرضية التي تغلب عليها السهول وتتفجر بالمياه والأشجار كأكثر البلاد الإسلامية



وحيث كان أغلب الأفيون الذي أحرقه (لن) ملكاً لتجار بريطانيا اعلنت عام ١٨٤٠ حرباً على الصين بحجة الدفاع عن كرامتها وشرفها وعرفت هذه الحرب بـ (حرب الأفيون) . وعندما ضعفت الصين أمام الاسطول البريطاني استسلمت لها وانتهت الحرب بفرض تعاطي سم الأفيون على أهل الصين ، ووقعت معاهدة (نانكينج) التي أرغمت الصين على فتح خمس موانئ في وجه التجارة الأجنبية واقطع بريطانيا جزيرة (هونغ كونغ) وابتزت قسماً كبيراً من المال كتعويض عن كمية الأفيون التي أحرقها (لن) وعن خسائر الحرب التي أقامتها ضد الصين .

غير أن القضية لم تنته بعد ، فقد ظل فصل محزن في هذه الرواية ، فقد تبعت المعاهدة محاولة التبشير واعقبتها ثورة (هنج هن شوان) ضد المعاهدة والتبشير وبلغت ضحايا ثورة (هنج) ٢٠ مليون نسمة !

وبعد ما انتصرت التجارة الأجنبية احتكرت أسواق الصين لضارعها الفاقدة عن استهلاكها المحلي وجعلت ترفع الأسعار متأثرة بالأسعار العالمية ، ثم بعد ذلك كانت ثورة (تاينغ) وفوضى شامل انتهزته الدول الغربية لانتزاع الامتيازات والأراضي الصينية واتصلت بعد ذلك سلسلة .. حروب ... حروب إنتهت بالشيوعية .

تلخيص (نهرو . لمحات من تاريخ العالم ص ١٢٥ - ١٣٢) .

إلى مناطق زراعية وحقول ومراتع لانتاج الحبوب والفاكه وإنجاب الانعام
وما يتبعتها.^(١)

وتحول المناطق الوعرة القاحلة إلى مراكز صناعية تغص بالمعامل والمصانع.
وهذا لا يكون إلا إذا سيطر الوطن الأم على جميع البلاد بالاستعمار حتى

(١) وهكذا تحولت الهند – قبل تحررها – واستراليا ورأس الرجاء الصالح إلى مخازن هائلة من
الصوف والقطن لبريطانيا واليابان، ارقامها على سبيل النموذج:
القطن المصدر من الهند إلى بريطانيا (بالارطال):

١٨٤٦ ر ٥٤٠ ر ١٤٣ ر ١٤٣

١٨٦٠ ر ١٤١ ر ١٦٨ ر ٢٠٤

١٨٦٥ ر ٩٤٧ ر ٦٩٠ ر ٤٤٥

الصوف المصدر من الهند إلى بريطانيا (بالارطال):

١٨٤٦ ر ٥٧٠ ر ٥٨١ ر ٤

١٨٦٠ ر ٢١٤ ر ١٧٣ ر ٢٠

١٨٦٥ ر ١١١ ر ٦٧٩ ر ٢٠

الصوف المصدر من رأس الرجاء الصالح إلى بريطانيا (بالارطال):

١٨٤٦ ر ٤٥٧ ر ٩٥٨ ر ٢

١٨٦٠ ر ٣٤٥ ر ٥٧٤ ر ١٦

١٨٦٥ ر ٩٢٠ ر ٦٢٣ ر ٢٩

الصوف المصدر من استراليا إلى بريطانيا (بالارطال):

١٨٤٦ ر ٣٤٦ ر ٧٨٩ ر ٢١

١٨٦٠ ر ٦٦٦ ر ١٦٦ ر ٥٩

١٨٦٥ ر ٧٣٤ ر ٢٦١ ر ١٠٩

(رأس المال كارل ماركس: ٢٠٧ / ٢٠٨ - ٢٠٩).

يفصلها الى مراكز صناعية او مخازن زراعية وذلك هو الاستعمار الذي يوزع مقادير البلاد تفاصيل ... تفاصيل ... ليحدد قواها ويبعثر خيراتها كما يسول له عملات المادة ومردة الشياطين ليسهل له استغلالها ابشع استغلال.

اخطاء الرأسمالية:

لا يسعنا - الان - أن نسطر جميع الأخطاء التي يحفل بها هذا النظام باسهاب وإلا لخرجنا عن نطاق الكتاب ولكن نسجل بعض النقاط كنماذج .

مصدر الأخطاء:

أول خطأ يبعث على أخطاء في النظام الرأسمالي : ان الاقتصاديين الرأسماليين لا يؤدون مسؤولية النظام الاقتصادي ، وانما يؤدون مسؤولية علم الاقتصاد .

ذلك ان علم الاقتصاد يبحث عن كيفية انتاج السلع والخدمات وتحسينها ومسؤولية النظام الاقتصادي انما هي توزيع السلع والخدمات على حاجات الافراد فرداً .. فرداً .

وهو لا لا يؤدون الا مسؤولية علم الاقتصاد أي يوفرون وسائل الاشباع ويعلقون مسؤولية النظام الاقتصادي على عاتق الافراد فعليهم ان يحصلوا وسائل الاشباع .

نحو الانتحار:

ثم لا ينظمون المجتمع - من الناحية الاقتصادية - كما يجب ان يكون وانما يطلقون المجتمع ليسير نحو الانتحار ، فانهم يعتبرون السلع والخدمات نافعة لمجرد وجود من يرغب فيها ويبدل بازائتها الاموال أو الجهد ، وهذا غير صحيح

، بل يجب اعتبار الاشياء نافعة اذا كانت في الحقيقة نافعة ، فالخمر ، والقمار ، ولحm المخزير ، والربا مما يضرـ المجتمع فلا يصح اعتبارها نافعة لانها تجلب الاموال^(١) وقد ارغمت احصاءات ضحايا الخمر الحكومة الامريكية على منع الخمر ، غير ان محاولاتها بائت بالفشل الذريع^(٢) لان الفكرة المادية السائدة على

(١) وقد نتج من هذا التفكير المادي ان اصبحت المجتمعات الرأسمالية على شفير الهاوية فقد أخذ الناس يمارسون المكاسب الخمراء ويسلكون الطرق الملتوية الرهيبة والفاجرة في سبيل المال إلى حيث اتسموا بطابع الامراض البدنية والاجتماعية وأصبح الجو موبوءاً متسمياً ينذر بالفناء الباكر ، واليك هذه الحقائق المدهشة :

١- إن عدد الامريكيين الذين يتحررون يفوق عدد الذين يموتون بالامراض على اختلافها .

٢- تدل الاحصاءات في امريكا : ان كل ٣٠ دقيقة يقع حادث إتحار ، وان في كل ١٢٠ ثانية = ٢ دقيقة يصاب شخص بالجنون .

٣- الثابت : أن شخصاً واحداً من كل ثمانية أشخاص يموت بالسرطان .

٤- أثبتت معهد الخدمات الاجتماعية : ان ١٣٪ مصابون بأمراض نفسية ، وان ٢٦٪ منهم مصابون بخلل عقلي .

(٢) منعت حكومة امريكا الخمر وطاردتها في بلادها واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة كالملجات ، والجرائد ، والمحاضرات ، والصور ، والسينما ، لتهجين شرها وبيان مضارها ومفاسدها . ويفدرون ما أفقته الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ٦٠ مليون دولاراً وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ ملايين صحيفة وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحرير في مدة ١٤ عاماً ما لا يقل عن ٢٥٠ مليون جنيهاً، وقد أعدم فيها ٣٠٠ نفس وسجين ٥٣٢٣٥ نفس وبلغت الغرامات إلى ١٦ مليون جنيهاً وصادرت من الاملاك ما يبلغ ٤٠ مليون جنيهاً . ولكن كل ذلك لم يزد الامة الامريكية إلا غراماً بالخمر وعناداً في تعاطيها ، حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ إلى سحب هذا القانون وإباحة الخمر في ملكتها إباحة مطلقة (تفتيحات: ابو الاعلى المودودي).

الشعوب الرأسمالية لا تسمح للافراد ان يتخلوا عن الخمر ماداموا يعرفونها
نافعة.

تحديد الحاجات:

إن تقدير حاجات الانسان سواء أكانت حاجات ضرورية أم كمالية وتقرير الحق لكل فرد في إشباعها اشباعاً كاملاً غير صحيح! فال المشكلة التي يعالجها النظام الاقتصادي ليست هي إشباع مطلق الحاجات وإنما المشكلة الأساسية التي يجب معالجتها فوراً وقبل كل شيء هي إشباع جميع الحاجات الضرورية لجميع الأفراد فرداً إشباعاً كلياً، فإذا تمت معالجة هذه المشكلة يأتي دور التفكير في إشباع قسم معين من الحاجات الكمالية. أما حاجة الفرد إلى الخمر، والرقص، والغناء، والبغاء فهي ليست بحاجة وإنما هي شهوة جامحة يجب كبتها حرصاً على إشباع الحاجات الضرورية للاخرين وحماية للاجتماع.
ولو أطلقتنا حق إشباع الحاجات الكمالية كلها لبقيت الحاجات الضرورية لاكثر الناس معطلة كما هي الان.

إطلاق التجارة لا يشبع الحاجات:

وإطلاق التجارة والتنافس الحر لا ينهضان باشباع الحاجات إلا بعد:

١ - تحديد الحاجات بـ: (ال الحاجات الضرورة لجميع الأفراد، - في الدرجة الاولى - ثم المساعدة على إشباع قسم معين من الحاجات الكمالية - في الدرجة الثانية-).

٢ - تحديد وسائل الاشباع بـ: (ما يشبع الحاجات الضرورية ، أو ذلك القسم

المعين من الحاجات الكمالية) والمنع الخامس الفكري والجزائي من إنتاج غير هذه الوسائل .

ولو لا ذلك لا نصرفت السلع والخدمات عن حاجات الاكثرية السحقة وتضاعفت لتوفير وسائل الاشباع الكمالية وازيد ايات الدخل الاهلي وثروة البلاد، كما نجد الان وسائل الاشباع تحوم وتساقط على موائد المترفين والجماهير ترزح تحت كابوس الفقر والحرمان رغم التجارة المطلقة والتنافس الحر.

ال حاجات المتتجدة:

وأما ما يزعمون : أن الحاجات المتتجدة تتضاعف وترتقي مع المدنية والحضارة والمنافع المنتجة لا تتكفل إشباعها اشباعاً كلياً فتولد المشكلة الاقتصادية الندرة النسبية للسلع والخدمات بالنسبة الى الحاجات العامة. فهو غير صحيح ! لأن الحاجات الاساسية لا تتجدد أبداً وإنما تتجدد الحاجات الكمالية ، والقسم الاول من الحاجات المتتجدة حاجات كاذبة يجب اهمالها - كما مر عليك - والقسم الآخر من الحاجات المتتجدة ليس من الضروري اشباعه ولو بقيت جائعة .

فليس هذا أساس المشكلة الاقتصادية . وال الحاجات التي تكون محتمة الاشباع هي الحاجات الضرورية المحدودة التي لا تنمو ولا تتزايد والاموال والجهود الموجودة في العالم تكفي لأشباعها اشباعاً تماماً، وإنما المشكلة الاقتصادية هي كيفية توزيع الاموال والجهود على الحاجات .

غلطة في التحديد:

ثم ان تحديد الحاجات بال حاجات المادية خطأ سافر ! فان أشد الحاجات الحاحاً على الانسان هي الحاجات المعنوية، فان حاجة الفرد الى الدين (١)، والحرية ، والثقافة، والسلام ، والتقدير حاجة استكمالية تسلح الفرد لمكافحة الكوارث ومقاومة العقبات ولو لا اشباعها انقلب حياة الانسان الى اتون مسحور.

الأيدي العاطلة:

ولقد قرر النظام الاقتصادي الرأسمالي: إن إطلاق التجارة ، والتنافس الحر يقضيان على الايدي العاطلة ، غير أن الفكرة المادية التي تبناها الاقتصاد الرأسمالي هي التي ابتدعت الالة ، إستخدمت النساء والاطفال بأجور بخسة ، فاستغنى أصحاب الثروات عن العمال حتى أصبح العامل يرى نفسه مخيراً بين أن لا يعمل أو يعمل طويلاً بأجور متهاودة ، وهكذا رفض قسم من العمال العمل ، كما بقى الاخرون يعملون بكل تبرم وقنوط . وقد دلت الاحصاءات على : أن ٧٨٪ من القادرين على العمل في الريف يعتبرون قوة معطلة لأنهم لا يعملون ولا يبحثون عن عمل سواء لعدم رغبتهم فيه ، أو لا ستجنائهم عنه ، أو لعدم قدرتهم على الدخول في ميدانه. ^(٢)

(١) وللتدليل على ذلك اقرأ كتاب: دع القلق وابدأ الحياة ، تأليف: (ديل كارينجي) ، تعریف: عبد المنعم الزیادی ، ص ٢٧٩ - ٣٠٣.

(٢) الاسلام والطاقات المعطلة: ١٥

كما دلت تقارير وزارة الصناعة على : أن ٧٦٪ من طاقات العمال عندنا معطلة
لعدم الكفاءة .^(١)

وعدم الكفاءة ليس من ركائز الانسان الفطرية ، وإنما هو رد الفعل الطبيعي
عن ضئولة الاجور وعنف الاعمال .

الطاقة المعطلة :

والنظام الاقتصادي الرأسمالي اكده: أن استخدام الخامات وتحويلها إلى بضائع
نافعة لا يكون الا باطلاق التجارة الحرة، وذلك أن صدق في بعض حين فانه لا
يصدق في اكثر الاحيان لان في بلادنا - مثلاً - توجد الخامات من كل شيء
والتجارة رأسالية حرة ، وبعد ذلك فنحن نستورد من الخارج كل شيء حتى
اللحم ، والسمك ، والماء المقطر ، ومرق اللحم ، وطبيخ الارز !! أما الخامات
فانها تبقى لدينا مهملة حتى تبور أو تصدر إلى الخارج بأبخس الاثمان .

وقد ثبت للساهرين ان الدول المستعمرة ربحت من نفطنا عام ١٩٥٥ ما
يساوي (٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) دولاراً أمريكياً !!! وقد
تضاعف فيضان الابار، كما انفجرت ابار جديدة، فكان ربح المستعمرين كل عام
يربوا على: (٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) دولاراً أمريكياً !!!^(٢)
اما نصيب المسلمين من نفطهم فليس إلا فتاتاً من موائد المستعمرين توزع على

(١) نفس المصدر: ١٣ .

(٢) الدكتور سعيد محمد عودة : رسالة الثروة المعدنية: ٩ .

الملوك والامراء ثم على الموظفين، أما الوطن الاسلامي الكبير فلا نصيب له منه.
 كل ذلك سوى عائدات الذهب، والفضة، والكبريت... وسائل المعادن
 والخامات التي تصب أرباحها السخية في مصارف المستعمرين وترش القطرات
 في بلادنا ثم لا تأتي إلى بلادنا وإنما تجمد - باسم الأمانة - في بنوك المستعمرين
 حتى أصبح ل الكويت وحدها في مصارف لندن نحو: (٧٠٠٠٠٠٠٠) سبعينات
 مليون جنيهًاً استرلينيًّاً).

والاثلة لمصادر الثروة المعطلة لدينا كثيرة، وكل شيء عندنا طاقة معطلة. ^(١)

صور الثمن:

يقول الاقتصاديون الرأساليون : ان الثمن هو الدافع الوحيد نحو الانتاج
 لأن الحافز على بذل أي مجهود أنها هو الحصول على ثمنه، أو بدلـه المعادل بالثمن،
 فالثمن هو الهدف من الانتاج .

(١) قيامة القاهرة وحدها تستطيع ان تحصل منها على ٢٧٥٠٠٠ مائين وخمسة وسبعين ألف طناً من السماد كل عام ، وبرغم هذا فان الدولة قد اعتمدت منذ ثلاث سنوات مليون جنيهًاً لإقامة مصنع لحرق القيامة .

ان الدولة تسمح بتصدير قرون الحيوانات وحوافرها مع ان هذه البقايا تحتوي على ٦٥٪ من المواد العضوية.

ان صناعة عصر الزيوت فيها طاقات معطلة بنسبة ٦٠٪ أما صناعات المنسلي ، والحلوى،
 والطابوق فنسبة العطل بها ٧٤٪. (الاسلام والطاقات المعطلة) : محمد الغزالى ص ١٥ - ٢٠

وهذا الكلام ينم عن مدى ضيق ، والاتجاه المادي في الفكرة الرأسمالية، ولم
أدر؟

ألم يسمع الاقتصاديون بأناس يصلون ويصوّمون ويحجّون ويزكون
ويخصّصون انتاجهم للجهات الخيرية ، اللّهُ، والجزاء الآخروي فقط ؟ أو لم يقرأوا
تواريـخ العظـمـاء الـذـين بـذـلـوا فـوقـ المـسـتـحـيلـ منـ الجـهـودـ لـ لأـيـ ثـمـنـ أوـ جـزـاءـ
ماـدـيـ ؟ أـلمـ يـبـلـغـهـمـ انـ (ـجـونـ روـكـفـلـرـ) خـدـمـ الـبـشـرـيـةـ بـأـكـبـرـ شـرـوـةـ جـعـهـاـ اـنـسـانـ^(١)
وـأـنـ (ـانـدـرـوـ كـارـنـيـجـيـ) وـهـبـ الـجـمـعـيـاتـ الـخـيرـيـةـ (ـ٣ـ٦ـ٥ـ) ثـلـاثـائـةـ وـخـمـسـةـ وـسـتـينـ
مـلـيـونـاـ منـ الدـوـلـارـاتـ^(٢) ثـمـ لـمـ يـحـصـلـاـ مـنـ وـرـاءـ ذـلـكـ سـتـتـاـ مـنـ الثـمـنـ المـادـيـ؟ـ؟ـ

أمـ غـابـ عـنـهـمـ أـنـ رـجـالـ الـاعـمـالـ يـكـدـحـونـ لـيـدـفـعـواـ الـضـرـائـبـ الـجـائـرـ بلاـ
بـدـلـ؟ـ فـلـوـ كـانـ الدـافـعـ الـوـحـيدـ عـلـىـ بـذـلـ أـيـ مـجـهـودـ مـكـافـئـهـ الـمـادـيـ لـمـ سـخـيـ هـؤـلـاءـ
بـجـهـوـدـهـمـ وـنـفـسـ الـإـثـمـانـ الـتـيـ يـعـتـرـوـنـهاـ الـحـافـزـةـ عـلـىـ الـاـنـتـاجـ.

توزيع جائز:

ينص النظام الاقتصادي الرأسمالي على أن الثمن هو المنظم لتوزيع الاعمال
على الأفراد، فان القانون المقرر (من لا يعمل لا يأكل) يحفز كل فرد على العمل
ليحصل الثمن فيحصل بازائه ما يأكل، وهكذا توزع الاعمال على الأفراد كل
حسب طاقاته الانتاجية.

(١) دع القلق: ٤١٢ - ٤٢١ .

(٢) نفس المصدر: ٢١٧

وهذه الفلسفة الافتلاطونية مثالية أكثر مما هي واقعية لأنها – بالفعل – لم توزع الأعمال كما كان يحلم به القادة المبدئيون من أصحاب هذه الفكرة. فانا نرى اليوم في البلاد الرأسمالية من يعمل كثيراً ثم يقتات الجوع والتعب ، ومن لا يعمل إلا قليلاً ويعيش في بلهنية ورخاء، وهذا اكبر شاهد على مثالية هذه الفكرة.

ثم أنها تقرر أن لا يستحق الحياة إلا من كان قادراً على الانتاج فمن خلق ضعيفاً، أو أزاحته الظروف المعاكسة عن العمل فليس له أن ينال من ثروة البلاد ما يطارد عنه الموت^(١) أما من خلق قوياً، أو أتاحت له الظروف المؤاتية ان يختصر جهود الناس في موائده ويتوسع في الحيازة والاحتكار، فله كل الحق في التخمة والسيطرة والسيادة، وكذلك من يمحجزه الواقع الديني أو القيم الخلقية أن يستنزف الدماء والدموع فهو فاشل متربص متهادن عن خوض معرك الحياة فعليه أن يبقى حليف التقشف والحرمان، ومن سمح له الفحقة السافرة أن يدرس الدين والضمير وينازع الفرص للتطاول والانتهاز ويكرس بين يديه من

(١) في عام ١٥٣٠ قرر (هنري الثامن) ما يلي: على المسؤولين المتقدمين في السن والعاجزين عن العمل أن يتناولوا رخصة للتسول.
كارل ماركس، رأس المال: ٢٦٨ / ٣.

ويقول ماركس: إن التقرير الأسبوعي الرسمي عن الوفيات يعدد خمس حالات من الموت جوعاً في لندن وذلك في الأسبوع المنتهي في ٢٦ شباط ١٨٦٤ م وتورد (التايمز)
في اليوم نفسه حالة مماثلة إضافية.
(نفس المصدر: ٢٤١ / ٢).

فائض البغاء والفحوج اكواط الفضة والنضار، فهو بطل الحياة النابغ وإنسان قرن العشرين الذي لابد أن يطوق بهالة من الاكبار والتقدير، وقدر بنفسك مقدار الصحة في هاته الفكرة العاتية المتمردة على نواميس الانسانية الكافرة بالحياة وقيمها النبيلة.

موضوع الثمن:

والاقتصاديون الرأسماليون يقدرون الثمن معدل المجهودات التي يقدرها الأفراد إلى الأفراد وهذا غير صحيح لأننا نرى الناس يبيعون الخامات التي لم يعملوا على تحسينها ، بل الثمن قد يكون معدل الجهد وحدتها كالاجور التي يتتقاضاها العمال المستخدمون ، وتارة يكون معدل الخامات فقط كالاثمان التي يأخذها أصحاب الخامات وربما يكون الثمن معدل الجهد والخامات معاً كالاثمان التي يأخذها الباعة فاذن ليس الثمن معدل المجهودات وحدتها.

أسعار باهضة:

كما ان ميكانيكية الثمن تقتصر عن تعديل الاسعار والتنافس الحر لن يضمن ذلك أبداً لأن الشركات التي لا تجد منافساً لها، تستغل حاجة الناس إليها فترتفع بثمن إنتاجها إلى أرفع مستوى، والشركات المنافسة تتافق على سعر جائز وهم التجار يقظي على التنافس الحر – ولو إلى درجة – والمتجون الكبار لا يخوفون بقلة الطلب ثم الخسارة لأن الحاجة ترغم الأفراد على الطلب مهما كانت الأسعار – وإن كان يقل نسبياً – .

ثم لا ترهبهم الخسارة مهما كانت بالغة لأنها لا تؤثر في ثرواتهم المكدرة. والآن يوجد في الهند اناس متلهلون يملكون الاراضي الشاسعة ولا يزرعون إلا قسمًا منها ويدعون الباقى مرتعًا خصيًّا للهؤهم وصيدهم والتزه في أوقات الفراغ ومسرحاً رحيباً للشمس والقمر والوحوش ... ولا تهد الخسارة من رعنونتهم العريضة.

وأما أصحاب الشر-كات الكبرى كـشرـكات البترول والسيارات والمصانع الثقيلة والاحتكارات العالمية فأنهم يتحكمون في الاسواق ويفرضون على المستهلكين أنثماً معينة، ثم لا تهمهم ندرة الطلب في بلادهم أو في الاسواق العالمية لأنهم يصرفون بضائعهم في مستعمراتهم بأى ثمن شاؤ، وأن الاحتكار يلجيء الناس إلى الرضوخ لهم.

لذلك جرت محاولات لترفيع الاقتصاد الرأسمالي، فجعلوا للدولة الحق في تحديد الثمن لحماية الاقتصاد الاهلي والمستهلكين ، من سلطة المحتكرين ، غير أن الرجال الماليين اشتروا ضمائر المسؤولين وملئوا أفواههم بالرشى وردوا أصوات الشعب إلى صدورهم. ثم إن تحديد الاسعار من قبل الدولة ينافق الخط العريض في النظام الرأسمالي الديمقراطي وهو حرية الاقتصاد.

هذا بالنسبة الى السلع، أما الخدمات العامة فقد أصبحت غير قابلة لتحديد أسعارها في البلاد الرأسمالية، فالموظفون الكبار يرفعون رواتبهم يوماً بعد يوم لأنهم يتولون دفة الحكم، وليس هناك من دين أو ضمير يحاسبهم عليه والاطباء والجراحون يقدرون (المعاينة) و (القدمية) و (العملية الجراحية) بما يشاؤن،

وكثرة المرضى وثقتهم بهذا أو ذاك لا تدعان مجالاً للتنافس ، كما سار على نفس الخطأ المحامون ، والمهندسو، والكتاب ، والمعلمون .^(١)

اجور متهاودة:

وقد عجز جهاز الثمن عن توفير اجور العمال والمستخدمين، فبعدما تمحض
العلم عن ميلاد الالة التي استقلت بأفধع الاعمال . إستغنت الشركات عن قسم
كبير من العمال وعن العمال الرجال بالنساء والاطفال حتى أصبح التنافس بين
العمال على العمل، بينما الغي التنافس بين أصحاب الاعمال على العمال، فرضى
عامل بالاجر الزهيد لأنه خير من البطالة، وأخذ صاحب العمل يدلل ويماكس
لأن العامل لا يثق أن يجد غيره من الاعمال وصاحب المعمل متأكد أن في كل يوم
يعرض عليه عدد من العمال وقد إستعصت المشكلة وتفاقم الامر بعد ما دخلت
النساء والاطفال في المعمل باجور ضئيلة فهب أصحاب المعامل لاشغال النساء
والاطفال لقلة اجرهما وللرغبة الذاتية فيها.

هكذا اصيّب العمال والمستخدمون بضئولة الاجور دون أن يزيحها جهاز
الثمن الذي علق عليه الاقتصاديون الرأساليون امامهم، وابكر شاهد على ذلك :
انك تجد كل يوم في كل صحفية أو إذاعة إضراب العمال ضد قلة الاجور .

(١) يتحدث عن هذا الامر (جون بيللرز) عنه يقول : (إن المعلمين والعمال من سوء الحظ يخوضون حرباً أبدية ضد بعضهم بعضاً، فالعمال لا هدف لهم إلا إنجاز العمل بأبخس ثمن ممكن، فيما الآخرون يتلهزون كل فرصة تسمح لهم بالطالة باجرأرفع).

استخدام النساء والاطفال:

واكتفي الان بنقل هذه الصفحات من كتاب (رأس المال)^(١)، (حين تجعل الالة القوة العضلية شيئاً عديم الجدوى تسمح باستخدام عمال لا يتمتعون بقوه عضلية كبرى، لكن أطرافهم تكون اكثراً مرونة بقدر نقص نموها ، وعندما استولى رأس المال على الالة كان شعاره هو التالي: عمل النساء ، عمل الاطفال ، وهكذا فان هذه الواسطة الجباره لا نفاذ جهود الانسان قد تحولت في الحال إلى واسطة لزيادة عدد المأجورين ، لقد أحنت سائر أفراد العائلة تحت عصا رأس المال دون تمييز للسن أو الجنس . إن العمل الاجباري لحساب رأس المال قد سلب لا مكان ألعاب الطفولة فحسب ، بل مكان العمل الحر البيتي تؤمن معيشة العائلة، ولا ننس ان القاعدة الاقتصادية للعادات العائلية لم تكن سوى هذا العمل البيتي.^(٢)

(١) رأس المال: كارل ماركس، ج ٢ ص ١٢٠ - ١٢٢.

(٢) حيث كانت الاعمال تستغرق جميع نشاط الافراد، حتى لم تكن المرأة تتمتع بفراغ تقوم فيه بالاعمال البيتية أو العائلية، وقد أرسلت الحكومة الانكليزية في الازمة القطنية التي رافقت الحرب الاهلية الامريكية الدكتور (ادوارد سميث) إلى (لانكشير) و(شيشير) و... كي يضع تقريراً عن حالة العمال الصحية، وتقرأ في هذا التقرير : (تحلى الازمة بمحاسن عديدة ، فان لزوجات العمال - الان - ما يكفي من الوقت كي يعطين أثدائهن لولدائهن .

وكذلك فقد وجدن الوقت كي يتعلمون فن الطهي) وإنك تلمس مدى إستبشرار هذا الدكتور لظرف النساء بهذا الوقت المحدود وهذا يكشف عن مدى قسوة العمل قبل ذلك.

ولقد كانت قوة العمل محدودة بتكاليف معيشة العامل وعائلته ، ولكن الالة حين القت بالعائلة جماء في السوق ووزعت هكذا قيمة قوة واحدة على قوى عديدة قد انقصت من قيمة تلك القوة ويمكن ان تدر القوى الاربع مثلاً التي تبيعها العائلة العمالية الان ربحاً اكبر مما كان يجنيه من قبل رب هذه العائلة بقوته وحدها، ولكن اربعة ايام عمل قد قامت كذلك مكان يوم واحد وانخفضت اسعارها بنسبة زيادة العمل الفائض الذي تحويه الايام الاربعة إلى العمل الفائض الذي يحييه يوم واحد . ومن الضروري الاونة أن يقدم أربعة أشخاص لرأس المال لا العمل فحسب ، بل العمل الفائض ايضاً، كي تتمكن عائلة واحدة من تأمين مواردها. وهكذا فان الالة حين تزيد المادة القابلة للاستثمار تزيد درجة الاستثمار في الوقت ذاته) .

خسائر وجرائم:

ولقد أدى دخول المرأة والطفل والالة ، في المعمل إلى الخسائر التالية:

اضرابات ضد الالة:

إن العمال - بطبيعتهم - يؤدون الجهد والخدمات الكافية لاشباع حاجات المجتمع ، وفي نفس الوقت يعيشون باجورهم وتبقى لهم الحرية في العمل لهذا أو ذاك ، أو الاستقلال بالعمل ، أما إذا دخلت الالة في المعمل فسوف لا يتتوفر لهم العمل مهما أرادوا ، ولمن شاؤا ، وقد أحس العمال بذلك وهذا كرهوا الالة وقاموا ضدها بحروب لا هوادة فيها.

ففي عام ١٦٢٩ م في (ليد) استعملت الة للنسيج فأجبرت المظاهرات

القضاة على تحريمهما . وقد خشى الحاكم أن يحول هذا الارتفاع عدداً كبيراً من العمال إلى مجرد متسولين^(١) ، فدمر الآلة وخنق مخترعها ، أو أغرقه ! .

وفي القرن السابع عشر قامت عصبيات عمالية في أوربا بأسرها تقريراً ضد الآلة لنسج الأشرطة والدنتلة ، وقد حرمت نفس الآلة في (كولونيا) عام ١٦٧٦ م وأدخلت في إنكلترا فأثارت إضرابات عمالية كبيرة بين عمال النسيج وصدر مرسوم إمبراطوري عام ١٦٨٥ م يحرم استخدامها في كل المانيا ، وفي (هامبورغ) أحرقت أمام الملأ بأمر من الحاكم ، وعندما ركب (إيفريت) عام ١٧٥٨ م الآلة المائية لجز الصوف فان مائة ألف رجل جعلتهم هذه الآلة عاطلين أحالوها هباءً منتثراً ، وإن خمسين ألف عامل يكسبون معيشتهم من طريق تمشيط الصوف أرهقو البرلمان بعرائضهم المناهضة لآلية التمشيط والتجميء العمال إلى تدمير الآلات عديدة في المناطق (المانيفاكتورية) الانكليزية في السنوات الخمس عشرة الاول من القرن التاسع عشر ، وفي (شيفيلد) عام ١٨٦٥ م قامت ثورة عمال صقل المبادر ضد الآلة تؤدي نفس العمل ، وكذلك تتبع ثورات العمال ضد الآلات بين فترة و أخرى.^(٢)

(١) وكذلك انقلب العمال بصورة جماهيرية إلى متسولين ، ولصوص ، ومشردین حتى اضطرت السلطات إلى مكافحة هذه التحولات الفجائية التلقائية بفرض العقوبات الدامية ، ولكن عبئاً كان ذلك .

(٢) نفس المصدر : ٢ / ١٧٣ - ١٧٠ .

أعمال فادحة:

لقد إستمر الصراع بين العامل والالة غير طويل حتى انتصرت الالة على العامل^(١) واستقرت المكائن في قلب المدن وأخذت تصك الاسماع بهديرها الصاخب وتلفظ دخانها في أجواز الفضاء بكل جرئة وإعتزاز وذابت غلواء العمال أمام روعة هذا الكائن القدير.

هنا عرف أصحاب رؤس المال ان لا حاجة لهم إلى العمال الفنيين الذين يجيدون الاعمال ويتقاضون بأزائها أجوراً متكافئة، فالالة تسمح لصبي صغير لا تجربة له بتشغيل نول كامل بسائر مكائنه ، وما دام في المعمل مهندسون فلا يضرـ جهل العمال بعد ذلك، وكذلك جعلوا يتتدبون للعمل الفلاحين الذين كانوا تأثرين على الانقطاع منذ زمن بعيد، والنساء اللواتي سلخ رأس المال دينهن وضميرهن وصورهن الحياة معملاً كبيراً والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم ولم يعرفوا من الحياة إلا الدرارم الملامعة واخذدوا يغرون الفلاحين بالعمل تحت شعار التحرر من عبودية الانقطاع والنساء باسم الانطلاق من سيطرة الرجل وتحطيم كبت الرجعية والقبور السوداء... والاطفال باسم الدرارم والدنانير والعمل والعمل وفيهما للطفل كل إغراء. كل ذلك لأن الفلاح تعود أن يعمل طويلاً ويربح قليلاً والمرأة مرتنت على ان تعمل دون ان تقاضى شيئاً وكذلك الطفل فيمكن إستغلال هؤلاء في الاعمال الطويلة بأقل اجر ممكن ولم يحسب

(١) ولا يعني تسجيل هذه الملامح أنها لا ترضى باستخدام الالة ، ونجد: ان يستبد الناس بالاعمال اليدوية ، وإنما ننكر سوء إستغلال رأس المال للة.

الفلاح ولا الطفل ولا المرأة هذا الحساب، والعمال الذين عرفوا هذه الحقيقة فشلوا في مقاومة الالة أول الامر فلم يفعلوا الا ان شيئاً وخلدوا إلى الخنوع، غير أن قسماً منهم رضخوا للعمل بمثل اجور الفلاح التي كانت أرفع من اجور المرأة والطفل قليلاً، والقسم الآخر ألغوا عصابات إجرامية وأخذوا يذرعون الشوارع ويمليئون المقاهي والحانات ثم السجون.

وبذلك أصيب العمال بفداحة العمل، فقد كان عليهم أن يعملوا طويلاً باجور هزيلة كما يقول ماركس:

(.. ليس من النادر أن نرى في نوتنجهام خمسة عشر أو عشرين ولداً مكدسين كالسردين في غرفة صغيرة لا تزيد مساحتها عن - ١٢ - قدمًا مكعبه وهم منهمكون طوال خمس عشرة أو أربع وعشرين ساعة في عمل مرهق الرتابة وفي ملء هذه الظروف الضارة بالصحة وحتى أصغرهم سنًا يشتغلون بانتباه مركز وسرعة تبعثان على الدهشة وهم لا يسمحون مطلقاً لأصحابهم بالتولاني أو الواحدة.

وإذا وجهت إليهم بعض الأسئلة فهم لا يرفعون عيونهم عن عملهم وذلك خوفاً من خسارة برهة وجية من الوقت^(١) ..).

فالعمال عليهم أن يستمروا عبر هذه الاوقات الطويلة خمس عشرة أو اربع وعشرين ساعة في عمل مرهق الرتابة وفي اماكن ضيقه تحت الارض أو فوقها

يلتهم الغاز فيها الاوكسجين إلتهاماً، كما يتحدث عن ذلك المفتش (لورد) قائلاً: (.. إن الشعور الذي ينتاب المرء لدى دخوله في مثل هذا المكان، حيث يشتعل ثلاثة أو أربعون عاملة معاً هو شعور لا يطاق في الحقيقة، وإن الحرارة الصادرة من الأفران التي تسخن المكاوي فيها لترسل القشعريرة في البدن، وحتى في الورشات التي يسودها عمل يقال عنه إنه معتدل يعني من الثامنة صباحاً حتى السادسة مساءً فان ثلاثة أو اربعة أشخاص يغمى عليهم بصورة متقطمة يومياً.)^(١)

قلة الاجور:

أما قلة الاجور فكان أثراً طبيعياً لاستخدام الفلاحين والنساء والاطفال تحت قيادة النظام الرأسمالي حتى اصبح مرتب العامل الواحد يقتصر بإعالة نفسه فقط، أما عائلته فكان على افرادها ان يعملوا فيأكلوا، وهذا ما شجع على تحطيم الاسرة وتفكيك عناصرها.

وفي الحقيقة كان استخدام الرأسمال للنساء والاطفال يبدل جوهر العقد الذي كان شرطه الاول تقدم الرأسمال والعامل وجهاً لوجه بصفتها شخصين حرين كلامهما تاجران يملك أحدهما المال أو وسائل الانتاج ويملك الآخر قوة العمل. لقد انقلب هذا العقد كله رأساً على عقب فأصبح استخدام النساء والاطفال اشبه بشرائهم وأخذ الطلب على عمل الارادات كثيراً ما يشبه - حتى في

(١) نفس المصدر: ج ٢ ص ٢٤١ .

الصيغة الاسلوب - الطلب على العبيد.

وفي مقاطعة (بنتال غرين) وهي اسوأ مناطق لندن شهرة تقام كل يوم اثنين وثلاثاء سوق عامة يبيع اطفال في التاسعة - من الجنسين - انفسهم لأرباب عمل الحرير، ويقول احد الاطفال في افادته عن شروط عمله الاسبوعي : (ان الشروط العادلة هي شلن واحد وثمانية بنسات اسبوعياً (تعود للابوين) زائد شلنين لي مع الشاي).

ويحدث في انكلترا - ايضاً - : ان بعض الشحاذات الاناث يأخذن اولاداً من الملاجيء ويجرنهم لأي شار كان مقابل شلنين وستة بنسات في週 (١)، وكلما فرض القانون حدود الست ساعات لعمل الاطفال في فروع الصناعة غير الخاضعة للأنظمة ارتفعت من جديد شكاوى ارباب العمل وهم يقولون : ان عدداً كبيراً من الآباء يسحبون ابنائهم من الصناعات منذ خضوعها للقانون كي يبيعوهم للصناعات حيث يسود بعد (حرية العمل) يعني حيث يجبر الاولاد الذين دون الثالثة عشرة على العمل مثل البالغين وبالتالي يباعون بشمن اكبر، ولكنه لما كان رئيس المال مسؤولاً للفوارق بطبيعته فإنه يطالب باسم حقه الطبيعي ان تكون شروط استئجار العمل متساوية بالنسبة الى الجميع فيسائر مجالات الانتاج. وهكذا فان التمييز القانوني لعمل الاطفال في احد فروع الصناعة يؤدي الى تحديده في الفروع الأخرى. (٢)

(١) نفس المصدر: ٢ / ١٢٤ .

(٢) نفس المصدر: ٢ / ١٢٥ .

ولم تختلف كثيراً الاتفاques مع الرجال والنساء عن الاتفاques مع الأطفال.

حوادث وفجائع:

وقد اصيب العمال من الجنسين على اثر ارهاق العمل وضؤلة الاجور بأزمة إقتصادية وصدمه صحيه بعيدة الاثر في حياتهم، غير ان ضحايا الأطفال كانت اكثرا واكثر لطفولة عضلاتهم ومرونه قوائمهم الوانية عن مقاومة الارهاق الدائب.

نكتفي هنا بالوقوف على نقطة واحدة هي النسبة العالية لوفيات ابناء العمال في السنوات الاولى من حياتهم، ففي إنكلترا ١٦ مقاطعة تجري فيها الاحصاءات حيث لا تقع في السنة سوى ٩٠٠٠ حالة وفاة وسطياً من أصل ١٠٠٠٠ طفل !

ونجد في ٢٤ مقاطعة أن هذه النسبة تبلغ : ١١ - ١٠ ألف وفاة، وفي ٣٩ مقاطعة ١١ - ١٢ ألف وفاة، وفي ٤٨ مقاطعة ١٢ - ١٣ ألف وفاة، وفي ٢٢ مقاطعة اكثرا من ٢٢٠٠٠ وفاة، وفي ١١ مقاطعة اكثرا من ٢٣٠٠٠ وفاة.

وفي مناطق (هو) و(ولفهامبشن) و(برستون) اكثرا من ٢٤٠٠٠ وفاة، وفي مناطق (نوتنغهام) و(ستوكسبورت) و(برادفورد) اكثرا من ٢٥٠٠٠ وفاة، وفي مقاطعة (ويسيبيتش) ٢٦٠٠٠ وفاة، وفي (مانشستر) ٢٦١٢٥ وفاة.^(١)

وقد أثارت هذه النسبة العالية للضحايا هيجنة سارية الجئت الحكومة إلى

(١) نفس المصدر: ١٢٥ / ٢.

تحديد عمل الاولاد قبل الثالثة عشرة بـ٦ ساعات فقط . غير أن هذا التحديد لم يحد من جشع الرأساليين ، فالكثيرون لم يخضعوا لهذا التشريع نهائياً متسترين بألفاظ وأسماء الآخرون جعلوا يشترون ضمائر الأطباء المكلفين بالتفتيش عن أعمار الأحداث في المعامل فكانت التقارير تتفق مع المواد القانونية عندما كان الواقع يكذبها ، لكن الأطفال ربحوا بعض شيء عن هذه الضجة الصاحبة وخفت فيهم نسبة الوفيات والأمراض نسبياً . غير أن المرأة لم تجد لها نصيراً فظلت تعمل إلى جانب الرجل وتأخذ أجور الأطفال^(١) رغم ان قوتها الجسدية كانت تقتصر عن قوى الرجل .

وهكذا خسرت صحتها^(٢) واسرتها دون ان تربح شيئاً .

(١) والفيتات المشغلات لا يتناولن سوى شلن أو شلن ونصف يومياً، بينما الرجل يتناول شلنين ونصف الشلن (الرقم ١٨١٦) (نفس المصدر: ٢٨٣ / ٢) .

(٢) إن المصاين بالسل من أصل ٨٨٦ عاملة دنتلة تتراوح أعمار معظمهن بين ١٧ - ٢٤ تحصيها اللوحة التالية للدكتور (ترومان) طبيب المستوصف العام في (نوتنجهام) :

| | |
|--------------------|-------------------------|
| ١٣ على ١٠٠٠٠٠ ١٨٥٧ | ٤٥ على ١٠٠٠٠٠ ١٨٥٢ |
| ١٥ على ١٠٠٠٠٠ ١٨٥٨ | ٢٨ على ١٠٠٠٠٠ ١٨٥٣ |
| ٩ على ١٠٠٠٠٠ ١٨٥٩ | ١٧ على ١٠٠٠٠٠ ١٨٥٤ |
| ٨ على ١٠٠٠٠٠ ١٨٦٠ | ١٨ على ١٠٠٠٠٠ ١٨٥٥ |
| ٨ على ١٠٠٠٠٠ ١٨٦١ | ١٥ على ١٠٠٠٠٠ ١٨٥٦ |
| | (نفس المصدر: ٢٣٢ / ٢) . |

تحطيم الاسرة:

فالفتاة التي تستنزف نشاطها وطاقاتها في المعمل تقصير عن القيام بفرائض الزواج وإنجاب الأطفال.

والرجل الذي ينبو راتبه عن إعالة نفسه يجمع عن النهوض بواجبات الزواج وتکاليف الاسرة ونفقاتها الدائمة منها كلفه الامر خصوصاً وكلاهما يجدان في نفس المعمل أو خارجه ما يشبع الرغبة الجنسية، كما يسجل هذه اللحوظة العامة الدكتور (سيمون) : بالرغم من كون وجهة نظري الرسمية هي صحية تماماً فان أبسط العواطف الإنسانية لا يمكن أن تسمح بتجاهل المظهر الآخر للشر ، ذلك أنه (فرط الزحام) يتضمن بالضرورة - تقريراً - في درجاته العليا إنكاراً مطلقاً لكل حياء وإختلاطاً قذراً للابدان والوظائف البدنية وعرضأً للعرى الحيواني والجنسى هي قمية بالوحش بالاحرى من الانسان . وإن الخصو ع لثل هذه التأثيرات يشكل إنحطاطاً لا بد أن يصير أعمق فأعمق بالنسبة إلى أولئك الذين يستمر فعلها فيهم، وأما الأطفال الذين يولدون تحت ظل لعنتها فما أكثر ما تشكل لهم معمودية للفجور^(١) .

وكما أعلنت لجنة طبية التقرير التالي:

إن نساءً متزوجات يعملن في جماعات مع فتيات وشبان يوضعن تحت تصرف المزارع مقابل مبلغ معين من المال يتتقاضونه من شخص يحمل اسم

(١) نفس المصدر: ٣ / ١٤٩.

رئيس العصابة وهو لا يبيع هذه العصابات إلا كاملة.

وكثيراً ما يكون ميدان عمل هذه العصابات بعيداً عن قراهم مسافة عدة أميال ويراهن المرأة صباح مساء على الطرق العامة النساء منهم يرتدين تنورات قصيرة ومناسبة ويلبسن أحذية وسراسيل في الأحيان قويات ممتلئات صحة، لكن مفسدات بذلك التحرر الأخلاقي المألف عندهن غير ابهات مطلقاً للعقابيل المقيدة التي ستنشأ عن هذا النوع من الحياة النشيطة والعجزية بالنسبة إلى ذريتهن التي تبقى في الدار وحدها وتختفي وحدها^(١) ، فإذا علم الرجل المعاشر أنه يستطيع أن ينال الارتواء الجنسي عن غير طريق الزواج وحتى لو تزوج بامرأة فانها لا تختلف عن سائر نساء المعمل المائعتات، فلا بد بعد ذلك أن يستغني عن الزواج، كما ان الشابة الطالعة سوف لن ترضى أن تربط نفسها بعجلات الاسرة وهي تحلم بالانطلاق الكامل وتسعى لاقتحام الوظائف وإسلام المناصب وتنسق المسؤوليات^(٢) ، وهكذا إمتنع كل من الجنسين عن الزواج إستغناءً بالبغاء وتبمراً عن تحمل تبعات الزواج من النفقات والتكليف والالتزام بالمراسيم السائدة وإنجاب الأطفال حتى أصبح معدل الرجال

(١) نفس المصدر: ٢ / ١٢٨ .

(٢) إن في (غانَا) ٦٠٪ من المشغلين بالمعرف من النساء، كما ان النساء أصبحن ٩٥٪ في سائر الوظائف.

(مجلة الوادي : عدد ٢ سنة ١٢ ، السبت ١٩ مارت ٩٦٠ ص ٢٨).

والنساء الذين يتزوجون في فرنسا اليوم لا يعدو سبعة أو ثمانية في الالف.^(١)

اشاعة الفحشاء:

كل هذه العوامل كان لها الاثر البعيد في تجريد المجتمع من كل معنى من معاني الفضيلة واسعاة البغاء المكتوم والتفسخ الخلقي الرهيب اضافة على ان استخدام المرأة في الوظيفة او المعمل يعني استباحتها لمن يرأسها ولمن هو اعلى رتبة منها، واليك بعض ما جاء في استجوابات تقرير لجنة التحقيق عام ١٨٤٠ :

- ما رأي عمال المناجم في عمل النساء في المناجم؟

- انهم يدينونه على العموم!

- لماذا؟

- هم يجدونه مذلاً للجنس، مسيئاً اليه، ان النساء يرتدين ثياب الرجال وانهن يلقين بالحياة جانبًا في بعض الاحوال.

- اتريد اذن تحريم عمل النساء في المصانع ايضاً؟

- كلا، لا اريد ذلك!

- لم لا؟

- ان العمل في المصانع اكثر حرمة وموافقة للجنس المؤنث!

- ومع ذلك فانت تعتقد انه يسيء الى اخلاقهن؟

(١) ابوالاعلى المودودي ، الحجاب: ١١٥ .

- ولكن لا يسيء اليها بقدر ما يفعل العمل في المناجم، بل ان الفارق الشاسع بين العملين وعلى اية حال فانا لا اقول ذلك عن وجهة النظر الاخلاقية فحسب، بل من وجهة النظر الحكمية والاجتماعية ايضاً، ان الانحطاط الاخلاقي للفتيات لشديد وفاجع وعندما يصبح هؤلاء الفتيات زوجات عمال المناجم فان الرجال يتأنمون كثيراً من انحطاطهن وهذا ما يؤدي بهم الى هجران البيت والانكباب على الخمرة.

- أيمكنك ان تكشف فارقاً بين هذين الصنفين؟

- لم اتأكد من اي شيء لكنني اعرف من زياراتي الى البيوت المختلفة الحالة الفظيعة التي تدهورت اليها الاشياء في مقاطعتنا.^(١)

ومضت مدة منعوا في انكلترا استخدام النساء المتزوجات كي يتفرغن للاعمال البيتية التي لا بد ان يزاولها فرد من افراد المجتمع ويتكفلن حضانة اطفالهن وبيتعدن عن مساقط الاعراض، وقد اعلن استبشاره بهذه الظاهرة المفترش (بيكر) في تقرير رسمي : (انه سيكون من حسن حظ المناطق الصناعية في انكلترا حرمان كل امرأة متزوجة وربة عائلة من الاستغال في اي معمل كان).^(٢)

غير ان ضئولة اجور العمال والغلاء لم يسمح للزوجات ان يستقررن في بيتهن، فعدن الى مراكزهن واخذت تنزى على مسرح العالم البوادر السيئة والعواقب الطبيعية المترقبة التي اثارت حفيظة الاباء وثائرة المصلحين، غير انهم

(١) رأس المال: ٢٨١-٢٨٢.

(٢) نفس المصدر: ١٢٨/٢.

لم يجدوا الى مكافحتها سبيلا وحاولوا التغاضي عنها فلم يسعهم ذلك، حيث بلغت من الصفافة والصراحة ما لم يخف على احد.

اخلاق مفتعلة:

فتوصلوا الى تبريرها بوضع فلسفة جديدة للالاحق ونسخ النظريات الفطرية والدينية زاعمين: ان الواقع الذي امام اعينهم ليس فساداً خلقياً، ولهبوطاً وتردياً، وانما هو من مظاهر الحرية والانطلاق والنهضة والارتقاء والتطور يقضي ان يكون المتع الجنسي - اليوم - عن طريق الزواج، فأن كان بالامس يجمعهما رباط الزواج فالاليوم يجمعهما رباط العمل المشترك، او الصداقة. ثم اتسعت هذه السفسطة في الاونة الاخيرة، فجعلوا يقولون: واذا كانت الصداقة مبررة لتعاطي اللذة الجنسية فلماذا يكتب التباعد بين الاقارب انهم لا يختلفون عن الاباعد في ذلك! وما دامت تلك فلسفة الاحلاق - لدى الرأسماليين - فليس من الغريب ما شاع في بعض الاقاليم الفرنسية والمدن الصناعية الاخرى من وجود العلاقات الجنسية بين الاقارب في النسب كالاب، والبنت، والاخ، والاخت...^(١)

استخدام الغريزة الجنسية:

ولم يقف الامر عند هذا الحد، فالاثرة الرأسالية المعروفة بحرية التجارة المطلقة أبت إلا افتتاح نوافذ الى افاق جديدة للتجارة باستخدام الغريزة الجنسية

(١) المودودي، الحجاب: ٩٨.

لأنها مكاسب مشروعة في نظر الاقتصاد الرأسمالي، وإذا كانت النفوس تتقرّز منها يوم كان لها دين فالليوم قد انسلخت من دينها تهـلـعـ اليـهاـ هـلـعاـًـ عـمـيقـاـًـ لـذـكـرـ اـخـذـواـ يـتـدـرـجـونـ فيـ هـذـهـ المـزـالـقـ الرـهـيـةـ الدـكـنـاءـ.

إستخدام الصحافة:

فابتدرـواـ إـلـىـ الـجـرـائـدـ وـالـمـجـلاـتـ وـجـعـلـوـاـ يـدـبـجـونـ فـيـهـاـ الـقـصـصـ وـالـمـقـالـاتـ الغـرـامـيـةـ وـاسـتـشـارـوـاـ فـيـ هـذـاـ السـيـلـ اـعـلـىـ ماـ حـبـاهـمـ اللهـ مـنـ موـاهـبـ،ـ وـفـنـونـ،ـ وـعـلـومـ،ـ وـشـجـعـوـاـ الـادـبـ الـمـكـشـوفـ وـافـرـغـوـاـ الـهـ قـسـمـاـًـ مـنـ الـجـرـائـدـ وـالـمـجـلاـتـ،ـ اـمـاـ القـسـمـ الـاـخـرـ فـانـ لمـ يـكـنـ مـخـصـصـاـًـ بـذـلـكـ،ـ الاـ انـ لمـ يـخـلـ عـلـىـ ايـ حـالـ مـنـ رـكـنـ،ـ اوـ اـرـكـانـ مـوـضـوـعـةـ لـفـنـونـ الـجـمـيلـةـ،ـ وـحـيـثـ لـاقـتـ الصـحـافـةـ الـمـاجـنـةـ مـنـ الـاعـجـابـ وـتـهـافـتـ الـقـرـاءـ مـاـ لـمـ تـنـلـهـ الصـحـفـ مـنـ قـبـلـ.

كتب خلاغية:

اخـذـ الـكـتـابـ يـكـرـسـونـ جـهـودـهـمـ لـاـخـرـاجـ الـكـتـبـ وـالـرـسـائـلـ فـيـ الـقـضاـيـاـ الجنسـيـةـ وـفـنـونـ الرـقـصـ وـالـغـنـاءـ وـاغـرـاءـ الـعـوـاطـفـ وـاسـتـجـوـابـ الـقـلـوبـ وـالـ...ـ وـلـمـ يـفـلـتـ مـنـ كـيـدـهـمـ انـ يـمـدـحـوـاـ مـهـتـهـمـ الـفـاجـرـةـ بـأـلـوـانـ مـنـ الـاـطـرـاءـ الـرـفـيعـ وـالـكـلـمـاتـ الـخـلـابـةـ الـنـبـيـلـةـ حـتـىـ اـصـبـحـتـ الـفـنـونـ الـجـمـيلـةـ وـالـادـبـ الـجـنـسـيـةـ مـنـ اـرـقـىـ الـفـنـونـ،ـ فـلـمـ يـعـدـ الـاـنـ تـأـلـيفـ كـتـابـ مـلـيـءـ بـأـنـوـاعـ الـخـلـاغـةـ الـمـكـشـوفـةـ الـبـارـزةـ مـخـزـاـةـ اوـ مـغـمـزاـًـ لـلـمـؤـلـفـ،ـ بلـ الـمـؤـلـفـونـ يـتـبـارـوـنـ بـاـنـهـمـ مـرـهـفـوـنـ وـيـتـبـاهـلـوـنـ بـرـاءـعـةـ

كتبهم وان نالت لدى الناس حظوة وقبولاً فسيجازون اما بعضاوية الماجامع العلمية، او بشرف (كروي دونور^(١)) او بجوائز (نوبل) باعتبارها خدمة للانسانية وكم بلغ كتاب الجنس مصاف المثيرين الكبار من امتيازات كتبهم ،ولم يفتهن بعد ذلك ان للشعر فتنة سحرية تفتر على ارهف وتر ينبع في القلوب والمشاعر ويغذي الموسيقى بمعين لا ينضب من الخواطر الحديثة.

صور المائعتات:

وان الصور الفوتوغرافية والمجسمات العارية تلهب الشهوات الدفينة والغرائز المائجنة وتفعل بالعواطف ما لا تفعله الحقائق الصارخة لذلك كله عمدوا الى استخدام الشعر والفوتوغراف ومصانع المجسمات كي يصر-فوها في مقاصد الاغراء والمجون حتى يسنج لهم استخراج اكبر قسط من أموال الناس من جيوبهم، ولذلك لا تجد اليوم اعلاناً تجاريًّا في الصحف الا وسمته البارزة صورة امرأة مبتذلة كأنه لم يعد من الممكن أن يكون اعلان ما وافياً بالغرض بدون وجود الاغراء الجنسي- حتى أصبحت صور العاهرات والعواهر في حالات مريرة اقوى جهاز للدعائية والمعايدة والالفات.

وقد كان للمطبع، ودور النشر، والاذاعة، والتلفزيون دور ناجح في تنشيط قفزة الميوعة والاستهثار.

(١) نفس المصدر: ١٠٣ .

أدوات الاغراء:

ولم يفلت من دهاء التجار استغلال غريزة التبرج التي خامرته فطرة المرأة، فتفنوا في ابتكار أدوات الزينة والترف واساعوها في المجتمع كي تصبح من الحاجات الأساسية للمرأة ليربحوا منها فيضاً وفيراً وابتدعوا الأزياء الكاشفة المغرية واكثروا الغواني الفاتنات ليرتدبنها ويعيشن بها النوادي والخلفات حتى يفتتن بهن الشباب النزق وتغرم الفتيات بتلك الأزياء الجديدة والالوان الزاهية من الثياب الفضفاضة الرقاد وتدرعوا بهذه الطريقة لا ستدرار اموال الناس.

النساء المغريات:

ثم كان التنافس الحر وكان التجار يعلقون القطع واللافتات الكبار على قارعة الطريق وعلى ابواب الحوانين ليجلبوا بها انتباه المستهلكين، غير ان التجار - جميعاً - كانوا يفعلون ذلك حتى اصبح شيئاً مكرراً لا يلفت الانظار ثم بدا لهم من بعد ما رأوا فشل هذه العملية ان يعمدو الى الكواعب الحسان فيلتقطوا منهن اجمل فتاة آسر الجمال ليحلوها بأروع الازياء والخليل والماهاج ويستخدموها مكان اللافتة في الحوانين ل تعرض الامتعة على المستهلكين وتماكسن على الثمن، وفي الحقيقة لم يكن استخدامها لأداء هذه الوظائف وانما جيء بها لتكون دمية تعمل فتتها المغناطيسية الاخاذة في الرجال فترغمهم على شراء حوائجهم من عندها دون أن يماكسوها طويلاً حتى أنك اليوم لن تجد في المدن المزدحمة معرضًا، ولا فندقاً، ولا مقهى، ولا سينما، ولا حانوتاً إلا وفي صالته فتاة متحلية بأحدث المغريات تستقبل الوراد بغمجها ودلاتها.

لقد سمت هذه العوامل الموبئية أجواء العالم كله وسلخت من البشرية كل خاطرة من معانى الاخلاق والفضيلة ونازعت حتى الدرهم من يد البدوي التائه، ولكنها لم تنجح في إشاع مطامع الرأسماليين فأرادوا التوسيعة في الاستغلال وحاولوا لو يتبعوا فتنة تقهير مختلف الطبقات والاصناف على التعرية من أموالهم لتنصرف إلى أيدي نفر من تجار البشرية وخزان الفضة والنضار.

المسارح والـ

فعملوا المسارح، والملاهي، والسينمات، والمقاهي، والحانات، وأجهاء الموسيقى، والمسابح المختلطة، ونوادي العراة، ثم دور الدعاارة و... ما ينبو عنه القلم واستخدمو الغيد والغلمان وصنعوا للمرأهقين والمرأهقات وسائل الممثلين والنجوم جميع أدوات التبرج والاغراء الصارخ وجعلوا يعرضون فيها على المنصات الاجساد المثيرة العارية أو شبه العارية وكل ما تحفل بها من فنون الدلال والغجر وعمموها لمختلف الطبقات وفي كل مكان كي لا يشد عنها أحد حتى فلاح المزرعة وإن أوقى المعجزات من العصمة وقوة العقيدة والثبات والدين والأخلاق حتى أهبووا الدنيا ضراما وحولوها إلى بؤرة فساد تضج بالاوبيات الغفاله الموبقة واتسع الفجور حتى أصبح ميدان الشارع، والنادي، ووسائل المواصلات ...^(١)، وحتى أصبحت النساء في البلاد المزدحمة - إلا

(١) للمصلحين الاخلافيين في القطر الامريكي مجلس يعرف بـ (اللجنة الاربعة عشرية) يعني بالفحص عن مكامن الفجور والتحقيق عن حالة البلاد الخلقيه واتخاذ التدابير

النادرات - مشاعة رسمية قانونية دون أيها تأثم او استنكار وحتى سيطرت الشراحت البهيمية الدينية على الركائز الإنسانية النزية فأمست المرأة متعدة قبل كل شيء وان غروها بآلف شيء وشيء وحتى امست.

وأسألي هذه المأساة الطويلة بتسجيل هذه الحقائق التالية كشواهد على مدى سقوط الإنسانية في ظل النظام الرأسمالي الخليع.

مباذل:

قد يقيم العشيق مع عشيقته وزوجها في منزل واحد ويعيش الثلاثة في هذا الوضع على اتم وفاق ! وهذا الوضع منتشر انتشاراً كبيراً في فرنسا على الاخص ويسمونه هناك (التعايش الثلاثي).

وفي السويد تعطى الزوجة حق اختيار صديق يكون له ما لزوجها من حقوق، وفي امريكا لا تقاد الفتاة تبلغ سن الرابعة عشرة حتى يكون لها خدن يظل يعاشرها معاشرة الزوج لزوجه حتى تتزوجه او تتزوج غيره^(١) ، وحتى



العلمية لاصلاح الاخلاق على نطاق واسع ، وقد جاء في تقريرها : إن كل ما يوجد في البلاد الأمريكية من المراقص ، والنادي الليلي ، ومجالي الزينة ، وأماكن التدريم ، ومراكم توبيع الشعر قد اصبح جلها مواطن للفجور ودوراً للبغاء ، بل هي أقبح منها وأشنع لما يرتكب فيها من الرذائل التي لا تصلح للذكر (نفس المصدر: ص ١٣٣).

وقد روت الصحف : ان الممثل الهزلي (بوب هوب) زار باريس فكتب من هناك الى احدى صديقاته : (أوه يا عزيزتي الفتيات هنا سماويات وأينما اذهب أجد القبلات في الاتوبيس) وعلى سلم (الاتوبيس).

(١) محمد الغزالى، الاسلام والطاقات المعطلة: ص ١٥٢-١٥٣

مطلع القرن العشرين لم يبلغ التفسخ الخلقي الى هذه الدرجة من الصراحة، بل كان زنى الرجال امراً هيناً طبيعياً يغضي عنه الاباء بشر-ط ألا تصاب ابنائهم بالامراض السرية، وربما كانوا يتباشرون او يلحوون على ابنائهم ان يخادنوا امرأة لها مكانة مالية او اجتماعية، وذلك ضمناً لمستقبلهم، ولكن نظريتهم بشأن المرأة كانت مختلفة عن ذلك جداً الى تلك الاونة، فكان عفاف المرأة شيئاً له قدرة وقيمه واؤلئك الاباء الذين كانوا لا يرون بأساً بخلاعة ابنائهم معذرين عنها بسورة الشباب، كانوا يغارون على اعراض بناتهم ويحرضون على براحتها من كل وصمة سوء، غير ان هذه الظاهرة الحسنة تقلصت بعد صراع طويل مع المتابkin على حقوق المرأة والمطالبين بمساواتها مع الرجل حتى لم يعد تعلق المرأة بالرجل شيئاً يدنس عفتها وكرامتها كما ان الشذوذ الجنسي- اصبح امراً مشاعاً في الاوساط وبصورة في المتزايدة في المدارس والكلليات و... كما يتحدث عن ذلك الدكتور (هوكر): (انه لا تزال في مثل هذه المدارس، والكلليات، ودور التربية للمرضى حوادث من تسافح الولدين من الجنس الواحد فيما بينهما وقد تلاشى - او كاد - ميلهم الطبيعي الى الجنس المخالف^(١)..).

وقد كتب القاضي (لندي) الامريكي: (ان خمساً واربعين في المائة من فتيات المدارس يدنسن اعراضهن قبل خروجهن منها وترتفع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم التالية: ان طالباً في مدرسة ثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة والتهاباً، فالصببية هي التي تقدم ابداً وتأمر وما يفعل الصبي إلا ان

(١) نفس المصدر: ١٢٦.

يتبع ويأقر^(١).

وقد كثرت الفواحش - على الاخص في الامم الراقية في بادئ الامر بصورة غير منتظمة فمثلاً ان النساء اللواتي اخزن من الفحشاء حرفة برأسها في امريكا كان يقدر مجموعهن - على اقل التقدير - بين اربعينائة وخمسينائة الف^(٢) وفي فرنسا كان عدد البغایا المحترفات قبل الحرب العالمية الاولى نصف مليون^(٣) فكان عليهن ان يستخدمن لهذه الحرفة الجرائد، والبطاقات المضورة، والتلفون، ورقة الدعوة الشخصية حتى جاء قوم فمهدو الاسباب لا كراء النساء وتقديموا بحرفة البغاء الى ان اصبحت تجارة دولية منظمة^(٤) ، كما صرخ موسیو (فردينان دريفوس) احد اعضاء المجلس الفرنسي قائلاً:

(ان حرفة البغاء لم تعد الان عملاً شخصياً، بل قد اصبحت تجارة برأسها، وحرفة منظمة، بفضل ما تجلب وكالاتها من الارباح الغزيرة فلها في هذه الايام وكلاء يهيئةن (المواد الخام) واخرون يتجلبون في البلاد ولها الان اسواق منتظمة تستورد فيها وتصدر منها الفتيات والصبايا كالاموال التجارية، واكثر ما يطلب في هذه الاسواق من الاموال هو بنات دون العاشرة^(٥) .

(١) نفس المصدر: ١٢٨.

(٢) نفس المصدر: ١٣٠.

(٣) نفس المصدر: ٩٩.

(٤) نفس المصدر: ٨٥.

(٥) نفس المصدر: ١٠٠.

ويكتب (بول بيورو): (ان هذا العمل(احتراف البغاء) قد اصبح في زماننا نظاماً محكم التركيب يجري بما شئت من التنظيم على ايدي الموظفين، والعاملين المأجورين، والخطباء، والمحاضرون، والاطباء، والقابلات، والسياح التجار، ويستعمل له كل جديد من فنون النشر، والعرض، والاعلان^(١).

ومن اكبر اسواق البغاء في امريكا عواصم (نيويورك) و (ريودي جنiero) و (بونس آيرس)، ولكل من المركزين الاكبرين من مراكزه التجارية في مدينة (نيويورك) مجلس تنفيذي يتتخب رئيشه وامينه بطريقة الانتخاب المألوفة ولكل من تلك المراكز مستشارون من رجال القانون يراقبها مصالحها اذا هي وقعت في قضية قانونية، ثم تستخدم تلك المراكز نخاسين لراودة الفتيات عن انفسهن يتجلولون في البلاد بحثاً عن الصيد.

ومن امتداد نفوذهم في المجتمع انه عنى رئيس رابطة الجالية بـ (شيكاغو) ذات مرة باحصاء عدد الفتيات المغويات في مدة خمسة عشر- شهرأً فعلم انه وردت على مكتب الرابطة رسائل (٢٠٧٠٠٠ مائتين وسبعة الآف) فتاة اخبرن فيها المكتب بكونهن في الطريق الى شيكاغو.^(٢)

(١) نفس المصدر: ص ١٠٠ .

(٢) نفس المصدر: ص ١٣١ - ١٣٢ .

الرأسمالية الجديدة

رد الفعل:

كان النظام الرأسمالي الديمقراطي يحافظ بالقسوة والعنف على حرية التجارة المطلقة التي تخضت عن تلك المظالم والماسي النابية ولم يكن للسلطات الحاكمة ان يضع حدأً لهذه الجرائم الاجتماعية الشاملة بتحديد حرية الاقتصاد لأن الرجال المالين كانوا يكمنون الافواه بالرشي، والرصاص، .. ويتباكون على الديمقراطية التي تنص على حرية الاقتصاد المطلقة وتجعلها فوق القانون ومناول الحكومات.

وحيث كان النظام الديمقراطي يوفر - ايضاً - حرية الصحافة والخطابة والمظاهرة والتصويت أخذت تضج الصحف وتتعج الشوارع والبرلمانات والمعامل بالمقالات الشائرة، والخطب النارية الحامية، والمظاهرات الصاحبة، والاضرابات الطويلة المطالبة بالضرب على ايدي التجار المستأثرين وتوفير حقوق العمال والمستخدمين.

وكانت الانتفاضات المتلاحقة تضطرب بالامن والتجارف كانت تتلقى المقاومة من السلطات والتجار معاً، وحيث لم يكن يقودها غير الشعور بالحقوق السلبية كانت تقدم الضحايا وتحقق في المطاف الاخير، غير ان هذا الشعور الذي اختمر الاذهان ونضج وتجسم حتى حفز بالجماهير التي تنفجر حماساً ونشاطاً الى الشوارع والمجتمعات جعل يكسب التجارب الثمينة من المزائق التي مر بها عبر

نضاله الطويل، كما تطور الى صورة مغربية كسبت السلطات إلى جانبها وتطور منطقها أيضاً، فأخذت الجماهير تنادي: إن الدولة الجمهورية لا تكون إلا مظهراً لصالح الجمهور الذين ينظمون قوتهم السياسية في صورة هذه الدولة فأي شيء إذن يدعوا إلى الأحرار على أن تكون الحكومة الجمهورية محدودة العمل ضيقة النفوذ، كما كانت الحكومات الملكية من قبل. إن الواجب على الحكومة الجمهورية أن تعمل للمصلحة الجماعية على الوجه الإيجابي، وإذا وجدت المظالم في المجتمع فعليها أن تعمل على تداركها بوضع القوانين وبتدخلها الإداري المسلح كادت التجار أن تخسر المعركة تجاه هذا المطلب، كما خسرت البرلمان اليوم أن أصبح حق التصويت مشاعاً للجميع.

بركان الحرب:

لولا ان انفجر برkan الحرب التي هزت العالم هزاً ونازعت الارواح وأطاشت الافكار وانهارت الفرصة التجارية، فرفعوا اجرور العمال قليلاً ورفعوا الاسعار أضعاف ذلك وتناسى العمال مطالبيهم واستسلموا للاقدار التي تحلك على رؤوسهم والبلاء الذي يحيق بهم وانصرفت الحكومات عن الشعوب وطلباتها وأخذت تختلس أنفاسها الاخيرة وهي تطفوا وترسب في غمرات الحرب.

انفجارات:

فأهدرت حقوق العمال وتضاعفت قسوة الرأسمالية وكان لا بد من ذلك، غير ان الارض أخذت ترتجف وتلاحقت على الرأسماليين ضربات قاسية من

مطاراتق حديدية أيقظتهم في مخادعهم، فقد قامت الشيوعية في روسيا حتى استئصلت دابر البورجوازية باللخديد والنار وانفجرت (الفاشية) و (النازية) في (إيطاليا) و (المانيا) فحصرتا البورجوازيين والعمال - جمِيعاً - في نطاق جبri ونظام حديدي .

هذه الانفجارات الرهيبة حاسبت الرأسمالية والقت بصيحاً من الضوء على جرائمها الوحشية وهدتها بالمصير الاسود القريب، فما انفكَت تقبل في نظامها الاقتصادي الحر القديم بما كانت تلقاه من ضغط العمال وقوة الجمهور المتزايدة تارة ومن تلقاء نفسها أخرى، التعديلات التالية :

تعديلات:

١ - رفع اجرور العمال والمستخدمين والتقليل في ساعات العمل، والرفق في احوال الاشتغال، وإعفاء النساء والاطفال من العمل والخدمة - في بعض الاحوال - والاحتفال بنفس العامل وصحته، والعمل على تحسين بيته وببيته بالنسبة لها من قبل، والتدارك - ولو بشيء يسير - عند مصابه بضرر في البدن والترويج لبعض مشروعات التأمين الاجتماعي.

٢ - قد سلموا بصفة رسمية في كل شعبة من شعب الاقتصاد بنقابات العمال والاجراء ومنظماهم من حيث هي ممثلة لهم ومجازة بالموافقة عليهم، كما اعترفوا بمشروعية بعض التدابير العملية التي تساعد العمال والاجراء لحمل المستأجرين^(١) وأصحاب المعامل على إجابة مطالبهم.

(١) المستأجرون رجال مثروون وفي اكثر الاحيان لهم علاقة بالسلطات يستأجرون الارض أو

- ٣- فوضوا للحكومة صلاحية التحكم بين رأس المال والعمال وكذلك عينت الصور القانونية والبنود القضائية والجنائية المختلفة لفصل الصراع القائم بينهما.
- ٤- اعترفوا بالبدأ القائل: (ينبغي ان يفرض على الاستئثار الفردي من القيود والحدود مالا يعود معه مضرًا بالصالحة الاجتماعية ولا يقوم بفرض مثل هذه القيود والحدود إلا الحكومة) المحايدة نسبياً.
- ٥- نهضت الحكومة ببعض الخدمات الاقتصادية العامة كالبريد، والتلغراف، والتلفون، والقطار، وإنشاء الطرق والشوارع وتعهدها، وإنبات الغابات، وتوزيع المياه في المدن والبساتين والاراضي الزراعية، وتوليد الكهرباء وتوزيعها، وتحديد العملة ورقابتها.
- ٦- وفر للعمال والاجراء الحق في الاشتراك مع أصحاب الشركة، وذلك بتقسيم الشركة إلى سهام رخصصة يستطيع العامل الوضيع أن يدخل من اجره كل يوم شيئاً حتى يشتري به بعض السهام، وقد اختيرت في بعض البلاد صور ينقد العمال والاجرا فيها - وفقاً لقواعد معينة - قسماً من اجورهم ومشاهراتهم ويضم الجانب الآخر منها إلى رأس مال الشركة من قبلهم . وهكذا أصبح كثير من العمال والاجراء شركاء في ملكية شركتهم، أو مجموعة شركاتهم الائلافية حتى ان في بعض المعامل

القرية أو المقاطعة من ملاكها، اونه جبراً وطوراً اختياراً، ثم يعاملون العمال وال فلاحين معاملة اقطاعي نفسه بل أقسى وأمر.

الثقيلة نحو ٩٠٪ أو ٨٠٪ من عمالها شركاء في ملكيتها، ولا تزال نسبة شركتهم في نمو مطرد بهم من السهولة في اشتراك الاسهم بالتقسيط من الاموال ما يؤمن حاجاتهم لأنهم يعملون بأجور ضئيلة، أو لا يجدون العمل.

فلنأخذ قضيته من القضايا الحياتية كقضية تأمين المساكن، ونذكر على سبيل المثل ما جاء في (سجل الواقع) الموضوع من قبل اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة من: أن ١٥ مليون شخصاً يعيشون في الاحياء الرثة القدرة وأن شروط السكن غير متوفرة في ١٣ مليون بناء (أي ربع مجموع البناء) وأن ٧ ملايين بناء في المدن غير صالحة للسكن من جراء تداعيها بصورة رهيبة.^(١)

افناء البضائع:

الكثير من الغلة، والفواكه، والعلبات، والبضائع الآخر تفسد أو تبور على أثر الاحتكار فيحرقونها، أو يقذفونها في البحر كل عام، وربما تصاب الاسواق بالتخمة نتيجة لتدفق الانتاج فيهدد الرأسماليين بتحفيض الاسعار، فيعمدون إلى استعمال الشعوب الضعيفة لصرفها فيهم، أو يحرقونها قبل أن يأتوا بها إلى السوق خشية الرخص والرخاء كي تبقى الشعوب جائعة حتى لا يعز عليها دفع الائتمان الفادحة بازائها.

(١) خروشوف. الارقام التوجيهية، ط موسكو: ٦٩ .

إهمال العجزة:

ففي المجتمع الرأسمالي لا تعتبر الدولة، ولا المجتمع، ولا الطبقة المالكة نفسها مسؤولة عن كفالة أولئك الملايين الذين يتعطلون عن العمل رغم قدرتهم عليه، أولاً يقدرون على العمل لكبر سنهم أو صغرها، أو يعجزون عنه موقتاً أو دائياً. أما التأمينات الاجتماعية فأنها أسماء أكثر مما هي حقائق وإن وجد بعض هؤلاء معونة – على سبيل المصادفة – فهو حظ لا تأمين ونظام.

تشنج الاقتصاد:

فالرأسماليون يرفعون الأسعار – حينما يشاؤن – إلى أرقام خيالية ويحدثون القحط المصطنع بخبطط مرسومة ومؤامرات يحجبونها بطرق المساومات السرية والمقامرات التجارية التي تلعب بالتجارة لعب الامراء بالشعوب.

دوران التجارة:

وهذه الالاعيب الصبيانية التي يزاوها التجار تتضخم فتصيب الشعوب بضدالمات الاقتصادية منهكة فيكون رد فعلها نوبات الكساد والبوار التي تتناب الاقتصاد العالمي غب كل فترة مسحورة ونشاط محموم ينبعجس في صميم التجارة العالمية.

ذلك أن جشع التجار يحفزهم إلى الاكتار من التطورات التجارية والتلوّنات في استنزاف ثروات الشعوب باختلاق الاساليب الفنية في ابداع المفاهن الكمالية وأدوات التسلية والترف والاغراء فيلهون بذلك عن إنتاج البضائع الأساسية، غير أن الناس لا يشعرون بشيء في باكورة الامر، وإنما يقبلون على اقتناء هذه البدائع الخلابة فينهمل التجار في الاستزادة منها وتطويرها، وإطلاعها بشتى

المغريات . هكذا ينقضى دور متحفز نشيط في تاريخ التجارة وفجأة يشعر الناس بأن جيوبهم قد فرغت أو تقاد فيتراجعون عن شراء الكماليات وفجأة يحس التجار أن المخازن والأسواق قد نفضت آخر (لت) من البضائع الأساسية عندما يرون أن البضائع الكمالية الواردة إلى مخازنهم لا تستهلك بسرعة مناسبة فيتوقفون عن الطلب ، والصناعة عندما يرون هذا الوضع يمسكون عن الانتاج والرأسمالي حينما يتفرس التوتر وعوائده الخطر يمتنع عن الاقراض ويستعجل في استرداد ما أقرضه من قبل ، وعندما تلمح الحكومة ضعف ميزانيتها تحدد نفقاتها ، وهكذا تخفي المعامل والمصانع إنتاجها وتخفض الأسعار إلى ارقام اسمية ويقلل العمل وتسف الأجور فتعم البطالة ويكشر . الكساد عن أيابه وكل خطوة تقهقر هكذا تقهقر خطوات عديدة أخرى معها حتى إذا وقف التجار على نقطة التحول وعرفوا أن الناس مقبلون على البضائع الأساسية – على حين ندرتها – تحولوا عن موقفهم السلبي إلى إنتاج واستيراد البضائع الأساسية فتدبر الحركة في أسواق البضائع الأساسية وينhim الكساد على أسواق الكماليات ، عند ذلك يقرر المصير لطائفتين فتحتم الخسارة على أصحاب المعامل التي تنتج أدوات البذخ والترف وأرباب المخازن المتخومه بالكماليات بينما يكتب الموز لتجار المواد الغذائية والأنشائية ، ومالكى معامل النسيج وسائر البضائع الأساسية .

هكذا تفرط تجار من حلبة التجارة وينظم آخرون من الطبقة الواطئة إلى المباراة ، وهذا الداء المعروف بـ : (دوران التجارة) يلاحق الرأسمالية ملاحقة الظل للإنسان .

فسخ المجتمع:

وهذا النظام لا يحترم حاجات الافراد ولا يدع المجتمع على ما يجب ان يكون عليه، وأنما يقدس ما يجلب الاموال بسرعة وسهولة، ولويتحطم المجتمع كله على أكواه النصار، فحتى الان تعتبر المنافع الشخصية مقاييساً وهدفاً للحياة، ولا يزال الاقتصاد العالمي يتركز على الربا، والاحتياط، والخمر، والقمار.

اخماد الثورة:

هذه النقائص والنقائص، والكثيرة من أمثلها لا تزال موجودة في الرأسمالية الجديدة المقيدة كما كانت في الرأسمالية الحرة، في القرن التاسع عشر، وذلك ما يدل على أن الرأسماليين لم يفكروا ولن يفكروا في اتخاذ التدابير الجذرية لمعالجة هذا النظام وفق المبادئ الإنسانية النبيلة والذي حصل حتى الان ان الطبقات البرجوازية ظلت تعذل مناهجها على قدر ما لقيت من ضغط العمال واحست بخطر الشيوعية بين آن وآخر وبقدر ما يخفف سورة العامة وغضباتها النكراء ويسد الطريق على الشيوعيين في استغلال رئاسة العمال ويخدر الاعصاب الشائرة على الرأسمالية والرأسماليين دون أن تكون هناك أية رأفة بالعمال، او اي تقدير لحقوقهم ومشاعرهم.

تقرير:

فالنتيجة الملخصة ظهر ان هذا النظام فاشل لا يستطيع حل المشكلة الاقتصادية وهي توزيع السلع والخدمات على الافراد وتشجيع الطبقات وغذيها بالحقوق القانونية المسلحة، ولم يستطع ان ينظم الاقتصاد في نطاق الاديان

والأخلاق فاضطر إلى تحطيم الأديان والأخلاق وجماع القيم والفضائل وهكذا جرد المجتمع من الآثار والترابط والتعاطف والثقة المتبادلة وكل ما يرفعه عن الإنسان في الحياة وابدلها بعراقيل وقيود مضنية وصراع عسكري مسلح.

وهاته الفكرة المادية الهوجاء عصفت بالمجتمعات الرأسمالية حتى جعلتها على جرف هار يتارجح للسقوط، ثم انطلقت تصب على العالم الاستعماري والحربي، كما أن كل بند من بنود هذه الفلسفة وكل ما جاء فيها من تفاصيل واحكام مغلوطة متفاقمة التناقض تعرقل سير الاقتصاد وتخرقه عن منهاجه الكامل الصحيح .

هذه هي الرأسمالية:

وتلك بعض سيئاتها ومجاذيفها التي اباحتها بكل صفافة وجرأة تبعاً لحرية التجارة والاقتصاد التي اعلنتها باديء ذي بدء، فصبت العذاب الاليم على رأس الإنسان وهي الان وبعد ما وقفت على اخطائها وجرائمها لا ترضى ان تعلن انهزامها من الميدان عناداً لا لشيء، ولقد آن للناس ان يعرفوا الفكرة الرأسمالية لا تصلح شيئاً من حياتهم الاقتصادية، فلا بد ان يبنوها لا الى الاشتراكية ولا الى الشيوعية فهماً اسوأ من الرأسمالية، بل الى الاسلام.

الاقتصاد الشيوعي

فكرة الشيوعية:

يزعم قادة الشيوعية إن الإنسان بفطرته الأصلية ليس محبولاً على الاستئثار والاستغلال ، وإنما البيئة هي التي تطبعه بطوابعها وتوحي إليه بكل ذلك ، ومن الممكن تحريره من الميول الشريرة والعقلية الفردية حتى يلبى نداء العقلية الجماعية والمدنية المركزة في الإنسان وعندما يتحقق ذلك يقضى بصورة تلقائية على الصراع القائم بين إنسان وإنسان كنتيجة طبيعية لتسابقهما على المنافع الشخصية المعينة ويعود الإنسان ملائكاً طهوراً مجرداً عن حب الذات والظهور، والاستغلال، والاستئثار، والاستعلاء، ... ويصبح فوق منوال النوازع والجواذب الداخلية والخارجية ، وينصهر في بوتقة المجتمع حتى يتسم بنكران الذات نكراناً تاماً ، فلا يكاد يشعر بكيانه ومصالحه الفردية ، وإنما ينتصب تجاهه الاجتماع ومصالحه فهو أبداً يعمل ويعمل للاجتماع ولا يتذكر نفسه إلا عندما تلح عليه الحاجة فيتناول من البضائع ما يشبعها دون أيما ترف ثم يستمر في الجهاد والتضحية بنفسه ومواهبه في سبيل الاجتماع ، عندئذ يخرج الإنسان من مملكة الحيوان إلى دولة الإنسان وتنطبق عليه الصيغة الشيوعية (من كل حسب مقدرته ، ولكل حسب حاجاته) .

ولا تقع هناك معارك تحتاج إلى تدخل المحاكم في فصلها ، فالصراع أبداً يكون على المصالح الفردية المترادفة ولا تبقى في المجتمع الشيوعي مصالح فردية ، كما

لا توجد هناك مبارأة في ميدان حتى ينشب الصدام على النتيجة، وبعد ذلك لا تبقى حاجة او فائدة للدولة هنالك يعود الانسان الى حالته الطبيعية، ويلغى القيود والحدود المفعولة كما كان اول يوم وضع قدميه على الأرض، فقد كان يعيش في مجتمع شيوعي تسوده الفطرة البشرية الطاهرة غير الملطخة بالحضارة والمدنية.

تلك هي فلسفة الشيوعية الاساسية التي انفصلت منها القوانين والبرامج وتتلخص هذه الفلسفة في الصيغتين التاليتين:

١ - فطرة الإنسان ليست مختمرة بحب الذات ، أو الاستغلال والاستعباد، وإنما هي فطرة جماعية لا فردية ، وإنما طبعتها البيئة بطوابع يمكن تحريرها منها وإعادتها إلى ما كانت عليه أول يوم .

٢ - إن المراحل التي مرت بها البشرية عبر التاريخ والقرون هي :

أ-الشيوعية الأولى .

ب-الرق .

ج-الإقطاع .

د-الرأسمالية .

هـ-الشيوعية الثانية .

مرحلة التطبيق:

فيستتجون من ذلك كله انه لا بد من اعادة الفترة الشيوعية الاولى لاسعاد البشرية وازدهارها ولا بد لذلك من:

- ١- استيلاء (البروليتاريا^(١)) المتمثلة في الحزب الشيوعي على الحكم بالقوة والعنف.
 - ٢- القضاء على رأس المال والربح الناتج منه.
 - ٣- القضاء على كل ما يعزز كيان الفرد ويوقف فيه النزعة الفردية وذلك بانتزاع الملكية الفردية وبعثرة العائلة .
 - ٤- تأميم وسائل الإنتاج^(٢) بمصادر الثروات وجعلها ملكاً للمجموع.
 - ٥- القضاء على الطبقات وعلى البروليتاريا ذاتها بصفتها طبقة .
 - ٦- تحرير المجتمع من الدين والأخلاق وكل ما يعرقل سير الشيوعية من القوانين السائدة في البلاد.
 - ٧- إجبار الأفراد على العمل حسب طاقاتهم .
 - ٨- توزيع البضائع حسب حاجات الأفراد .
 - ٩- القضاء على الدولة .
- وللتدليل على صدق هذه النقاط نسجل تصريحات زعماء الشيوعيين.

(١) كلمة روسية معناها: طبقة العمال.

(٢) التأميم: هو سيطرة الدولة على الممتلكات وتصريفها في صالح الشعب بصفتها ممثلة لمجموع الأفراد.

ديكتاتورية البروليتاريا:

أول ضرورة من ضرورات قيام العهد الشيوعي هو استيلاء طبقة البروليتاريا على الحكم بالقوة والعنف كما يصرح بذلك كارل ماركس وفردريك انجلز: (... حتى الساعة التي تتفجر فيها هذه الحرب بشكل ثورة علنية وتأسيس البروليتاريا سيطرتها – بعد القضاء على البرجوازية^(١) – بالشدة والعنف...)^(٢) ويسترسلان الى حيث يقولان: (...) اما هدف الشيوعيين المباشر فهو الهدف نفسه الذي ترمى اليه جميع احزاب العمال أي تنظيم البروليتاريا في طبقة وهم سيادة البرجوازية واستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية^(٣).

ثم يؤكdan ذلك – ايضاً – : (ان المرحلة الاولى في ثورة العمال هي كما رأينا تشييد البروليتاريا في طبقة سائدة والاستيلاء على الديمقراطية وتستخدم البروليتاريا سيادتها السياسية لاجل انتزاع رأس المال من البرجوازية ولا يتم ذلك الا بخرق حق التملك ونظام الانتاج البرجوازي بالشدة والعنف^(٤)). فالخطوة الاولى من خطوات الشيوعية هي: ان تتسم البروليتاريا السلطة السياسية بالشدة والعنف وهدفها الاخير حذف الديمقراطية لتبقى الدكتاتورية والارهاب المتسرب الى جميع جوانب الحياة، وكانت وصية كارل ماركس بذلك

(١) كلمة افرنسية معناها: الطبقة الوسطى من مالكي وسائل الانتاج.

(٢) (البيان الشيوعي): ٤٠.

(٣) نفس المصدر: ٤٣.

(٤) نفس المصدر: ٥٢ – ٥٣.

تستند الى حجج هي: (ان مجرد قيام انقلاب شيوعي لا يكفى لتحقيق مبادئ الشيوعية لان العبرة بالتنفيذ، فالطبقة الرأسمالية التى تسحقها طبقة العمال ستحاول دائمًا التامر ضد الشورة الشيوعية كما ان الطبقة العاملة ينقصها دائمًا العلم والتنظيم لأنها جاهلة وغير منظمة بحكم نشأتها، ومن هنا سيصبح حتى على العمال ان يواجهوا مشكلتين خطيرتين هما:

اولاً: عدم قدرة الطبقة العاملة على حكم نفسها بنفسها عندما تؤل اليها السلطة.

ثانياً: خطر قيام الطبقة الرأسمالية بمحاولات ناجحة باسترداد سلطتها المسلوبة، ولذلك ينبغي ان تقوم على اثر الانقلاب الشيوعى دكتاتورية عمالية عمدتها هيئة مختارة من قادة العمال المثقفين تتولى الحكم وتهيا الشعب للنظام الشيوعي^(١).

وبعدما جاء (لينين) الى الحكم اخذ يردد نفس النغمة معلنًا ان حكومته لم تقم الا بالقوة والدكتatorية: (من المؤكد ان جميع الناس يرون ان البلاشفة^(٢) كانوا يستطيعون البقاء في الحكم لا اقول سنتين ونصف سنة، بل حتى شهرين ونصف شهر لو لا نظام الطاعة الصارم، لو لا نظام الطاعة الحديدي حقاً في حزبنا^(٣) ...)

(١) (النظام الشيوعي): ٦٧.

(٢) البلشفيك معناها: الاقلية مقابل المنشفيك التي معناها الاكثرية والبلشفيك هو حزب الشيوعيين سمو حزبهم بهذا الاسم حيث كانوا اقلية.

(٣) ستالين . (اسس الليينينية)، ص ٩٧ - ٩٨ عن لينين من كتابه: (مرض الطفولة في الشيوعية): ص ١٧٣.

فلولا الدكتاتورية العاخصة التي تذرع بها لينين وأوصى بها كارل ماركس وإنجلز لما كتببقاء للحكومة الشيوعية لا سنتين ونصف سنة بل ولا شهرين ونصف شهر.

ثم رأى لينين ان القوة التي تتسلح بها الحكومة السوفياتية والحزب الشيوعي لا تستقل بذاتها، لذلك ضم اليهما قوة البروليتاريا، ففرض عليها الدفاع عن الحكومة الشيوعية: (... ولكن في الدولة البروليتارية التي هي من النوع الانتقالي كدولتنا لا يمكن ان يكون الهدف النهائي لكل عمل تقوم به الطبقة العاملة سوى تقوية الدولة البروليتاريا وتقوية سلطة الدولة التي تمارسها طبقة البروليتاريا وذلك بالنضال ضد كل ما يقع من تشويهات بيوقراطية^(١) لهذه الدولة^(٢)...).

فليما كان دور ستالين وقام بالاعمال القاسية التي تقرز منها النفوس وتقشر منها الابدان حاول تبرير موقفه فقال عام ١٩٣٤ م : (لماذا نتفاخر بسلطتنا الطاغية؟ ولماذا نتفاخر بإجراءات القمع الصارمة التي نلجأ إليها؟ ولماذا نتفاخر بسلطتنا المطلقة؟ الجواب هو اننا نتفاخر بها لأنها سببينا إلى النصر والنجاح ولن نفلح في تدعيم النظام الشيوعي إلا اذا اتصفنا بالصرامة والقسوة والطغيان والاستبداد، ... كل ذلك ريثما تتحقق الثورة الشيوعية العالمية^(٣) .

(١) (البيوقراطية - ضد الديمقراطية - معناها الفردية).

(٢) لينين . ((حول دور النقابات ومهمتها)) ط دار الفارابي، ص ١١ .

(٣) (النظام الشيوعي): ص ٢٥ .

وصرح عام ١٩٢٨ : (.. اوصانا لينين بان نكون قساة عتاة في معاملتنا مع اعدائنا في الداخل والخارج، ونحن لا نريد ان ندع اعدائنا في الداخل والخارج يعملون ضدنا، بل انه يتوجب علينا ان نمنعهم بالقوة من ذلك، وهذا تعتبر الوسائل العنيفة القاسية التي نعامل بها خصومنا عملاً مسروعاً له ما يبرره مهما بدا هذا العمل استبدادياً وطاغياً^(١) .

ولقد جعل ماركس القوة قانوناً وحقاً فقال سنة ١٨٦٠ م: (القوة هي التي تحدد مصير كل شيء فالقوة هي القانون الطبيعي الذي يكشف عن نفسه في كل ميدان، وهذا فاننا نؤمن بأن الحق كامن في القوة ونؤمن بأن القوة هي سبيلنا الى النصر^(٢) .

وسار على خطته لينين حيث قال سنة ١٩٠٥ م: (فلتكن سياستنا قائمة على اساس القوة وبالقوة نرعب خصومنا وبالقوة يحترمنا انصارنا وبالقوة نحطم النظام القديم وبالقوة نقيم نظاماً جديداً ان القوة هي مفتاح النصر^(٣) .

ثم اضاف على ذلك قائلاً سنة ١٩٢٢ : (ليس الشيوعي الصادق هو ذلك الشخص الذي يؤمن بتجريد خصميه من قوته فحسب، بل الشيوعي الصادق هو ذلك الشخص الذي يقتل خصميه بعد ان يجرده من قوته فالموت هو الشيء الوحيد الذي يريحنا من خصومنا^(٤) .

(١) (النظام الشيوعي) ص ٢٤.

(٢) (النظام الشيوعي) ص ٢٢.

(٣) نفس المصدر: ٢٢.

(٤) نفس المصدر: ٢٣ - ٢٤.

وقد اخذ استالين يفسر دكتاتورية البروليتاريا سنة ١٩٣٠ م: (اريد ان اوضح لكم ان تعاليمنا تسمح لنا بالطغيان ،ألا نسمى نظامنا دكتاتورية البروليتاريا ، ان هذه الدكتاتورية المستبدة هي سلاحنا في المعركة^(١) .

وقال ستالين عام ١٩٣٣ م: (يجب ان يكون مفهوماً اننا نؤمن بالاستبداد، ونؤمن بالطغيان ، ونؤمن بالعنف لان نظامنا الثوري القائم على اساس القضاء على الطبقات يتطلب الالتجاء الى كل هذه الوسائل^(٢) .

مصادرة رأس المال:

وفي الثورة واللحظة التي تقipض فيها البروليتاريا على زمام الحكم تبتدر الى القضاء على رأس المال والربح الناتج منه، كما يقرر ذلك ماركس وانجلز: (ان المرحلة الاولى في ثورة العمال هي – كمارأينا – تشبييد البروليتاريا في طبقة سائدة والاستيلاء على الديموقراطية، وتستخدم البروليتاريا سيادتها السياسية لاجل انتزاع رأس المال من البرجوازية ومركزة جميع وسائل الانتاج في ايدي الدولة، ولا يتم ذلك الا بخرق حق التملك ونظام الانتاج البرجوازي بالشدة والعنف، أي بالتخاذل تدابير، وتحتختلف هذه التدابير – طبعاً – اختلافاً كبيراً في مختلف الاقطارات غير انه يمكن تطبيق التدابير التالية، بصورة عامة في اكثر البلاد تقدماً ورقياً:

(١) نفس المصدر: ص ٢٤.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٤.

- نزع ملكية الارضي الكبرى وتخصيص الريع العقاري لتغطية نفقات الدولة.
 - فرض ضرائب متصاعدة جداً.
 - الغاء الوراثة.
 - مصادرة جميع املاك المهاجرين العصاة التمردين^(١).
- ولا يغفل انجلز ان يؤكّد هذا المعنى: (وحيثما تقبض البروليتاريا على زمام الحكم تحول وسائل الانتاج الى تملك الدولة وبذلك تخلص من طابعها البروليتاري^(٢)).

ثم يكرر مناداته بذلك باعتبارها النقطة المركزية في تشييد الكيان الشيوعي: (... تتولى البروليتاريا على سلطة الدولة وتحول وسائل الانتاج باديء ذي بدء الى ملكية الدولة^(٣)).

القضاء على الملكية الفردية:

ويتلو ذلك كله حملة عاصفة، للقضاء على الملكية الفردية بصورة واسعة، وان لم تكون رأس المال ! فان من يملك ملكية معينة، باستطاعته ان يستغني عن الدولة، ولو فترة قصيرة، فيتمرد على مقدساتها، وذلك ما تخشاه الحكومة

(١) (البيان الشيوعي): ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) فرديك انجلز، (الاشتراكية بين الخيال والعلم) ص ٧٢.

(٣) لينين ، (الدولة والثورة)، نقاًلاً عن انجلز ص ٢١ - ٢٢.

الشيوعية، ولذلك تعمد الى انتزاع الملكية الخاصة من جميع الافراد، كي يظلوا محتاجين الى الدولة عند كل وجبة طعام.

هكذا نجد ماركس وانجلز يصرحان : (.. وعلى هذا فباستطاعة الشيوعيين: ان يلخصوا نظريتهم بهذا الصدد في هذه الصيغة الوحيدة، وهي: القضاء على الملكية الخاصة .^(١)

ثم نجد هما يسجلان هذه الصيغة في موضع اخر: (ان ظروف معيشة المجتمع القديم قد اضمرت، ولم يبق لها اثر في ظروف معيشة البروليتاريا، فالبروليتاري محروم من الملكية^(٢) وحاول لينين تنفيذ هذه الخطة واضاف اليها قائلاً: عام ١٩٢٠ م (يجب ان يكون مفهوما: ان العامل الذي يعمل في معمل من المعامل لا يملك نفسه، فالمعلم هو الذي يملكه^(٣) .

وليس من العجيب ان يدللي لينين بهذا التصريح بعدما تلقى من اسياده البيان التالي: (ان كل الطبقات التي كانت تستولي على السلطة فيما مضى، كانت تحاول تثبيت اوضاعها المكتسبة، باخضاع المجتمع باسره لاسلوب التملك الخاص بها، ولا تستطيع البروليتاريا الاستيلاء على القوى المنتجة الاجتماعية، الا بهدم اسلوب التملك الذي كان خاصاً بهذه القوى أي بهدم كل اسلوب للتملك

(١) (البيان الشيوعي) ص ٤٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٩ .

(٣) (النظام الشيوعي) ٤٧

مرعى الاجراء الى يومنا هذا. ولا تملك البروليتاريا شيئاً خاصاً بها، حتى تصونه وتحميها ! فعليها اذن ان تهدم كل ضمانة خاصة، وكل امان خاص موجود^(١).

وعلى ضوء هذه التعاليم صرخ استالين سنة ١٩٢٧ م : (ان النظم الاقتصادية التي تؤمن بها الشيوعية، هي النظم التي تعتمد على ثلاثة اسس، هي أولاً: الغاء الملكية الفردية، الغاءً تاماً، وثانياً: القضاء على نظام الطبقات، قضاءً تاماً، وثالثاً: احتكار الدولة لكل مصادر الثروة احتكاراً تاماً،.. ولهذا فاننا نعارض كل النظم الاقتصادية التي لا تقوم على هذه الاركان الثلاثة^(٢)).

واضاف قائلاً سنة ١٩٣١ م : (نحن لا نسمح لاحد بادخال المال واستخدامه في شراء العقار ! ذلك اننا نناهض كل ضرب من ضروب الملكية الخاصة^(٣)).

ولقد كان لينين يتبعج ببيانات اسياده ويضيف عليها اشياء واشياء ولكن اسياده كانوا يتفلسفون ويكتبون، وما اسهل ان يفرغ الانسان خواطره على الورق، كما ان لينين - ايضاً - قضى - شطراً من حياته وكانت الاحلام تداعب خياله، وهو يتربّع على ارجحية الاوهام، فكان يكيل الخطط ويفصلها بلا حساب. وما ان بلغ مرحلة التطبيق حتى اصطدم بالواقع الحي، الذي حد من طيشه، وفل نشاطه وعزائمها، فجعل يرزح تحت الكابوس الذي اعده لنفسه،

(١) كارل ماركس وفريديريك انجلز. (البيان الشيوعي) ص ٣٩.

(٢) (النظام الشيوعي) ٤٦

(٣) نفس المصدر : ٤٨.

فلنسمع الى زفاته: (.. ولكن من الصعب الى ما لا حد له، محو الطبقات، فان الانقسام الى عمال وفلاحين ما يزال قائماً، فاذا اقام الفلاح على قطعة من الارض واستاثر بفائض قمحه، أي القمح الذي لا يحتاج اليه، لا لنفسه ولا لماشيته، في حين يظل جميع الاخرين بلا خبز، فان هذا الفلاح يستحيل اذ ذاك الى مستمر... ينبغي ان يستغل الجميع وفقاً لبرنامج مشترك، على ارض مشتركة وفي المصانع والمعامل المشتركة، وفقاً لنظام مشترك^(١) .

ثم جعل يستصرخ الشيوعيين لينظموا البروليتاريا في كفاح مشترك عليهم يؤدون مسؤوليته : (ان الاخلاق الشيوعية، انما هي الاخلاق التي تخدم هذا النضال، وتوحيد الشغيلة ضد كل ملكية صغيرة، لأن الملكية الصغيرة تضع في يدي فرد واحد ما ابدعه المجتمع باسره، ان الملكية بنظرنا ملكية مشتركة^(٢) .

بعثرة العائلة:

ان بعثرة العائلة واسعاة النساء، من الشيوعية كجزء لا يتجزأ منها فالمجتمع الشيوعي - كما يقول لينين - انما هو شيوعية في كل شيء^(٣) والعائلة تعرقل طريق الاقتصاد الشيوعي في الصميم !! فهي - اولاً - تهدىء فيضاً من نشاط رب الاسرة، لحماية مصالحها، والدفاع عنها، والولاء للاسرة يعوق الشيوعي عن القيام بواجباته العامة والخاصة، وربما يدفعه الى مخالفة النظام، وذلك ما تأبه

(١) لينين . (مهامات منظمات الشباب) ص ١٧ ط موسكو.

(٢) لينين نفس المصدر: ١٨

(٣) لينين نفس المصدر: ٢٣

الشيوعية كما صرحت بذلك ستالين سنة ١٩٣٠ م : (ما دمنا ننكر الاديان، فاننا لا نستطيع ان نأخذ بالاراء القائلة بأن للاسرة قداسة ... فكل القداسات زائفة. نحن لا نريد ان يكون للاسرة اي نوع من انواع القدسية... مثلما لا نريد ان يصبح الولاء العائلي، عائقا يحول دون تحقيق اهدافنا^(١) .

وكما صرحت من قبله لينين عام ١٩٢٢ م : (حن لا نؤمن بالافكار المثالية من الاسرة، فهذه الافكار المثالية تنادي بجعل الاسرة مجتمعا ذا كيان خاص له استقلاله ... ونحن لا نؤمن بمثل هذه المثالية، التي تشجع على جعل الوطن مجموعة من الاسر المتنافلة^(٢) .

وفيما بعد رأى استالين ان يكشف النقاب بكل صراحة، فمما يلجمه عن التصريح بنواياه ؟ أليس هو الدكتاتور الجبار؟ فليقل بكل وقاحة وصفاقة! : (.. دعوني اذكر لكم بصر-احه : انه من الخطير على حياتنا السياسية تشجيع ذلك المفهوم الخاطيء للاسرة، وقصد بذلك الاراء القائلة بأن هناك ما يسمى : الولاء للاسرة! فالولاء الوحيد المسموح به هو الولاء للدولة^(٣) .

ثانياً: ان الشيوعية تفرض العمل الاجباري على جميع القادرين من الرجال والنساء على حد سواء^(٤) والعائلة تشنل هذه الحركة، لأنها تشغل النساء بالاعمال

(١) ((النظام الشيوعي)) ص ٥

(٢) نفس المصدر: ٥٠

(٣) نفس المصدر: ٥٠

(٤) (دستور الاتحاد السوفياتي) ص ١٥ المادة ١٢ .

البيتية، حتى لا ينسح هن القيام بالاعمال الخارجية

ثالثاً: ان فشل ماركس في الغرام الذي عصف به في غضون شبابه، هو الذي دفعه الى الانتقام من البورجوازية، عن طريق الدعاية للشيوعية^(١) وتبعداً لذلك نجد ان حملات ماركس على العائلة، تختلف عن هجماته على الرأسمالية والبرجوازية فتراه ينادي – في سخرية واستهزاء: (يا للهول ! .. حتى اشد تطرفاً تسخطهم نية الشيوعيين، هذه الفاضحة المرذولة).

ثم يحاول ان يطمئن نفسه تجاه هذه الغضبة القاصفة حتى من اشد الناس تطرفاً فيتسائل: علام تتركز العائلة؟ أليست تتركز على رأس المال؟ فاذن لا مبرر لهذا القلق! فسيقضي على رأس المال وبالطبع يقضي على العائلة:

(ولكن على أية قاعدة تتركز العائلة البرجوازية في الوقت الحاضر إنها تتركز على رأس المال والربح الفردي! والعائلة بكامل كيانها، وتمام بنياتها، ليست موجودة إلا عند البرجوازية فقط! ولكن تمتها هي الالغاء القسري لكل عائلة بالنسبة للبروليتاريا، ثم البغاء العلقم).

وبعد ذلك يؤكّد: أن الصلات العائلية سوف تنفص! فان الصناعة الكبرى تستخدم الاولاد وتحوّلها الى تجارية بسيطة:

(ان تشدق البورجوازيين الفارغ عن العائلة والتربية، وعن الاواصر

(١) وللتفصيل انظر: محمد سعيد رمضان البوطي في ((المذهب الاقتصادي بين الشيوعية والاسلام) ص ١٤-١٥).

والصلات العذبة، التي تربط الولد بأهله، يصبح يوماً بعد يوم سخيفاً مفضلاً! إذ ان الصناعة الكبرى تهدم كل صلة عائلية عند البروليتاريا وتحول الاولاد الى مواد تجارية بسيطة وادوات عمل صرفة).

وحيث سجل ماركس لنفسه الانتصار نراه يستلقي على قفاه، ليضحك من العقلية البورجوازية، التي تستنكر إشاعة النساء... زاعماً:

أن هراء البورجوازيين سوف لا ينفعهم، فقد كانت إشاعة النساء موجودة لدى البورجوازيين أنفسهم بصورة مكتومة وغاية ما يتقدموه من الشيوعيين: أنهم يريدون إسقاط النقاب، قائلاً: ما هذا النفاق؟ فما دامت الإشاعة موجودة، فلتكن رسمية صريحة! ولنستمع إلى قهقهات ماركس ومن حوله إمعانة، يساعدونه في الضحك البذيء:

(لشد ما يضحكنا هذا الذعر فوق الاخلاقي، الذي توحيه الى البورجوازيين إشاعة النساء الرسمية... ليست بالشيوعيين حاجة إلى إدخال إشاعة النساء، فهي تقريباً كانت دائماً موجودة^(١) .

وعندما سئل أنجلز: ما هو وقع النظام الشيوعي في العائلة؟

أجاب: (سيجعل علاقات الرجل مع المرأة، علاقات ودية محبة، متصررة على الاشخاص (المشترين بها)! دون أن يكون للمجتمع أدنى تدخل فيها).^(٢)

(١) كارل ماركس وفريديريك انجلز (بيان الشيوعي) ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) (التعاليم الشيوعية) ص ٣١.

تأميم وسائل الانتاج:

وبعد ما تم القضاء على رأس المال، ومصادرة جميع الملكيات العامة والخاصة، يجب تسليمها إلى الدولة: ممثلة المجموع^(١) لتصرـفها في مصالح الشعب، وفق موازين عدل تضعها الدولة بنفسها! دون ان يكون لاحد أى تدخل فيها. كما ينص على ذلك الدستور السوفيatic: (تحدد الحياة الاقتصادية، للاتحاد السوفيatic، وتدار بمبروك مشروع الدولة، للاقتصاد الوطني^(٢)).

اكتساح الطبقات:

وبعدما تستلم البروليتاريا مقاليد الحكم، وثروات الشعب: مجموع الممتلكات الفردية والجماعية، تعطض على الناس، لفرض عليهم العمل الاجباري كما يصرح به ماركس وانجلز: (جعل العمل إجباريا للجميع)^(٣).

وتلغى الاسواق والنقود! لأن كل فرد يتغاضى عن عمله اليومي، من البضائع ما يشبع حاجاته، فلا تبقى حاجة الى الاسواق أو النقود: (و عندئذ يصبح في وسع السلطة المركزية، أو اية هيئة مركزية إقتصادية وإجتماعية أخرى . أن تدير كل الانتاج الاجتماعي، وان توزع المنتجات في مصلحة المجتمع. بدون

(١) لقد مرت النصوص على ذلك في (مصادرة رأس المال) و (القضاء على الملكية الفردية).

(٢) (دستور الاتحاد السوفيatic) ص ٥ المادة ١١.

(٣) (البيان الشيوعي) ص ٥٣ المادة ٨

توسط السوق، وبدون استعمال النقد الذي لن يبقى ضروريًا^(١).

فتندمج الطبقات في طبقة واحدة، هي : البروليتاريا العاملة... وما تفتأ البروليتاريا ذاتها، أن تحطم طبقتها! كي لا تكون طبقة متحيزه إزاء مجموع عناصر الشعب الذي انصهرت فوارقها وميزاتها الذاتية منها والعرضية واندمجت في صيغة واحدة، هي: الشعب، يرسم هذا المصير المشترك لأبروليتاريا وغيرها ماركس وانجلز : (فإذا كانت البروليتاريا في نضالها ضد البورجوازية، تبني نفسها حتى في طبقة، وإذا كانت تجعل نفسها بواسطة الثورة طبقة حاكمة، ثم بصفتها طبقة حاكمة تهدم بالعنف والشدة نظام الانتاج القديم، فأنها بهدمها نظام الانتاج القديم، تهدم في الوقت نفسه ظروف التناقض والتناحر بين الطبقات، وتهدم الطبقات بصورة عامة، وبذلك تهدم أيضًا سعادتها ذاتها، من حيث أنها طبقة^(٢)).

فالطبقات يجب أن تهدم! ولكن انجلز يرى أن الطبقات سوف تنهدم بصورة طبيعية، كما أنها تكونت بصورة طبيعية، وحتمية، في الوقت نفسه: (... وهكذا سوف تتلاشى الطبقات، بمثل الحتمية التي ظهرت فيها^(٣) ...).

(١) (الاتحاد السوفيatic في مائة سؤال وجواب) ص ١٤٠ ان. دار البديع.

(٢) (البيان الشيوعي) ص ٤٥

(٣) لينين (الدولة والثورة) ص ٢٠ نقلًا عن انجلز

(...) ولكنها إذ تفعل ذلك تقضي على نفسها بصفتها بروليتاريا^(١).

وقد مضى- خلال التصريحات المتقدمة، وسيأتي، وفر من النصوص التي تؤكد: أن المجتمع الشيوعي يجب أن يحطم الطبقات، ويقضي- حتى على البروليتاريا بصفتها طبقة!!.

الغاء الاديان:

من المبادئ المركزية في الشيوعية وإزاحة الاديان حتى عن قلوب الافراد!! وذلك أن الاديان أية كانت تربط الفرد بالله، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض، وتحرم على الانسان القتل، والاضطهاد، والكذب والخداع، والغش، والسلب، والفحشاء.. فإذا علم الفرد -بواسطة الايمان- ان التوسل بهذه الوسائل، محظور عليه، والملائكة يسجلون جميع اعماله في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، والله من ورائهم محيط... فإذا كان الشيوعي مؤمناً بهذه المبادئ فسوف لا يستخدم الوسائل المحرمة، في سبيل خدمة الشيوعية، بل يتخل عن الشيوعية في اللحظة التي عرف فيها هذا المبدأ الهدام.. وهكذا تخسر الشيوعية مصالحها في كل مجال... ولذلك عمد قادة الشيوعية الى تبني المبدأ القائل: (الغاية تبرر الواسطة!)، التي تبيح للانسان اجتراح السيئات كلها في سبيل انتصار القضايا الشيوعية، كي لا يتوقف الشيوعي عن ارتكاب الحرام لتقديم، او ازدهار مبدئه، فتخسر المنظمة الشيوعية ربحاً متابحاً!!

كما ان الاديان لو ظلت تسود البلاد، اندحرت الشيوعية، ولم تجد لها نصيراً، حتى ولا واحداً! لأن الشيوعية - على أحسن تقدير - نظام مختلف يناهض نظام الاديان، ولن يستبدل المؤمن دينه بنظام مختلف !!!

لذلك كله نجد الشيوعيين المبدئين يكرسون جهودهم لازاحة الاديان عن مجال النشاطات العامة، كي يبلغوا بذلك نشر نفوذه، ويحاولون خنق نور الایمان في قلوب الشيوعيين المخدوعين، حتى يطمئنوا من استسلامهم الكامل، وانقيادهم الصادق، لتنفيذ الخطط الجهنمية الموحات إليهم ...

كما صرخ بهذه الحقيقة ستالين عام ١٩٣٨ م: (يجب على الشيوعي المخلص: ان ينكر الدين فالدين يمنع المؤمن من التوسل بالكذب، والخداع، والغش، والتضليل في نشر الدعوة التي يريد نشرها... اما الشيوعي المخلص الذي ينكر الدين ولا يؤمن به، فانه يستطيع: ان يحرر عقله من افكار الدين المثالية... وهكذا يستطيع: ان يتوصل بكل الوسائل من كذب الى خداع، الى تضليل، الى غش، في تحقيق الاهداف الشيوعية^(١) .

ولهذا الغرض تبنوا (الديالكتيك) كفلسفة اساسية يركزون عليها مبدئهم ... معترزين بافكار (هيجل) و (ولودفيغ فورباخ) و (دارون) و (فرويد) ... مرددين مع (هراقليط): ذلك الرجل الاغريقي: (العالم هو واحد لم يخلقه اي إله، او اي انسان! وقد كان ولا يزال وسيكون شعلة حية الى الابد، تشتعل وتتنفسيء تبعاً

(١) النظام الشيوعي ص ٥٤.

لقوانين معينة^(١) ...

هكذا نجد كارل ماركس وفرديريك انجلز يهتفان، بكل وقاحة وصفاقه: (... وما القوانين والقواعد الأخلاقية، والأديان بالنسبة إليه (العامل) إلا أوهام بورجوازية، تستتر خلفها مصالح بورجوازية^(٢) ..).

بهذه الاتهامات والتshawهات الفارغة، يحاول ماركس: أن يشوّه الأديان ويقضي عليها، قبل أن تقضي عليه، غير أن لينين أخذ يعبر عن الواقع الجاثم في وجهه حيث رأى أن الدين يكون سداً منيعاً أمام افكار الاشتراكية، لذلك جعل يحارب الدين اقتراباً من الواقع الاشتراكي، فصرح عام ١٩٠٢ م (كلما تحررنا من نفوذ الدين، ازددنا اقتراباً من الواقع الاشتراكي... ولهذا يجب علينا: أن نحرر عقولنا من خرافه الدين)^(٣).

ومن هنا أخذ يطلق التهم والافتراءات على الدين عليه ينفر الناس منه فقال لينين سنة ١٩٠٥ م : (الدين هو أفيون الشعوب ... فالدين ورجل الدين يخدران اعصاب المظلومين والفقراء و يجعلانهم يرضخون للظلم^(٤) وحيث لم تنجح مؤامراته ضد الدين بالالفاظ المتبرحة، جعل يوجه حزبه لمحاربة الدين قائلاً

(١) ستالين (المادية الديالكتيكية) ص ٢٧.

(٢) (البيان الشيوعي) ص ٣٩.

(٣) (النظام الشيوعي) ص ٥٢.

(٤) (النظام الشيوعي) ص ٥٢.

سنة ١٩٠٥ م: (ان حزبنا الثوري لا يستطيع ان يقف موقفا سلبيا من الدين ... فالدين خرافة وجهل^(١) وحيث كان ذلك قبل الثورة الشيوعية في روسيا، كان يرهب غضبة الشعب اذا اطلعوا على الحاده وكفره فكان يوصي حزبه سنة ١٩٠٥ م: (يجب : ان تهتم عناصرنا التي تقوم بالدعاه للشيوعية، بنشرـ الاحاد والدعوة له، ولكن بطرق سلمية خفية^(٢) .

وصرح عام ١٩٠٥ م: (لماذا لا نعلن في برامجنا اننا ملحدون؟ اننا نفعل ذلك لكي لا نزود خصومنا بسلاح يهاجموننا به... فعدد المؤمنين بالله لا يزال يفوق عدد الملحدين^(٣) .

وبعدما سيطر الحزب الشيوعي على روسيا، وساد الارهاب وزجوا بالمؤمنين، في اللhood والسجون، وخفقوا اصوات الشعب، حتى ذابت في ازيز الرصاص وهدير المدافع، سقط النقاب واذا بستالين يقول عام ١٩٢٧ م: (اننا نقوم بالدعوة ضد الدين الان، لاننا اقوى من ان ينال خصومنا منا عن طريق التشهير بالحادنا ... لقد كنا نحرض في الماضي على عدم اعلان الحادنا لاننا لم نكن اقوياء، اما الان فاننا نعلن بصرـاحـة اننا ملحدون، واننا نرى في الاديان خطراً على الحضارة الانسانية... فالاديان افيون مخدر^(٤) .

(١) نفس المصدر: ٥٣.

(٢) نفس المصدر: ٥٢.

(٣) نفس المصدر: ٥٢.

(٤) نفس المصدر: ٥٢.

واردف ذلك عام ١٩٤٤ م قائلاً : (نحن ملحدون ... ونحن نؤمن بان فكرة الله خرافية، ونحن نؤمن بان الايمان بالدين يعرقل تقدمنا ونحن لا نريد ان يجعل الدين مسيطراً علينا، لاننا لا نريد ان نكون سكارى^(١) .

وليس من المدهش ان يتجرأ ستالين بهذه الكلمات البذيئة بعدما سمع لينين عام ١٩١٣ م وهو يقول : (ليس صحيحاً . ان الله هو الذي ينظم الاكوناً ... وانما الصحيح هو ان الله فكرة خرافية، اختلفها الانسان ليبرر عجزه ! .. وهذا فان كل شخص يدافع عن فكرة، انها هو شخص جاهل عاجز^(٢) .

وبعدما سمعه وهو يقول - ايضاً - عام ١٩١٥ م : (الدين مرتب بالظلم دائمًا ، ... فحيثما يوجد الظلم يوجد الايمان بالدين ... و اذا ما تخلصنا من الظلم ، وجب ان نتخلص من الدين ... بل ان تخلصنا من نفوذ الدين يساعدنا على التخلص من الظلم^(٣) .

وهكذا نجد ستالين يذهب ليتمم خطط لينين، فقال عام ١٩٣٧ م (يجب ان يكون مفهوماً : ان الدين خرافية ... وان فكرة الله خرافية ... وان الاخاد هو مذهبنا^(٤) .

وتقدم ستالين خطوة جريئة عام ١٩٢٨ م حيث اراد نشرـ الاحاد في الجيل

(١) نفس المصدر: ٥٣.

(٢) نفس المصدر: ٥٣.

(٣) نفس المصدر: ٥٣.

(٤) نفس المصدر: ٥٤.

الصاعد عن طريق التربية في المدارس: فقال : (يجب ان تقوم التربية في المدارس على اساس انكار الدين، وعلى اساس انكار الله^(١) وتوسيع ستالين عام ١٩٣٣ م فاراد ان ينشر الاخاد في الوعي العام فقال: (الثقافة النافعة هي التي تحرر عقول الناس من استبداد الدين ... والتعليم النافع هو التعليم الذي ينشر الاخاد ... والرأي العام الصالح هو الرأي العام الذي لا يؤمن بأية افكار سوى الافكار الماركسية^(٢) .

وعلل ذلك عام ١٩٣٥ م فقال : الدين هو الذي يغرس في نفوس الناس الافكار والاخلاق المثالية التي لا وجود لها في الواقع ... ولهذا نحارب الدين، لأننا لا نريد ان تتغلغل في نفوس النساء آراء مثالية زائفة^(٣) .

محاربة الاخلاق:

ما يحرص عليه الشيوعيون، لنفس الغرض الذي من اجله يحاربون الاديان، وذلك ان الشيوعية تزاحم الاخلاق، في الخطوط المعاكسة !!، حتى لو بقيت النفوس مؤمنة بالاخلاقة الانسانية النبيلة، لکفرت بالشيوعية، واساليبها، واهدافها، على ضوء ذلك نجد لينين يتجىء الى تفسير الاخلاق بكل ما يخدم النضال الشيوعي ... ويجعل الشيوعية هدفا ووسيلة للحياة، كي لا يفكر الناس في غيرها، ويكرسوا طاقاتهم لخدمتها، دون ان يعيقهم منها دين او ضمير او

(١) نفس المصدر: ٥٤.

(٢) نفس المصدر: ٤٥.

(٣) نفس المصدر: ٤٥

اخلاق، فيقول لينين: (غالبا ما يزعم: ان ليس لنا اخلاق خاصة بنا ، وفي معظم الاحيان تتهمنا البورجوازية: نحن الشيوعيين باننا ننكر كل الاخلاق، وتلك طريقة لتشويش الافكار لتضليل العمال والفلاحين، باي معنى ننكر الاخلاق، وننكر السلوك؟؟ بالمعنى الذي تبشر به البورجوازية التي كانت تسترق هذه الاخلاق من وصايا الله وبهذا الصدد نقول : بالطبع اننا لا نؤمن بالله ونعرف جيداً جدا: ان رجال الدين، وكبار الملائكة العقاريين كانوا يتكلمون باسم الله لكي يؤمنوا مصالحهم كمستثمرين^(١) ... ان كل اخلاق من هذا النوع مستقاة من مفاهيم غريبة عن الانسانية غريبة عن الطبقات، ان كل اخلاق كهذه نفيها وننكرها ونقول : انها تخدع العمال والفلاحين، وتعشعشهم وتحشو ادمغتهم حشوا : انتا نقول: ان اخلاقنا خاضعة تماماً لمصالح البروليتاريا الطبقي ان اخلاقنا تنبثق من مصالح نضال البروليتاريا الطبقي^(٢) .

فالظلم والاضطهاد، والغش، والخداع، وسائل المظالم والجرائم، من صميم الاخلاق ما دامت تخدم نضال البروليتاريا الطبقي، واما الاخلاق الفاضلة، التي تناقض الشيوعية، وتبرز مساوئها، ومفاسدها، فانها تخدع العمال والفلاحين !!

(١) ليس من العجيب ان يكفر لينين بالله والاخلاق، تلبية لنداء الشيطان، واستسلاماً لعواطفه الفاجرة، ومصالحه الفردية الرخيصة، وارضاً لحزبه ومبادئه ... ولكن الذي يثير العجب انه كيف لا يستحبى ان يتهم بكل صفافة جميع المؤمنين بالله بـ (اهم كانوا يتكلمون باسم الله لكي يؤمنوا مصالحهم كمستثمرين ...) ولكننا نفقد هذا العجب متى استمعنا اليه في الكلمات التالية !

(٢) لينين (مهمات منظمات الشباب) ط موسكو ص ١٥

لماذا ؟ لأنها تربح عنهم قسوة الشيوعية، وتكتسح عنهم سكرات الاغراء ويده布
لينين إلى حيث يقول : إننا لا نؤمن بالأخلاق الابدية.^(١)

وإننا نفضح جميع القصص والحكايات الكاذبة، الملفقة حول الاخلاق^(٢)
فليفضح البراهين والحكم الصادقة الواردة حول الاخلاق الانسانية النبيلة ، ان
كان من الصادقين، ولكن الواقع ان زعماء الشيوعية، كاذباهم لا يملكون
الحجج والبيانات وانما يطلقون دعاواهم الفارغة، ثم يؤيدونها بالسخرية، و
الاستهزاء السخيف ليطمسوا بذلك الحقائق البارزة، ويحسبون ان الدكتاتورية
الفكرية تنجح كما نجحت دكتاتوريتهم الخارجية... وقد فعل (انجلز) قاعدة
مركزية للاخلاق يميز بها الحسن من القبيح فقال عام ١٨٧٧ م : (اننا نرفض
شتى المحاولات التي تحاول ان تفرض علينا اخلاقاً تستند الى (المثاليات) : ذلك
اننا نؤمن : ان الاخلاق هي نتاج الاوضاع الاجتماعية، ولما كانت الاوضاع
الاجتماعية متغيرة فان مفاهيم الاخلاق لا بد ان تتغير ... ان الاخلاق التي
نؤمن بها هي كل عمل يؤدي الى تحقيق انتصار مبادئنا، مهما كان هذا العمل

(١) يزعم الشيوعيون ان كل شيء يتطور، حتى الاخلاق - فمثلا - كان الظلم قبيحا في
القرن العاشر،اما في القرن العشرين فقد اصبح حسنا، وكذلك قتل الابرياء، والسرقة
والخيانة، كانت من الرذائل ، فاصبحت - في ظل الشوعية - من الفضائل وعلى ذلك
يبني لينين قوله: (اننا لا نؤمن بالأخلاق الابدية) لأن الأخلاق عنده متطرفة، فالخالق
الواحد يكون حسنا وقبيحا تبعا للظروف ! .

(٢) نفس المصدر: ٢١

منافي للاخلاق المعمول بها^(١). وعن هذه النظرية عبر لينين قائلاً : ان ما يقوم في اساس الاخلاق الشيوعية، هو النضال في سبيل ترسيخ الشيوعية، وانجاز بنائها. ذلك هو ايضاً اساس التربية الشيوعية والتحقيق الشيوعي، والتعليم الشيوعي^(٢).

وبعدما ترکزت هذه القاعدة كمبدأ ااسي فمن الطبيعي ان ينجم منها قول لينين عام ١٩١٠ م : (يجب على المناضل الشيوعي الحق: ان يتمرس بشتى ضروب الخداع، والغش، والتضليل ...

فالكفاح من اجل الشيوعية، تبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية^(٣). فالمناضل الشريف يجب عليه : ان ينبذ الاخلاق، ويعرف: ان الاخلاق في سحق الاخلاق مهما طلبت ذلك مصالح البروليتاريا، اما اذا حفظه الوازع الديني على اعتناق مبادئه الاخلاقية ومثله العليا فان لينين حدد موقفة حيث قال عام ١٩١٨ م: (إذا لم يكن المناضل الشيوعي قادرًا على أن يغير أخلاقة وسلوكيه وفقاً للظروف، مهما طلب ذلك من كذب وتضليل وخداع، فإنه لن يكون مناضلا ثوريا حقيقيا^(٤)).

(١) (النظام الشيوعي) ص ١٨.

(٢) لينين (مهام منظمات الشباب) ص ٢٢.

(٣) (النظام الشيوعي) ص ٢٠ - ٢١.

(٤) نفس المصدر ص ٢١.

انه ليس شيوعيا محترفا، لانه لا يطوع للافكار الشيوعية، أما الشيوعي الحق فهو الذي يتوصل الى تحقيق الاهداف الشيوعية، بما تتطلبه الظروف الخاصة من التضحيه بكل شيء حتى بالاخلاق والكرامة والضمير كما قال لينين عام ١٩٢٠م: (ان المناضل الشيوعي الثوري الحق هو ذلك الذي يبذل كل تضحيه يفرضها عليه تحقيق الهدف الشيوعي، ولو تطلب الامر التضحيه بالاخلاق والكرامة والضمير ... فالهدف المثالى الحق هو تحقيق المجتمع الشيوعي^(١).

وذلك لأن الشيوعية هدف نبيل يجب التوصل اليه . أما الواسطة فلتكن ما تشاء!! أو ليست الغاية تبرر الواسطة؟ هذا هو منطق لينين عام ١٩٢١م عندما قال: (يجب أن يكون مفهوما: أن الشيوعية غاية نبيلة وان تحقيق الغاية النبيلة يتطلب في كثير من الاحيان استخدام وسائل غير نبيلة وهذا فان الشيوعية تبارك شتى الوسائل المناهضة للاخلاق، مادامت هذه الوسائل تساعد على تحقيق أهدافنا الشيوعية^(٢) .

ونجد نفس النغمة تردد على لسان ستالين فقد صرخ عام ١٩٢١م (لن تكون ثوريين مناضلين بحق، الا إذا طبقنا دائمًا ما تعلمناه من (ماركس) عن ضرورة استخدام كل الوسائل الاخلاقية، وغير الاخلاقية في كفاحنا من أجل الشيوعية^(٣) .

(١) نفس المصدر ص ٢١.

(٢) نفس المصدر ص ٢١.

(٣) (النظام الشيوعي) ص ٢.

وفي عام ١٩٣٨ م بعدما انتشرت الشيوعية في شتى القطرار، أراد ستالين أن يزودهم بنفس السلاح الذي نجح به في روسيا، ويعذبهم بتلك الأفكار التي استمدتها من آسياده الشيوعيين فإذا به يوجه إليهم هذا النداء: (أن الشيوعي المخلص في الدول غير الشيوعية، هو ذلك الذي يعرف كيف يقضي على نظم الحكم غير الشيوعية، بلا هواة وبلا رحمة وبلا شفقة... وهو ذلك الذي يستعين بكل وسائل التضليل، والخداع، وسعة الحيلة، لفرض النظم الشيوعية على البلاد التي يعمل فيها^(١)).

وكان قبل ذلك في عام ١٩٢٨ م قد ادى إلى عملائه في البلاد غير الشيوعية بهذا التصریح: (نحن نبارك كل عمل يؤدي إلى التعجيل بتحقيق الشيوعية الدولية... ولهذا نبارك كل ضرب من ضروب التخريب الداخلي والفتن، والمشاحنات، والاضطرابات... فكل هذه الأمور تؤدي إلى التعجيل بالثورة الدولية^(٢)).

تحطيم القوانين السائدة:

وقيام الثورة الشيوعية العالمية، هو الحلم الأشقر، الذي ظل يداعب الشيوعيين جيغا. فمنذ عام ١٨٦٢ م كان كارل ماركس يقول: (لا بد أن يأتي يوم تصبح فيه العلاقات الشيوعية، هي العلاقات التي تحكم كل مجتمع في شتى أنحاء العالم... ولا بد أن يأتي يوم يصبح فيه العالم كله شيوعيا^(٣).

(١) نفس المصدر: ٤٤

(٢) نفس المصدر: ٥٨.

(٣) نفس المصدر: ٥٥.

وبعدهما جاء لينين الى الحكم رأى ان القوانين السائدة في البلاد غير الشيوعية رغم انها غير صالحة ولكنها خير من النظم الشيوعية، ولا بد ان تغري تلك القوانين الشيوعيين الذين يتداولون العلاقات مع غير الشيوعيين، ولا بد ان يتم الخوض بذلك عن قيام ثورة داخلية ضد الشيوعية لذلك عمد لينين إلى احداث توتر العلاقات بين شعب روسيا وشعوب العالم، ووضع السياج الحديدي بين البلاد الشيوعية، والبلاد غير الشيوعية، كي يؤمن انتشار الوعي السياسي في بلاده... وقد عبر ستالين عن هذه الحقيقة عام ١٩٣٤ م ولكنه سكبه في اسلوب اخر، حيث قال : (دعوني أذكر لكم بصرامة أن نظامنا الشيوعي في الداخل سيظل مهدداً بالخطر، مالم نفلح في تحقيق الشيوعية الدولية... فما دامت الدول المحيطة بنا مناهضة للنظام الشيوعي، فإنها لن تكف عن محاربتنا ... ولهذا يجب التعجيل باشعال نار الثورة الشيوعية العالمية^(١) .

وفي عام ١٩٢٠ م صرخ لينين بذلك عندما قال: (لقد نجحنا بفضل القوة، وهذا لن نتخلى عن هذه القوة إلا بعد أن نحقق ثورتنا العالمية... ولكن هذه القوة ستظل سلاحنا في كل وقت^(٢) .

فما دامت في العالمنظم غير شيوعية، فان الشيوعية - بذاتها - مهددة - بالخطر المحدق، دون ايها محاولة من أحد، لذلك لا بد للحكومة الشيوعية أن تشهر السلاح لكبت الانفاضات والحركات الداخلية، ولا تستطيع أن تضع السلاح

(١) نفس المصدر: ٥٦.

(٢) نفس المصدر: ٢٢.

إلا إذا سيطرت الشيوعية على العالم كله، حينما يطبق الظلام، فلا يرى أحد بصيصاً من الضياء... ومع ذلك فلا يمكن وضع السلاح بحال، لأن الشيوعية غير ملائمة للطبائع الأصلية، فهي لا تنسجم مع العواطف حتى تقبلها بسلام بل الواجب أن تفرض على الناس فرضاً...

فلا بد من تطبيق الشيوعية على العالم كله، كي تحرس شيوعية روسيا وإنما فالـها محاطة باشباح الخطر التي ترتجف في كل مكان .. وقد اشار إلى ذلك لينين عندما قال: (يجب أن نعلم الشيوعيين في كل مكان، كيف يعملون على تحقيق الثورة الشيوعية العالمية... فالنظم الشيوعية في آية دولة شيوعية، لا تصح ولا تزدهر، إلا إذا قامت الثورة الشيوعية الدولية، لتحرسها^(١)).

وقد صرخ بذلك ستالين - ايضاً - عام ١٩٢٦ م قائلاً: (لن يستقر نظامنا الداخلي، إلا إذا نجحت الأحزاب الشيوعية في إشعال نيران الثورة في كل مكان بالعالم^(٢)).

العمل الاجباري:

إن حب الذات يوزع الإنسان إلى الخلود في التسلية، والنكول حتى عن أبسط المتابعة والأعمال، فهو بنفسه تواق إلى المهدوء والارتياح وسوف يضر بـ الإنسان أن يحرك إصبعه إلا إذا كان هناك وازع أقوى من حب الارتياح، ينبعث

(١) نفس المصدر: ٥٥.

(٢) نفس المصدر: ٥٨.

من حب الذات - ايضا - فالانسان يسمح لنفسه أن يضحي بشرط من راحته، إذا كانت هناك منفعة راجحة، توفر للانسان من وسائل الراحة مقداراً أوسع من كمية التضحية، التي يتطلبه الموقف، - فمثلا - الفرد يعمل ٨ ساعات شريطة أن ينال كفائه من الراحة ٦ ساعة... كما انه مستعد للعمل ٦ ساعة متى علم ان ذلك يوفر له اسبوعا من الراحة - مثلا - ...

وكذلك يتدرج الانسان في ارهاق نفسه متى ضمن له مدد من الراحة المدحورة، يمكنه سحبها متى شاء، وذلك لا يكون الا بالمنافع الشخصية المتكافئة.

اما اذا علم الفرد: انه لا ينال جزاء عمله وجهاده موفورا، وانما يسلب منه ريع انتاجه، ومكاسب جهاده بصورة منتظمـة الزامية، فلا بد ان يدب فيه روح التبرم، ويلتجئ الى الاضراب عن العمل، والنظام الشيوعي حيث يعرف ذلك، يقرر ان يكون العمل اجباريا للجميع، حتى يعمـلوا، لا رغبة في الانتاج، بل خشية العقوبات... فنـى كارل ماركس وفرديـرك انجلـز عندما كانـا يضعـان الخطوط العريـضـة للشيـوعـية التطـبـيقـية في اكـثر البـلـاد تـقـدـما ورـقـيا، يجعلـانـ المادة الثـامـنة منها: (جعلـ العمل اجـبارـيا للـجمـيع^(١)) حتى ان نوعـ العمل ، ومـكانـه، اـجـبارـي ليس لاـحد اـبـداء رـأـيه في المـوضـوعـ، بلـ الدـولـة تـحدـد لـكـلـ فـردـ عـمـلاـ، يـؤـاخـذـه عـلـى تـرـكـهـ، كما صـرـحـ بذلكـ ستـالـينـ عامـ ١٩٣١ـ مـ: (نـحنـ لاـتـسـاهـلـ معـ اـولـئـكـ الـبـلـهـاءـ، الـذـينـ يـظـنـونـ: أـنـ حـقـ الـعـلـمـ يـعـنيـ حـقـ اـخـتـيـارـ الـوـظـيفـةـ اوـ الـعـلـمـ

(١) (البيان الشيوعي) ص ٥٣.

او المكان الذي يعلمون فيه... فنحن نحدد نوع العمل ومكانه وفقا لما تتطلبه او ضاعنا الاقتصادية^(١) .

وليس للعامل حرية ترك العمل، فانه يعتبر بذلك عنصراً هاما للنظام الشيوعي، يجب مؤاخذته قبل ان يفت في عضد النظام السوفياتي ، ذلك ما قاله لينين عام ١٩٢٢ م : (يجب ان يكون مفهوما ان اي عمل في اي مصنع من المصانع، هو عمل حدده الدولة للعامل... ولن نتساهل باية حال من الاحوال مع العمال الذين یهجرن اعمالهم... فامثال هؤلاء العمال يعتبرون، في نظرنا، عناصر هدم لنظامنا السوفياتي^(٢) .

ولقد مر الكلام على العمل الاجباري تحت عنوان : اكتساح الطبقات.

رفع النقود والأسواق:

فيجب على الجميع: ان لا يفرطوا في اداء مسؤولياتهم، المرسومة من قبل الدولة، دون اية تردد او نقاش ... كما تخني الدولة ارباح مكاسبهم وتقرر لهم معدلا من الاجور، غير ان النقود لا تحول اليهم ابداً لان البضائع كلها ترصد في مخازن الدولة، فماذا يصنعون بالنقود؟ زيادة على ان الاجور لا تفضل عن عيش مقتدر كي يحتاجوا الى النقود ليتركوها بل اجور اليوم تستهلك في اليوم ذاته. على هذا الضوء لا تبقى حاجة الى النقود والأسواق، بل العامل يتلقى

(١) نفس المصدر ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر . ٤٧

ازاء عمله البضائع... كما ينص على ذلك في كتاب:

(الاتحاد السوفياتي في مائة سؤال وجواب ص ١٤٠ وقد مر ذلك تحت عنوان

اكتساح الطبقات)!!!

القضاء على الدولة:

وبعدما تنفذ الدولة، المتمثلة في البروليتاريا الحاكمة، جميع هذه المخططات، وتؤدي مسؤولياتها كاملة... وتروض الشعوب على ان تعيش الشيوعية، بنفسها، ودون أيها حافر او جاذب... تبقى لحكومة البروليتاريا مهمة اخرى يجب تنفيذها حتى تكمل رسالتها الشيوعية، وهي ان تتقلص، رويدا ... رويدا... وتتفتت - هي نفسها - قليلا .. قليلا.. حتى تت弟兄 سلطتها وتذوب هي في مجموع الشعب لأن الشعب لا يسمح بتوسيط الدولة بينه وبين افراده ...

عندئذ يتحقق حلم البشرية، وينخرج الانسان من حظيرة الحيوان الى الفردوس الاعلى، وحكومة الضمير، وتعود الشيوعية الاولى، التي قضى عليها دور الرق، والاقطاع، والرأسمالية ..

تلك هي نظرية الشيوعيين عن الدولة.. فليتحدث عنها القادة المبدئيون للشيوعية!! ول يكن ذلك فردرريك انجلز !.. فلنسمع اليه وهو يقول:

(.. وحينما تقبض البروليتاريا على زمام الحكم تحول وسائل الانتاج الى تملك الدولة، وبذلك تخلص من طابعها البروليتاري، وتتخلص من كل تمييز

وتناقض طبقي في المجتمع، وبالنهاية تقضي على وجود الدولة، كدولة^(١).

فآخر عملية يلزم على البروليتاريا القيام بها هي القضاء على الدولة، فالدولة غير مسموح بها الا لთؤدي واجبات معينة تحتاج الى امكانيات الدولة، مسؤلياتها فلا معنى لبقاءها في حكومة البروليتاريا التي تفرض قوة اجنبية على الشعب، ان الدولة ابداً توجد لفرض قوة خاصة على مجموع الشعب .. ومكافحة الاصوات المعارضة بالقوة والتعذيب، وحيث ان حكومة البروليتاريا نزيهة عن كل هذه المظالم فهي - بالطبع - مستغنية عن الدولة، بل انها ترفض الدولة، ولا تسمح ببقاءها، تلك حجة انجلز ضد الدولة : (وحيث ان الدولة وجدت لتمثل المجتمع باكماله تمثيلاً رسمياً، فتجسيمها عملياً لا يمكن وجودها، الا حينما يقتصر على تمثيل الطبقة، التي تفرض نفسها لتمثيل المجتمع بكامله ولكن حين تصبح حقيقة تمثل المجتمع على اختلاف طبقاته، تصبح عندئذ لا ضرورة لوجودها، وحين لا توجد طبقات تحت الضغط والظلم، وحين لا يوجد صراع من اجل البقاء، في فوضى الانتاج، ينعدم التصادم، والافراط في التناقض، الناتج عن تلك الفوضى، وعندئذ لا تبقى وظيفة ولا حاجة للدولة!! واول حركة تقوم بها الدولة، في سبيل فرض تمثيلها الصحيح لكامل المجتمع، تأميمها وسائل الانتاج باسم المجتمع، فت تكون في الوقت اخر حركة تقوم بها باعتبارها دولة. وعنئذ حكم الافراد يفسح مجالاً للانتاج، فيصبح له مكانة في الادارة والتوجيه.

(١) فردرريك انجلز (الاشتراكية بين الخيال والعلم): ص ٧٢

حيث ان المجتمع لا يتسامح قط، مع وجود دولة بينه وبين افراده^(١).

وليس هذا فحسب ! بل اكثرا من ذلك، ان قيام طبقة معينة بفرض ارادتها على المجتمع الواعي، ليس امراً مزعجاً فقط، بل يعرقل سير الامة والاقتصاد، والسياسة، لانه يحدد نشاط وطاقات الافراد ببرامجها الخاصة فيقل انتاج الامة، ولا يمكن اطلاق الحريات الكاملة في كل مجال الا بألغاء ذلك الجهاز الموجه للمجتمع : الدولة، يصرح بذلك انجليز قائلة: (... ويعني هذا ان نمو الانتاج الى درجة صالحة، وتملك وسائل الانتاج والمنتجات من قبل طبقة، كالسيطرة السياسية، وتوحيد وثقافة، والتحكم بالتجهيز الاجتماعي العقلي، من قبل اي طبقة، لا تصبح اموراً مزعجة فقط، بل تكون ايضاً عقبة كأداء في سبيل التقدم الاقتصادي السياسي، والعقلي^(٢)).

ثم يتفلسف لذلك، وكيف ان المجتمع اذا خرج من حكومة طبقة معينة، واستطاع ان يتمتع بأقصى- حرياته ومواهبه، يكون حكومة انسانية يسودها الضمير، ويسيطر عليها العقل، يعيش في المرة الاولى تحت رقابة الانسانية المتحررة، ثم يسبح في الاحلام، ويخلق في سبات تلك الاجواء المثالبة، كشاعر يعتصر قلبه صوراً وألواناً، فلنصلع الى ترانيمه! .. حينما سيطر المجتمع على وسائل الانتاج، لا يعود يأخذ الانتاج صفة البضاعة اعني بوضع حدود لطريقة تملك الانتاج، التي كما رأينا، تجعل المنتجات تتحكم بالمنتج، فالغرض في الانتاج

(١) نفس المصدر ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) نفس المصدر ص ٧٥.

الجماعي، تفسح مجالاً للتنظيم الوعي المثالي، والصراع لاجل الوجود الفردي يتلاشى. ولا نستطيع الا من تلك اللحظة ان نقول بان الانسان خرج أكيداً، من مملكة الحيوان، حيث يكون عندئذ قد استبدل شروط الوجود الحيواني، بشرط وجود إنسانية حقيقة. وجموعة شروط الوجود، التي سيطرت حتى الان على الناس، تصبح عندئذ خاضعة للرقابة الإنسانية، وبلغ الانسان السيادة على التنظيم الاجتماعي، يبلغ بذلك للمرة الاولى السيادة، والوعي على الطبيعة ذاتها فالقوانين التي يفرض وجودها في المجتمع حتى الان معتبرة كقوانين طبيعية غاشمة، تفرض على الانسان سلطة غريبة.... ولكن منذ هذه اللحظة ستصبح القوانين من إبداعه، وخلقها هو.. فمن هذا التاريخ سيديء الانسان في بناء تاريخه بيديه، بناءً واعياً مدركاً بأن الاسباب الاجتماعية، التي يحركها دوماً تنتج بتقدم التأثير، التي يريدها، وعندهن تخرج الإنسانية من مملكة القدر لتدخل في مملكة الحرية^(١).

كان بارقة أمل كانت تلوح لانجلز، او استبدت به الهواجس في هدئة الظلام فجعل يهذي بهذه الاساطير: (منذ هذه اللحظة..):

(فمن هذا التاريخ...)

غير ان الليل لم يجرف هذه الاطياف، بل ظلت تراود أفكار لينين - وحتى بعد ان مرت به تجارب قاسية - فنراه يقول - ناقلاً عن انجلز - (تسول البروليتاريا على سلطة الدولة، وتحول وسائل الانتاج بادي ذي بدأ الى ملكية

(١) نفس المصدر ص ٧٦-٧٧.

الدولة لكنها إذ تفعل ذلك تقضي. على نفسها بصفتها بروليتاريا وتقضي. على الدولة بصفتها دولة ... ان الدولة لم تلغ بل هي تقضي...^(١).

ويؤكد ذلك مردداً كلام انجلز: (... وان ظلت غير ملائمة لحزب ليس برنامجه الاقتصادي اشتراكياً، بصورة عامة بكل بساطة بل شيوعياً على وجه الدقة، لحزب هدفه الاخير حذف كل دولة، وحذف الديموقراطية بالتالي^(٢)).^(٣).

(١) لينين (الدولة والثورة) ص ٢١-٢٢.

(٢) نفس المصدر ص ١٠٠

(٣) ليس نقلنا لتصريحات لينين وستالين، غفلة او خلطا للمبادئ، فأنا اعلم أن لينين وستالين إشتراكيان وليسوا بشيوعيين وتصريرياتهم ليست حجة على الشيوعية، غير أنها عندما يشرحان كلام ماركس او انجلز، أو يحرراني على نظريتها فان تصريحاتها حجة على الشيوعية ولذلك تجد في كل موضوع اننا لا نكتفي بتصريرياتها بل نسجل أيضاً من تصريحات ماركس أو انجلز.

حساب الشيوعية

فشل الشيوعية:

هناك طريقتان، تتخذ كلاً منها قاعدة لمناقشة الشيوعية:

- ١- التساؤل عما اذا كانت النظرية الشيوعية، امراً واقعياً يستطيع تطبيقة.؟! ام هي فكرة من نوع (المثاليات) التي تتأبى على الواقع، ويلفظها الصعيد التطبيقي؟ مع فرض الاقتناع بعدها، وعدم خطورتها.
- ٢- البحث عن الخسائر والاضرار التي تستتبعها الشيوعية، والاخفاء، والاغلاط التي نتشوك بها النظرية الشيوعية...

مثالية الشيوعية:

ان أهم نوع من أنواع الفشل لمبدأ ما، هو ان يكون ذلك المبدأ مستعصياً على التطبيق، وان يكون التاريخ قد أعلن عجزه عن تطويقه لحقبة، من حقبه الزمنية، وابول ما يسترعي الادهان من التحلل النابع من التطرف الشيوعي هو التسائل التالي:

استجواب:

هل النظام الشيوعي نظام يمكن تطبيقه على صعيد المجتمع، كما امكن وصفه على صعيد الورق.؟ أم انه وهم يعيش في الخيال، ولا يبرز للنور إلا ويثير التهريجات والفوضى في الاتجاهات والافكار، حتى اذا تبرع المتطفلون بالوسائل لتطبيقه، طار من أكف دعاته كما يطير الوهم، وانسحب كما تنسحب الاطياف امام أشعة الصباح!؟؟

اضغاث احلام:

ثم يأتينا الجواب سلبياً: (نعم! إنه نظام مثالي غير صالح للتطبيق !!!) فقد كان ماركس رجلاً متشائماً ناقماً على الحياة، وكافراً بالضياء والنور والسعادة...^(١) حاول الانتقام من البشر الذي لم يركع امامه واطاح به في بؤرة المندوذين.... فكان كلما آوى إلى مخدعه جعل ينحدر من تجاعيد دماغه هذه الأفكار والنبوءات، ولم يلتقطها من واقع المجتمع والحياة بل كان يتنبأ في الماء، ويتصيد السمك في الهواء، فأصبحت أشبه بالاوهام، منها بالمبادئ والدستير، وكانت قفزته الخيالية انتفاضة عاطفية فجائية، عقبها سقوط أكثر إمعاناً في الفجائية..... ولكنـه كان يعيشها جذلاً مغتبطاً... ثم انجرف معه تلميذه وزميله أنجلز... فتعاونا على إطلاء أفكاره ونشرها في الاوساط الناقمة الثائرة، كالعمال والفلاحين الذين هم أبعد الطبقات عن الوعي والثقافة، فتقبلها الكثيرون، لا رغبة فيها، بل خشية من الانظمة التي كانت تسود ذلك اليوم، ورزحوا تحت كابوسها طويلاً...

وكان كارل ماركس يؤمن بأفكاره إيماناً عميقاً، وحتى دفع بأنجلز ليبشر بها، ويعلن تطبيقها، ولكنـها لم تغن من الحق شيئاً... حتى إذا ظهر لينين على المسرح واستعاد نشاطه، وتجمع قواه. واندفع بكل ثورة وحماس ليطبق أفكار ماركس وتبؤاته... فإذا بها انفجرت كما تنفجر فقاعات الصابون... واسقط في يده أن رأى نفسه يتحطم على صخرة الواقع...

(١) تدلـنا على ذلك ترجمـه.

ارتداد عن الشيوعية:

فابتدر الى نسخ النظريات الشيوعية، وابتداع نظرية اخرى هي الاشتراكية... وحيث كان قد ألب الجماهير حوله باسم المبادئ الماركسية، ورأى الناس مغرين بذلك المبادئ، لا بما يختلفه ارتجالا تحت ضغط الظروف والملابسات... وهاله ان يعلن عجزه وانهزامه من الميدان، وفشل المبادئ الماركسية، خشية ان يتفرق الناس من حوله، ويتهزء الفرصة (حزب المنشفيك) المناوئ للشيوعية، ويعود قيصر الى العرش وينكل بلينين وزبانيته شر تنكيل ...

لهذه العوامل، وغيرها.. حاول ان يوفق بين نظرياته والمبادئ الماركسية، ماوسعه الامر... واعلن ان الشيوعية لاتنزل علينا عفوا من السماء، وإنما يجب ان نصنعها بأيدينا عبر نضال طويل، يجب ان نخوضه ونخوضه كل فرد روسي... فلنستمع إليه وهو يقول:

(والمجتمع الشيوعي إنها هو شيوعية في كل شيء الأرض مشتركة، والمعامل مشتركة، والعمل مشترك، تلك هي الشيوعية، فهل يمكن ان يكون ثمة عمل مشترك؟ اذا كان كل أمرئ يستثمر قطعة من الأرض لحسابه الخاص، إن العمل المشترك لا ينشأ دفعة واحدة! هذا غير ممكن! ولا يهبط من السماء! إنما ينبغي اكتسابه، إنه ثمرة آلام طويلة، ينبغي إنشائه، وهو ينشأ في غمرة النضال^(١)).

(١) لينين مهمات منظمات الشباب ط موسكو ص ٢٣.

فاعتبر نفسه في فترة الانتقال، زاعماً: استحالة القفزة الفجائية من المرحلة الرأسمالية، إلى الشيوعية، دون أن تخللها المرحلة الاشتراكية.

فقال: إننا يجب أن نحقق الاشتراكية لنعبد الطريق إلى الشيوعية، وزعم أن هذه كانت فكرة ماركس وانجلز، ليبرر قصوره وعجزه، ونقل عن أنجلز، التصريح التالي:

(.. إذن فقد كان من الحال بصورة مطلقة، بالنسبة إلى ماركس، كما بالنسبة إلى أن نستعمل مثل هذا التعبير المطاط، للتعبير عن وجهة نظرنا الخاصة لكن الأمور تختلف اليوم فيمكن التساهل بقبول مثل هذه الكلمة، (اشتراكياً ديموقراطي)، وإن ظلت غير ملائمة لحزب ليس برناجه الاقتصادي اشتراكياً بصورة عامة، بكل بساطة، بل شيوعياً على وجه الدقة^(١) ..).

وربما كان يلقي الذنب: ذنب عدم تطبيق الشيوعية على تأخر البلاد، زاعماً إننا نقوم بشيء من التراجع في إداء مسؤوليتنا لأن تأخر البلاد الاقتصادي، لا يسمح لنا بتطبيق الشيوعية، ولكننا بهذا التراجع نستمد نشاطاً مضاعفاً لنرجع الكورة الخامسة على روابض الرأسمالية، والاشتراكية القائمة في سبيل تطبيق الشيوعية، قائلاً: (... إنما: (الحزب الشيوعي والحكم السوفيافي) يقومان بشيء من التراجع، لكي يستطيعا حين يصبحان أحسن استعداداً، ان يستأنفا الهجوم على الرأسمالية إن التجارة الحرة، والرأسمالية مسموح بها اليوم، بصورة خاصة، وهم

(١)لينين الدولة والثورة ص ١٠٠ نقل عن أنجلز.

تطوران على أن تكونا خاضعين للترتيبات، التي تضعها الدولة... إن مشاريع الدولة التي حولت إلى مشاريع اشتراكية، تبني المبدأ المسمى بمبدأ المردود التجاري، أي إنها تعمل على أساس تجاري، وهذه الحالة نظر لتأخر البلاد^(١). وحيث كان يحمل هذه المسؤولية على تأخر البلاد، حاول استنزاف طاقات العمال وال فلاحين، لترميم الاقتصاد، وذلك بجعل كل فرد عضواً في الحزب الشيوعي، ليستفرغ موهاباته وامكانياته في تشييد البناء الشيوعي دون أيها قيد أو شرط لذلك نراه يطلق هذا النداء: (... أما نحن فينبغي لنا أن ننظم كل الأعمال... بصورة يستطيع معها كل عامل وكل فلاح أن يقول: إنني عضو في هذا الجيش الكبير، جيش العمل الحر^(٢)).

وكان أبداً يمني الناس بأنه سيقيم الشيوعية في اليوم القريب... فنجده مرة يقول: (... وسأعرف بنفسي كيف أقيم النظام الشيوعي^(٣)). وأخرى كان يؤمل الناس بقيام الشيوعية بعد عشر او عشرين عاماً قائلاً: (ينبغي على الجيل الذي يبلغ اليوم الخامسة عشرة من العمر، والذي سيعيش في المجتمع الشيوعي، بعد عشر، او عشرين سنة ان ينظم دروسه ...^(٤)).

(١) لينين (حول دور النقابات ومهماتها) ص ٦.

(٢) لينين (مهمات منظمات الشباب) ص ٢٨.

(٣) لينين (مهمات منظمات الشباب) ص ٢٨ .

(٤) نفس المصدر: ٢٨ .

لقد انطوت حياة لينين، وخلفه استالين وهو الآخر أيضاً لم ينجز تطوير الاشتراكية إلى الشيوعية بل علقه على ثلاثة شروط: (فاولاًً، يجب أن يؤمن بشكل متين، إنما متواصل لكل الاتصال الاجتماعي...).

وثانياً: يجب لتحقيق الانتقال ... رفع الكولخوزية .. وثالثاً، تأمين تقدم ثقافي للمجتمع يتبع لجميع أعضائه تطوير مؤهلاتهم الجسدية والفكرية تطويراً متناسقاً^(١).

لقد كان لينين يهيب بالناس أن يعملوا البناء الشيوعية، التي ستحقق بعد عشر أو عشرين عاماً ... وأهاب ستالين بالناس أن يعملوا التحقيق الشرـوط الثلاثة ولم يختلف عن لينين وستالين سائر زعماء الشيوعية فانهم جميعاً كانوا يلهجون بهذه النغمة ... ولكن واحداً منهم لم يتخطر هذه الخطوة ... وان حملوا الناس باسمها اعباء واعباء ...

ولقد انقضى عشر سنين، وعشرون سنة ... وبلغ الاتحاد السوفيتي العقد الخامس من عمره وانجز مكاسب وانتصارات(!) ولا يزال خرسوف يمني بقيام المجتمع الشيوعي ، لتغيير السذاج البسطاء فنراه يقول: (... ونحن نسير

(١) (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) ص ١٣٨ - ١٤٠ نقلًا عنى . ف ستالين في كتابه (القضايا الاقتصادية الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي) .

نحو المجتمع الشيوعي ...^(١).

ويقول: (... وعما قريب ستأخذ هذه البلدان، شأنها شأن الاتحاد السوفيتي، في بناء المجتمع الشيوعي ...^(٢)).

وتجد هذه التصريحات وغيرها تميز بطابع التسويف ... غير ان خروشوف يأبى في بعض الاحيان حتى هذا التسويف، فهو يجد الامور طوع يديه، مهما كانت تصريحاته، فلا يجد حرجا من التصريح بالواقع الراهن لذلك يصر-ح بان الانتقال الى المرحلة الشيوعية جد بعيد، فان بعض البلاد السوفيتية لم ينتقل بعد الى مرحلة الاشتراكية، فكيف تسنح لها الانتقال الى الشيوعية؟ (كيف يجري في المستقبل تطور البلدان الاشتراكية، نحو الشيوعية؟ هل يمكن لنا ان نتصور وضعاً يتوصل فيه بلد من بلدان الاشتراكية الى الشيوعية؟ ويطبق المبادئ، الشيوعية في الانتاج والتوزيع، بينما سائر البلدان لا تزال متاخرة جداً، عند الاطوار الاولى من بناء المجتمع الاشتراكي ان هذا الوضع قليل الاحتمال)^(٣).

والواقع ان الانتقال الى الشيوعية قليل الاحتمال بل غير ممكن بكل صرامة فان لينين حرف الشيوعية تحريفاً جذرياً، وكون نظاماً جديداً قابلاً للتطبيق، وان اعتبره المرحلة الانتقالية كما صرح بذلك ستالين : (اما الحقيقة كلها عن اللينينية، فهي انها لم تقتصر على بعث الماركسية، بل خطت فوق ذلك خطوة اخرى الى

(١) خروشوف (في الارقام التوجيهية) ص ٧٤ ط موسكو.

(٢) نفس المصدر: ٩٧.

(٣) نفس المصدر: ١٦٢.

امام، بتطویرها المارکسیة في الظروف الجديدة للرأسمالية، ولنضال البرولیتاریا
الطبقي^(١)).

كل ذلك ينبع ان الشیوعیة لم تطبق، وانما ظلت حتى الان حلماً شروداً، رغم
المحاولات السخیة، التي اهدرها الحزب الشیوعی، الذي اخضع لارادته جميع
المواهب والطاقات، وهذا اکبر دلیل على فشل هذا النظام، وعدم صلاحیته
لتوجيه المجتمع وتنظيمه.

یتسائلون:

وعلى اعقاب ذلك یسئلون: ولكن هل يعتبر عدم تطبيق النظام الشیوعی عیباً
في النظام نفسه؟ او هل يعتبر عیباً في اولئك الذين لم یطبقوه؟

والجواب: ان عدم تطبيق نظام من الانظمة حينما يكون بسبب جبن انصاره،
او عدم اخلاصهم لمبدئهم، فان ذلك العيب يكون راجعاً الى القادة، ومن الظلم
ان یحمل على النظام جريمة اقترافها اصحابه المسؤولون!!

اما لو كان عدم تطبيق ذلك النظام ناشئاً عن استعصائه، وعدم تطويقه
للواقع، ومصادمته للفطرة، ومناقضته لنومايس الاشياء . فلا شك ان ذلك
یكون نقصاً في النظام.

والواقع انا لا نستطيع ان نتهم قادة الشیوعیة، من لدن مارکس الى
خرрошوف، بعدم الاخلاص لمبدئهم، او العمل على عرقلة النظام الشیوعی

(١) ستالین (أسس الليثينية) ص ٢.

والحيلولة دون تطبيقه .. وبالرغم من محاولاتهم الصادقة بقيت الشيوعية بمعزل عن واقع الحياة . لاستعصائهما على التطبيق، ومناؤتها لفطرة الاشياء وهي التي اورثت جهادهم هنا الفشل الذريع.

اخطاء الشيوعية:

ليست بي حاجة الى تعداد اخطاء الشيوعية، فان الشيوعية كلها مجموعة اخطاء واغلاط ... ولا نجد بندأً من بنودها بريئاً من الطيش والتناقض . فان مباديء الشيوعية، لا تعدو الافكار التالية :

- ١ - فطرة الانسان مجردة عن الميول، والغرائز، والاستئثار ..
- ٢ - اختللت عن البشرية المراحل الخمسة التاريخية: الشيوعية الاولى، الرق،
الاقطاع، الرأسمالية، الشيوعية الثانية!..
- ٣ - ولا بد من : استيلاء البروليتاريا على الحكم.
- ٤ - القضاء على رأس المال، والربح الناتج منه!
- ٥ - القضاء على الملكية الفردية .
- ٦ - القضاء على العائلة .
- ٧ - تأميم وسائل الانتاج.
- ٨ - القضاء على الطبقات.
- ٩ - الغاء الدين، والاخلاق، وتحطيم سائر القوانين السائدة.
- ١٠ - جعل العمل اجباريا للجميع.

- ١١ - توزيع البضائع حسب الحاجات، ورفع الأسواق والقود.
- ١٢ - القضاء على الدولة .

تجريد الانسان من الميل:

فاما اعتبار الانسان مجرداً من الميل المتأصلة في طبيعته، فهو خطأ تنقضه الفلسفة الديالكتيكية ذاتها !! .

فان (دارون) و (فرويد) اللذان نشرـا بذور الـديـالـكـتـيـكـ، يـقـرـرـانـ فـيـ الحـيـوـانـ كـمـاـ فـيـ الـاـنـسـانـ الـغـرـائـزـ الـجـاحـمـةـ، وـالـمـيـولـ الشـرـهـةـ، وـيـفـسـرـ انـ جـمـيـعـ مـظـاهـرـ الـاـنـسـانـيـاتـ وـالـدـيـانـاتـ بـهـاـ، وـيـعـرـفـانـهاـ مـبـعـثـ الـظـواـهـرـ الـبـشـرـيـةـ كـلـهـاـ ... وـهـذـاـ التـفـسـيرـ الجـنـسـيـ لـلـسـلـوكـ الـبـشـرـيـ، لـيـسـ تـفـسـيرـ لـلـسـلـوكـ الـفـرـديـ وـحـدـهـ، وـاـنـهـ هوـ كـذـلـكـ. مـحـورـ الـحـيـاـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ. مـنـذـ بـدـأـ التـارـيـخـ الـبـشـرـيـ حـتـىـ الـيـوـمـ ..

كان دارون قد قال : (في عالم البقر تنطلق الشيران الفتية الشابة تريـدـ انـ تـزوـ علىـ اـمـهـاـ. فـتـمـنـعـهاـ سـيـطـرـةـ الـاـبـ. الـمـيـطـرـ عـلـىـ الـقـطـيـعـ. فـتـنـشـبـ مـعـرـكـةـ حـامـيـةـ . بـيـنـ الـثـيـرانـ الـفـتـيـةـ . وـالـاـبـ الشـيـخـ . يـتـكـتـلـ فـيـهاـ الـاـبـنـاءـ ضـدـ اـبـيـهـمـ حـتـىـ يـقـتـلـوـهـ . ثـمـ يـقـتـلـوـنـ فـيـاـ بـيـنـهـمـ. كـلـ مـنـهـمـ يـرـيدـ انـ يـسـتـخـلـصـ الـاـمـ لـنـفـسـهـ فـيـمـوـتـ الـضـعـافـ فـيـ الـمـعـرـكـةـ. اوـ يـعـزـلـوـاـ. وـيـبـقـىـ ثـورـ وـاحـدـ يـسـتـوـيـ عـلـىـ الـاـمـ وـيـصـبـحـ هـوـ قـائـدـ (الـقطـيـعـ).).

وجاء فرويد ينقل عن دارون هذه الاسطورة القدرة . غير انه نقلها (ايضاً) من عالم الحيوان الى عالم الانسان . فقال: (حدث في البشرية الاولى. يحدث في عالم البقر احسن البناء برغبة جنسية نحو امهem التي ولدتهم ولكن سطوة الاب كانت تمنعهم من هذه الشهوة الاشنة. فتآمر الابناء على قتل ابيهم . ليتخلصوا

من سلطته . ويستأثروا بأهمهم . واستيقظت الأرض ذات صباح على صيحات مجنونة وصرخة مروعة: لقد نفذ الآباء ما تأمروا عليه).

ويذهب فرويد الى حيث يدعي : الجنس هو كل شيء . وكل شيء نابع من الجنس .. فيقول: (الطفل يرضع ثدي امه بلذة جنسية ويتبول ويتبرز بلذة جنسية. ويحرك عضلاته بلذة جنسية... ويرتبط بامه بشعور جنسي. (كما ترتبط الطفلة الانثى بابيها بشعور جنسي)).

لسنا بصدده مناقشة هذا الهراء الفارغ مناقشة موضوعية ولكننا نستخلص من ذلك كله : ان المادية الدلالية تؤكد: ان الفطرة البشرية الاصلية مختمرة باللوان من الميل العاطفية والغرائز الجنسية. والاستبداد والاستئثار.. اذن فكيف يمكن استخلاص الانسان من نزواتها الطائشة دون ايها كبت داخلي. او خارجي؟؟

فاذن ! انهارت الدعامة الاولى، من دعائم الشيوعية، القائلة: بان الانسان بطبيعته الاولية مجرد عن الميل والغرائز، والبيئة هي التي تفرضها عليه، ويمكن تجريد الانسان منها بتبدل البرامج الاجتماعية، وتعقيم البيئة منها!!!

مراحل التاريخ:

ترتكز الفكرة الشيوعية - في المرحلة الثانية - على مبدأ دارون القائل: بالتطور الطبيعي الحتمي للبشرية في كل شيء ... فهي كما تنتقل من الصيد الى الرعي، الزراعة، الى الصناعة ... وتطور من الخرافية، الى التدين، الى العلم ... كذلك تنتقل من الشيوعية، الى الرق، الى الانقطاع، الى الرأسمالية. الى الشيوعية ... وهذه الفكرة مغلوطة، بالغة في الغلط ..

فاولاً: من ذا يقول: ان البشرية مرت بهذه المراحل؟ واي تاريخ يسجل: ان الانسانية الاولى كانت شيوعية؟ وحقا، ان من السخف ان يدعى المرء مثل هذا الادعاء الطائش، الذي لا يعتمد على اي مدرك او دليل ...

ثانياً، ان المصادر التي تروي لنا اخبار البشرية الاولى، لا تعدد الكتب السماوية، واحاديث الانبياء والائمة عليهم السلام. وهي جميعاً تؤكد: ان البشرية الاولى لم تكن شيوعية، وان اول بشر وجد على سطح الارض وابو الانسان. (آدم - ع) كان نبياً وذريته كانوا مؤمنين وكافرين، كما هم الان مؤمنون وكافرون ... فاذن! اين وجدت الشيوعية الاولى؟ اكثر الظن ان الشيوعية الاولى تكونت، وعاشت، وماتت، في خيال دارون وزبانيته وادنابه!! كما ان الشيوعية الثانية لم توجد الا في اوهام ماركس، وانجلز، ولينين وعملائه.

ثالثاً، ان القول بالمراحل المتعاقبة للبشرية: الرق، ثم الاقطاع، ثم الرأسمالية، خطأ مفضوح، فان التواریخ تحدثنا: انها لم تكن مراحل متتالية، بل كانت ظواهر متقارنة لفساد الاجتماع، فكان يعدم الرق، والاقطاع، والرأسمالية، في المناطق الخاضعة للاديان الصحيحة، كما كانت توجد ثلاثتها بمجرد انطلاقها من حدود الاديان ...

وحتى قبل نصف قرن كانت الرأسمالية تعيش الى جانب الرق، والاقطاع، واليوم نجد الرأسية والاقطاع معاً الى جانب اسلوب متتطور من الرق، يلائم القرن العشرين، هو استعباد المستعمرين لمستعمراهم!

فتلخص من ذلك كله: ان تفسير التاريخ بهذه المراحل الخمس اكذوبة مرتجلة
تائهة !

حكومة البروليتاريا:

اول ما تنجزه الشيوعية استيلاء البروليتاريا: (الطبقة العاملة على الحكم
وهو الركيزة الثالثة في الفكرة الشيوعية... وهو خطأ! :

١ - ان توجيه الاجتماع، وادارة السياسة الداخلية والخارجية، وتنظيم الاقتصاد
والثقافة، والشرطة، والجيش، ... يتطلب مزيداً من الوعي والمواهب.
والتجارب والعمال ابعد طبقة عن الكفاءات والامكانات، والطاقات
الفكرية الخلقة الكافية لتولي دفة الحكم بيقظة وحكمة أنسنة ... فهل من
الصحيح تفويض مصير الملاليين الى طبقة لم تؤت نصباً من الوعي
الاجتماعي . والتنظيم السياسي. بعذر: انهم كانوا مضطهدین او انهم
يكذبون اكثر من اية طبقة اخرى !؟؟!

ب - صحيح ان العمال يقومون بدور هام في الانتاج. وفي خدمة الاجتماع.
ويبذلون من الجهد ما يستحق التقدير. ولكن مجرد قيامهم بالعمل لا يعني
ان الطبقة المختارة المفضلة على سواها. فالاجتماع يحتاج الى جهد تعاوني
مشترك منظم، يقوم به العمال. والمهندسوں والمفكروں. والمتکروں.
والجيش والشرطة، والمدراء، والمعلمون، والطلاب والكتاب... على حد
سواء، كشركاء في تنظيم الاجتماع، وضمان توفير الرخان، والخيلولة دون
طغيان انسان على انسان. فالعمال يساهمون بالجهد البدني كما غيره يساهم في
الجهد الفكري . او البدني ايضاً.

وبعد ذلك فلا يوجد مبرر لتفضيل العامل، على من يؤدي مسؤوليته الاجتماعية، بحججة ان العامل نواة الاجتماع فالمدير – كذلك – نواة الاجتماع لولاه لشاع الفوضى . وسحق العامل وانتاجه معاً كما لا يوجد ما يدعوه الى القول بان العامل يعيش بحق لانه يأكل انتاج نفسه . والآخرون متطلعون على العامل لأنهم يأكلون انتاجه، ففي وسعنا القول بان الجندي يحيا بحق لانه يحمي نفسه، والعامل متطلف على الجندي لانه يتغيا ظلاله، ولو لولاه لما استساغ الحياة ... وكذلك سائر الأفراد الذين يقومون بخدمة اجتماعية !! فكل فرد يبذل جهده الـ ان يتقاضى ثمنه سواء تمثل هذا الجهد في الطاقة البدنية او الذهنية او في الطاقة الميكانيكية التي توفرها الالات نيابة عن اصحابها .

ج - ثم لو اعترفنا لصدق نظرية لزوم دكتاتورية البروليتاريا هل ان جميع العمال يتصدرون المناصب، ام بعضهم دون بعض؟ لا يمكن رفع جميع العمال الى الحكم . لأن الدوائر تضيق بهم . فلا بد من تفضيل بعضهم على بعض .
وذلك لا مبرر له .. !

ثم لو رفعوا العمال الى الحكم فمن ذا يقوم باداء مسؤوليتهم في الانتاج؟ ومن هم المعينون بكلام ماركس: (اذ ان الصناعة الكبرى تهدم كل صلة عائلية عند البروليتاريا وتحول الاولاد الى مواد تجارية بسيطة وادوات عمل صرفه^(١))؟ الا يشمل ذلك اولاد العمال؟ اذن فالعمال يحولون الى مواد تجارية بسيطة . وادوات عمل صرفه . ولا يرفعون الى المناصب . اما دفة الحكم . فيوليها غيرهم .

(١) البيان الشيوعي: ٤٨ .

فالنتيجة الملخصة: ان (حكومة البروليتاريا) سراب يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه.

الدكتاتورية:

وتعارض نظرية (دكتاتورية البروليتاريا) مع الحريات العامة التي ينبغي ان تتوافق للمحکومين . فالدكتاتورية فكرة لئيمة . منها اختلفت اشكالها والوانها. ولا يشفع لها ان تكون دكتاتورية البروليتاريا. لأنها تكشف عن عدم تطوير الشعب لتلك الحكومة. سواء أكانت تلك حكومة العمال . او البيو قراطين او الاستقراطيين او الارستقراطيين او الرأسماليين والحكومة الشعبية ابداً ليست بحاجة - في تنفيذ برامجها - الى التوسل بالدكتاتورية، والقسوة، والاضطهاد، وانما تتوسل بها الحكومات الاجنبية عن روح الشعب، التي تفرض عليه سلطات غريبة عن حاجاته واهدافه) فالتجاء الحكومة الشيوعية الى الدكتاتورية تنم عن انها ليست حكومة من الشعب وللشعب، وانما هي حكومة ضد الشعب ورغم الشعب ...

فلا بد اذن من الغاء الدكتاتورية، واستبدالها بالحرية .. !!

رأس المال وربحه:

يحسب الشيوعيين: ان رأس المال والربح الناتج منه، يلازمان - ابداً - الاستغلال، والاحتياط، والربا .. وبالتالي تكوين الطبقات المتعاكسة... ولا يفهمن ان تلك نتائج رأس المال المطلق اما رأس المال والربح الناتج منه المحددان ، فلا ينتجان شيئاً من تلك السيئات ...

بمقتضى هاته الفكرة الضيقة يحكم الشيوعيون بوجوب القضاء على رأس المال والربح الناتج منه . في حين ان رأس المال والربح الناتج منه، من العوامل الاساسية في توفير الانتاج، وتحسينه وتوزيعه ! اما ضرورة وجود رأس المال فل:

ا - ان دفع اجر العمال، والمستخدمين، والمبتكرین، والمدراء امر واجب الاداء في الوقت المعلوم، ولا يتحمل التسويف والانتظار الى ان يتم اخراج السلعة وتسويقها، وذلك لا يكون الا مع وجود رأس المال . ولا يمكن ان يأخذ العمال والمستخدمون كميات متكافئة من نفس السلعة التي يتبعونها، لأن حاجاتهم لا تختصر في سلعة معينة وانما تحدو بهم الى الوان شتى من السلع والخدمات ... لذلك لا بد لهم من الاجور والكافئات النقدية، ولا بد للاجور والكافئات النقدية من رأس المال !!

ب - ان رأس المال هو الذي تهيأ به المعامل والمصنع، وتشتري به آلات التي لا بد منها في توفير الانتاج وتحسينه وتحقيق قسوة العمل ... كما انه لا بد من رأس المال في شراء الخامات واستخراجها من المناجم .

ج - وبدون رأس المال، لا يمكن ضمان استمرار الانتاج - سيما في الازمات الاقتصادية - فصاحب رأس المال يغامر بثرواته، لانه يدفعها وهو يعلم انها لا ترجع اليه الا بعد انتاج السلعة وبيعها، وهذه مغامرة بالنسبة الى من لا يعرف مدى ما سيصيب سلعته من رواج او بوار .. كما ان صاحب رأس المال ربما يضطر الى التضحية بشطر من امواله في سبيل تحسين الانتاج اذا انتاج الرأسمالي الاخر سلعة اروع واباعها بأبخس ثمن - تبعاً لعوامل قد

تحدث في الاقتصاد - فيضطر كل من التجار إلى تحسين سلعته وبيعها بثمن زهيد، تحت ضغط التنافس الحر ... وذلك لا يكون إلا بوجود رأس المال .. نعم لا بد من تحديد رأس المال، كي لا يطغى ويفسد أكثر مما ينتج !!

واما ضرورة وجود الربح الناتج من رأس المال فلو لا ه لم يقدم احد على الاشتراك في حلبة التجارة، والمغامرة بامواله في سبيل اللاثيء، لأن التجارة لا تربح ابداً، فالتجار قد يجهد ولا يربح، وربما يخسر اصل المال فلو لم تكن هناك رغبة ملحة في الربح، تجافى كل فرد بامواله عن الاسواق ووقفت التجارة، وشاع الكساد، وتفسى العطل ..

غلطة ماركس:

ولكن ماركس حيث لا يؤمن بملكية الربح الفائض عن رأس المال يتسائل: (كيف يقدر مال ما ان يربح ، ويصبح اكثر من نفسه ؟ انا لا نجد في المتوج الا ما يساوي المال المدفوع للعامل ، وقيمة العمل - اي القيمة الذاتية للمتوج - وتأكل الآلات .. فمن اين اتى الربح ؟ ا كانت هناك قوة سحرية تجعل راس المال اكثر من هذه القيم ؟) ثم يفسر هذه الظاهرة بان الرأسمالي ائما يكسب الفرق بين الاجر الذي يعطيه للعامل، والقيمة الحقيقة للمتوج اي ان الربح يأتي على حساب نفع العامل ومن وراء الاضرار بحقه، واذن فالربح لصوصية ظالمة، ينبغي القضاء عليها.

ان ماركس يعدد سعر الخامدة، واجر العامل، ونفقات العمل فير ان
الواجب ان تباع البضاعة بنفس الثمن - مثلاً - اذا كان ثمن الخامدة ٢ قرشاً
واجر العامل ١ قرشاً، والنفقات الاخرى ١ قرشاً، فالمجموع - ٤ قروش.. فلو
باعها صاحب رأس المال ب ٥ قروش، يرى ماركس . ان هذا القرش الخامس
زائداً ! فيتفلسف له، من اين اتى ؟ يتنهي الى ان اجر العامل لم يكن قرشاً واحداً،
وانما كان قرشين، وحيث دفع صاحب رأس المال للعامل قرشاً واحداً، فهو اذن
سرق منه القرش الآخر، الذي استأثر به.. مع ان هذا خطأً مفضوح !

لان صاحب رأس المال يعمل ايضاً، غير ان عمله ليس عملاً يدوياً ولست ادرى كيف ان المهندس يستحق الاجور؟

والمدير يستحق المكافأة؟ اما صاحب رأس المال - الذي هو بمنزلة المدير العام في بعض الاحيان، وبمنزلة المهندس والمدير في بعض الاحيان - لا يستحق شيئاً، حتى اذا وفر لنفسه قسماً من سعر البضاعة يعتبر لصاً؟!!.

والواقع ان صاحب رأس المال لا يقل عن المدير، فلا يعتبر لصالو استوفى نصبيه. كما ان المدير والمهندس، والعامل كذلك، فكما ان البضاعة لا تخرج من دون عمل العامل، كذلك لا يمكن الانتاج من دون تنظيم وتوجيه صاحب رأس المال ...

وفي نفس الوقت نعترف بلزوم ان لا يغالي صاحب رأس المال في تحديد الاسعار، كي لا ينال اكثر من نصبيه الشرعي.

اما كيف يسمح لاصحاب الشركات العالمية، ان يستوفوا الارباح السخية،
لعدة كلمات يلفظونها كل يوم في لاقطة التلفون؟ فمثلاهم مثل الوزراء، الذين
يحتكرون المناصب الخطيرة، وراتبهم - على اي حال - اكثر من راتب موظف
بسقط، مع ان عملهم اليومي اقل بكثير من عمل ذلك الموظف... وهذا حق،
لان نوع العمل مختلف، وتبعا لذلك تختلف كمية الاجور، لان للعمل الخطير
مسؤولية خطيرة والقيام بالمسؤولية الخطيرة فيها يستتبع خسارة جسيمة، فلا بد ان
يكون في الطرف المقابل منفعة راجحة حتى ينهض فرد من الطاحين بعئها ...
فاذن لا بد من تقرير مشروعية رأس المال، والربح الناتج منه ...

والشيوعية لا تقضي على رأس المال قضاءً تاما، وانما تحولها من ايد الى ايدي،
وسنبحث عن ذلك تحت عنوان (التأمين)^(١).

الملكية الفردية:

ان حرية الفرد في اختيار العمل الذي يروقه، و-tone له له ملكاته ومواهبه ...
وحريته في ان يرصد لنفسه ريع انتاجه ومكاسبه ... لان الحرية - لا القيود
والاستعباد - هي التي تفسح المجال للتنافس الحر والسعى نحو الكمال،
وانطلاق طاقة الابتكار، فحين توفر الحرية للافراد، بطريقة عادلة عمادها (تكافؤ
الفرص).

(١) لقد اسهبنا في الرد على هذه المادة من النظام الشيوعي لاني لم اجد من انجلز الواقع حقه!

يشعر الأفراد بما لديهم من كرامة، كما يجعلهم يكيفون حياتهم كما يريدون، فيتقدمون إلى الإمام، يسعون البحث عن وسائل جديدة لتنفيذ وتحقيق ما يريدون. والنظام الذي يكفل الحرية الفردية، قادر على استفاده موارد البشر والطبيعة .. فالرغبة الجامحة المبعثة من المنافع الشخصية، هي التي تشير في الإنسان طاقة الابداع والاختراع وتتيح للأفراد حق زيادة الدخل بالوسائل المشروعة، وتدعي إلى انتشار الرخاء ...

على حين ان مصادرة الحريات، تجعل من الأفراد آلات آدمية وتنشر نوعا من السخرة الاقتصادية، فحيث تحدد الدولة مقررات الأفراد والسيطرة على الانتاج، تعدد التنافس، وتقتل الابتكار، وتنجز النشاط والتحفز في الإنسان، فيضعف تدفق الانتاج، وبراعته وتحدى سير التقدم الاقتصادي في المbarيات الاقتصادية العامة ...

فاذن لا بد من الملكية الفردية. والا لنلخص الاقتصاد الوطني، والدخل الاهلي.

القضاء على العائلة:

من اسف ما في النظام الشيوعي، فانهم يحاولون القضاء على العائلة لاطلاق الشهوة الجنسية، والارتواء الجنسي الفاجر، وذلك هدف جد تافه، بالقياس الى ما يستتبعه من خسائر فادحة على الاقتصاد والمجتمع نذكر منها ما يلي :

١ - ان رئيسي العائلة الرجل والمرأة، يقومان بجميع الاعمال البيتية، وهذه الاعمال كثيرة باهضة جداً، ولكن الرغبة العاطفية نحو العائلة تحفز الرجل والمرأة الى انجاز هذه الاعمال، وتنسيهما الاتعاب والمصاعب، حتى لو لم تكن هناك عائلة، لم يقم احد بشطر من تلك الواجبات، فرجل العائلة يؤدي - على الاقل - ضعف ما يؤديه رجل الفرد ... فلو الغيت العوائل فاوضت الاعمال عن معدل العمال .. لأن رب الاسرة ينهض باعبائها خارج ٨ ساعات العمل المرسوم، فاذا تحطممت العائلة، أصبحت التكاليف المتزلية داخل برنامج ٨ ساعات العمل ...

٢ - ان حضانة الاطفال، وتربيتهم، وتنشئتهم، مما يقوم به رجل وامرأة، ويظمنان اشباع جميع حاجاتهم الاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية، اما لوبعشرت العائلة، كان على الدولة ان تخصص كميات كبيرة من الاموال، والموظفين والعمال والمستخدمين والنساء ... للقيام بتلك الحاجات، التي تصبح اجتماعية، بعدما كانت فردية ...

ان الاحصاءات المتكررة في اكثر البلاد الراقية، اعلنت: ان غالبية اطفال الملاجيء ينشأون قليلي الذكاء والموهاب، تبعاً للروتين السائد على الاعمال العامة، فتموت العبرية في نفوسهم الرشيقية، وتحجر عواطفهم البضة، بينما نجد اطفال البيوت ينشأون متوفري الملكات والامكانات لأنهم ينالون من حضانة الام ومرؤتها وحنانها الكمية المعينة من العناية المنسجمة مع نداءات فطريتهم، التي تعلنها جرس البكاء، ويحددها الاعراض ومهما كان نظام الملاجيء، فإنه لا يبلغ حنان الام.

فلا بد ان من الابقاء على العائلة، حرصا على نواميس الاجتماع ..

التأمين:

ما عسى ان تفعله الشيوعية، باحتكارها مصادر الانتاج، وتأمين الملكيات ؟

اتريد القضاء على البرجوازية والرأسمالية ؟ ام تريد سلب ثروات الشعب ؟ ..

والواقع ان النظام الشيوعي، لم يحاول القضاء على البرجوازية والرأسمالية، وان هتف المغفلون بذلك !! فقبل الشيوعية كانت ثروات البلاد تحت ايدي افراد الشعب، غير ان التوزيع كان جائرا، لذلك انقسم المجتمع الى ثلاثة طبقات متباudeة، الرأسالية، البرجوازية، الطبقة العاملة والفقراء ... وجاءت الشيوعية فسلبت مجموع الثروات من افراد الشعب وحولتها الى قاصات الدولة، فاصبح الشعب كله فقراء، واصبحت الدولة رأسالية جبارة.

فاذن الشيوعية لم تقض على رأس المال، وانما وجدته في ايدي الشعب فانتزعته بالشدة والعنف . واستأثرت به فكانت النتيجة أن ظهر رأس المال في اقسى مظاهره، عبر التاريخ والقرون، لأن الزمان لم يشهد رجلا واحدا يقبض على مجموعة ثروات عشرات الملايين من البشر حتى ان (فرعون) و (قارون) و (نيرون) و (هولاكو) و (جنكيز) وسائل المردة والطواغيت لم يبلغوا ما يبلغه رئيس الحكومة الشيوعية..

فاذن لا يصح مصادرة رأس المال، وتأمينه، لانه يبقي رأس المال وانما يتحول من ايدي الى ايدي، ويصبح اقسى مما كان عليه في اي نظام اخر ..

الطبقات:

ان النظرية الشيوعية تقسم المجتمع ابداً، الى طبقة عاملة كادحة هي البروليتاريا ، وطبقة مستغلة مستثمرة متغفلة على المجتمع هي: البورجوازيون والرأسماليون، ويختلفون – على صعيد الورق – الصراع الدائب العاصف بين هاتين الطبقتين... وهذا النوع من التقسيم لطوائف المجتمع ينطوي على مغالطة مقصودة، فمجرد وجود جماعة من المفكرين، وجماعة من العمال، وجماعة من الموظفين، وجماعة من الضباط العسكريين، وجماعة من اصحاب رؤوس الاموال في اي مجتمع من المجتمعات.. لا يعني بالضرورة : ان هذا المجتمع موزع الى طبقات متباعدة متصارعة...

كما ان قيام العمال بالعمل ، وبذل الجهد البدني، لا يجعل منهم طبقة قائمة بذاتها، مستغنیة عن سائر الطبقات... ومجرد استخدام اصحاب رؤس الاموال لامواهم في الانتاج، لا يلزم الاستغلال والتطفل .. فالعامل يملك طاقة بدنية، والمهندس يملك طاقة فكرية، وصاحب رأس المال يملك طاقة مالية، فاذا ما تعاونوا على الانتاج يجب ان يوزع الفائض بينهم، ولكن يجب - ايضا - ان يكون التوزيع عادلا ، ليتال كل مكافأته الكاملة، كي لا تبعد الشقة بين الطبقات، ولا ينشب الصراع بينها ويلغي تأليب الطبقات ضد بعضها البعض فاذا نال كل منجزات جهوده، او ارباح طاقاته ومواربه، فاي شيء يدعوه لتحطيم الطبقات، وتسويتها في طبقة موحدة، هي طبقة الكادحين؟؟؟ وانى ينشب الصراع والتناقض؟.

ان الاعمال التي تبني كيان المجتمع، قد تكون فكرية، وآخرى تكون جسدية، وينقسم كل منها الى العمل البسيط، والعمل القاسي، المستعصي ... وتبعد اختلاف هاته الاعمال سهولة وصعوبة، تختلف اجرورها والا لما تطوع اي فرد للقيام بالاعمال القاسية، وأثروا النهوض بالاعمال الهينة البسيطة ... وباختلاف الاجور تلك، تتكون الطبقات ...

تلك هي الفلسفة الطبيعية لتكون الطبقات !! ، فماذا تريد ان تفعله الشيوعية ؟

هل تحاول ان تجعل الاعمال المتباعدة - كلها - في مستوى واحد - تكوينا - من حيث الارهاق الفكري والجسدي ؟ وهذا محال ! لأن الاعمال مختلفة، شائت الشيوعية ام لم تشا .

ام هل تريد ان تعتبر الاعمال المختلفة في مستوى واحد، وتسبغ عليها كميات متساوية من الاجور والتقدير ؟ وهذا جحود للفضيلة، وانكار للجميل .. فان تسوية رئيس الحكومة، بكتابه البلدي، من حيث التقدير والاجور، كفر بالحق وظلم، وجفاء... ومتى كان ذلك فسوف ينكل الجميع عن تحمل المسؤوليات الخطيرة، ويتوانوا الا عن البسيط الخقير منها ..

او تبغي الشيوعية، ان ترفع الناس جميعا الى ارفع مستوى من الثقافة الوعائية، ثم يدعهم ليزاولوا الزراعة والصناعة ويتنظموا بانفسهم تنظيميا مثاليا؟ ان كان ذلك فستحدث عن مثالية هذه الفكرة تحت عنوان (إلغاء الدولة).

فلا مناص اذن، من اقرار الطبقات، غير انه يجب تعديلها، والعمل لتكوين مجتمع متقارب الطبقات، القائمة على اساس المواهب والاعمال..

الاديان والاخلاق:

ليست الاديان والاخلاق سلعة رابحة في القبر، ويوم القيامة، وبين الجنة والنار فقط ! ولكنها قوانين هبطت من السماء لتنظيم الارض، وتنسجم مع طبيعة الانسان . انسجاماً دقيقاً عميقاً... ولقد لمحها ماركس امامه سداً راسخاً شامخاً يكسر نبض التيار مهما كان قوياً جارفاً، فوجه اليها حملة ظالمة مسلحة ليزكيحها عن الطريق، حتى يمكنه تطبيق نظامه الكافر...

ولقد نفذ لينين خططاته القدرة، ومؤامرات ضد الحق والبشر. ، ولكنه ذاق الامريرن، كرد فعل طبيعي لالغاء الاديان والاخلاق لان الاديان والاخلاق، هي التي تعصم البشرية، دون اقتراف الجرائم واحداث الفساد الشامل، والقووضى العارمة، واغتيال الحقوق والاموال والنفس .. فاذا تعرى الانسان من الاديان والاخلاق، وعرف ان مدى نجاحه في الحياة انما يقدر بمقاييس المنافع الشخصية، فاي شيء يحجزه عن التوصل الى هدفه -مهما كان رخيصاً - حتى ولو تطلب سحق مئات الالوف من الابرياء؟

ان المحاكم والشهادات وجميع الدوائر والادارات .. انما تلتزم بوظائفها، لو عرفت نفسها تحت رقابة دقيقة من الدين والاخلاق، وسوف تتحرف عن منهاجها - لو لم تؤمن بالدين والاخلاق- حتى ولو كان عليها الف رقيب ورقيب ...

ان في بلادنا التي لا تزال تتسم بطابع الدين نجد الحكام والشهدود والرقباء، يحكمون بالباطل ازاء دراهم معدودة، مع ان في بلادنا لا يزال اسم الحرية باقى ويمكن الاستئناف، او توجيه الدعوى الى الحاكم والشاهد والرقيب، فكيف يكون الامر في البلاد التي تسودها الدكتاتورية المطلقة، من قبل فئة معينة، تحكم بالشبهة ، وقتل بالتهمة، ولا هدف لها الا انجاز مصالحها واغراضها، ونحن لا نطلق تلك جزافا وانما نستلهمها من الانباء التي تخترق الستار الحديدي بين الفينة والفينية !!

وقد خصصت الحكومة السوفياتية - في الوقت الحاضر - للعيون والبوليس السري ودوائر الامن ، الميزانية، اكثر بكثير مما ارصده لتأمين الاقتصاد الوطني، واسباب حاجات مجموع الشعب ... ولقد كانت الحكومة الاسلامية تبعث رجالا واحدا - بصفة - : (الوالى) لتنظيم لواء كامل، فكان وحده ينهض بذلك العباء الفادح، دون ان يحتاج الى معاون، او امن ... ومتى قايسنا هذا بذلك عرفنا مدى الخسارة التي تحملتها الشيوعية بالغائتها للاديان والاخلاق !!!

اما تحطيم القوانين السائدة، هو الثاني الذي يتوصل الشيوعيون له بشتى الوسائل والخيل، وهو حق لو كان هناك نظام خير منها، واريد استبدالها به، لأن جميع هذه القوانين السائدة، فاسدة غاشمة، ولا مراء في ذلك ولكن الحق ان الشيوعي اطغى واقسى منها فلا يصح سحقها، لتطبيق النظام الشيوعي ، فبعض الشر اهون من بعض !

فاذن لا بد من الابقاء على الاديان والاخلاق، وتشجيعها وتنميتها كما لا يصح استبدال القوانين السائدة بالنظام الشيوعي ...
القوة والعنف:

تعتمد الشيوعية، في مكافحة الاديان والاخلاق، والبورجوازية والرأسمالية، وتحطيم السلطات والقوانين السائدة على الانقلاب الثوري عن طريق القوة والعنف، رغم ما تنتوي عليه هذه النظرية الهوجاء من مجافاة لما فطرت عليه الانسانية، من النزعة السلمية، والرغبة عن الظلم والاضطهاد، ومعادة المبادئ التي تحرض على القتل ونشر الفوضى ، والولوغ في الدماء، والاستهتار بالارواح والكرامات، والمثل والمقادير..

ومن طبيعة النظم التي تفرض نفسها عن طريق القوة والعنف، والثورات الدامية، انها لا تردد في الالتجاء الى نفس الوسائل، في اخضاع المواطنين لرادتها، واستغلالها الاقتصادي، الاجتماعي والسياسي، الواقع ان الشيوعية التي تشجع الانقلابات الدامية في الحياة الفكرية، والاجتماعية والسياسية، ترتكب اقسى جريمة مروعة في حق الشعوب التي تقع تحت سيطرتها، لأن الثورات الدامية ابدا تصحبها جرائم نكراء، اهونها احداث الحروب الداخلية، ثم المجازر الرهيبة ...

عن طريق تأليب الطبقات على بعضها البعض، وشل الاقتصاد والانتاج، والتضحية بالحرثيات العامة، واهدار الحقوق والكرامات... في سبيل تكين فئة معينة من القبض على زمام السلطة، ولا بد ان تتمر هذه الوسائل حكومة دكتاتورية فجة قاسية، لا تؤمن بالشعوب ومصالحها ...

وبالفعل حدثت هذه النتائج الوخيمة على اثر الانقلاب الشيوعي في روسيا
ب بشاعة وقسوة خياليتين !!!

فلا بد اذن من حذف الانقلاب الثوري ، والقوة والعنف عن قائمة المبادئ ،
والا انتجت الانقلاب الثوري والقوة والعنف فالبر يشم البر ، والشوك يولد
الشوك ...

اجبارية العمل:

لماذا يكون العمل اجباريا ، ان كانت الشيوعية لانقاذ العمال من قسوة
البورجوازية والرأسمالية؟؟ وكيف تكون مصادرة حريات العمال واجبارهم على
العمل ، لو كانت الشيوعية حكومة العمال؟ ..

ان ماركس كان يصب احقاده على الرأسماليين والبورجوازيين لأنهم كانوا
يستعبدون العمال (!) فهل هناك استعباد اقسى من اجبارهم على العمل ،
وسلبهم كافة الحريات والضمانات القانونية؟ ان الرأسالية - رغم علاتها -
كانت تقرر حرية العمل والعمال ، وكانت تعترف بحرية العامل في ان يعمل او لا
يعمل ، وباسم مكافحة هذا النظام تكونت الشيوعية فاذا بها تقرر اجبارية
العمل .

عمل النساء والاطفال:

كما ان الشيوعية تسوى بين الرجال والنساء والاطفال في اجبارية العمل ، ولم
تفلت من حوزتها الخشناء ، لا النساء ولا الاطفال !! ولقد اسلفنا^(١) تباكي

(١)-لقد اعتمدنا في انتقاد الرأسالية على الاحصاءات وانتقادات ماركس في كتابه رأس

ماركس وصر خاته المسورة الكاذبة ضد الرأسمالية لأنها سلطت عصاها على النساء والاطفال ايضا ولم يكفها ما صنعت بالرجال^(١) والآن نجد نفس ماركس يفعل ما فعلته الرأسمالية من استخدام النساء والاطفال، ويأبى الا ان يضيف عليه، فيجعل العمل اجباريا للجميع، ليصدق انتصاره العميق للنساء والاطفال بصورة خاصة (!).

توزيع البضائع لا النقود:

تحاول الشيوعية ان يعمل كل فرد حسب اقصى طاقاته ومواهبه عملا اجباريا لا يمكنه التخلف منه لحظة، ولو واحدة، ثم يتناقضى كفاء هذا العمل المرهق، وهذا الاستعباد الابدي ... من البضائع بمقدار ما يشبع حاجاته الأساسية فقط !.

ونحن عندما نلاحظ كتاب (رأس المال) لكارل ماركس، بأجزائه الثلاثة، نجدة مكرساً في لعنة واحدة يصبها على الرأسمالية والرأسماليين لأنهم يسرقون من العمال فائض انتاجهم ونراه الان يسوق العمال وانتاجهم جيما ...

كان ماركس حاول ان يكرس في مبدئه الهدام مجموع القذارات والدනاءات والسخافات، ويضيف اليها افكاره التي هي شر منها جيما، ثم لا يستحي ان ينادي بأعلى اصواته: الحرية... العدالة... السلام... العمال... الحقوق..



المال، ليكون القارئ على بصيرة من موقع نظر ماركس على الرأسمالية - دون ان نكرر القول - فلننظر الان هل رفعت الشيوعية مظالم الرأسمالية ام اضافت عليها؟؟ .

(١)- انظر :((رأس المال)) كارل ماركس ج ٢٢ ص ٢٢١ - ٢٩٤ + وج ٣ ص ١٥١ .

النساء... الاطفال... ويتباكي على الحريات المضطهدة ، والحقوق السلبية،
والبشرية التي تتلوى تحت عصا رأس المال...

الدولة:

ان الدولة هي السلطة الموجهة لنشاطات الشعب، وحيث انها تملك جميع
الطاقة الجبارية، تستطيع من فرض ارادتها على الشعب، بحيث لا يشذ عنها
احد، فاذا كانت الدولة منبعثة من صميم الشعب، ولصالح الشعب، وتبنى
نظاماً ينسجم مع العواطف، والغرائز، والاتجاهات الفطرية المركزة في الانسان،
لا تحتاج الى اعمال مزيد من النشاط، واستخدام القوة، والعنف والارهاق..
وانها يكفي ان تحد من نشاط المنحرفين بتوجيههم ، او قمعهم اذا اخوا في
الشذوذ وهكذا يتقلص جهاز الدولة، الى ان تبلغ حد المراقبة على الشعب من
بعيد ، كما لا تحتاج عندئذ الى السلطات التنفيذية لان الشعب يعملون معها
كجنود متى تفرسوا فيها الخير والصلاح... ولكن يجب ان تبقى لتكون كموجة
ومؤدب للشعب، وكحامية عن العدو . شأنها شأن راعي القطيع الذي يحرسه
من السباع، ويرد الشاذ، والشريد، او كفلاح الحقل يتعهد بالسقي والتهديب،
ويطارد عنه اللصوص ... فلا بد من بقائهما ولكن بصورة بسيطة، وتعاونة مع
الشعب... ولا يمكن الغائها ما دام هناك اناس يتشارون عن الطريق عن عمد
او لا عمد .

اما اذا كانت الحكومة اجنبية مفروضة على الشعب او تبنيت نظاماً جائراً
تلطفه فطرة الانسان وركائزه الذاتية الاساسية، وتحاماه الطبائع، وتبني عن
اطاعتتها او مجاراتها، فلا بد حينئذ - لو ارادت البقاء - من استخدام صلاحيتها

وامكاناتها، واستباحة القسوة في البطش والتنكيل كي لا تفلت من يديها الزمام ،
ولا يتمرد عليها الشعب بصرية قاضية تطويها في بطون التواريخ ...
ومهما كانت الحكومة الشيوعية، فانها لا تستطيع من تغيير طبيعة الانسان،
ولن تقدر على ان تخلق من الناس ملائكة، لا يتجاوزون حدودهم المرسومة
لهم... زيادة على ان الحكومة الشيوعية اجنبية عن غرائز الشعب وحاجاته،
فتكون من النوع الثاني، التي لا بد لها من تنفيذ اقصى صلاحياتها وقوتها، لتبقى
على كيانها رغم مجموع الشعب ...
فاذن لا يمكن الغاء الدولة، كما كان يحلم به ماركس واذنابه !!

خاتمة:

لقد تلخص -من ذلك كله- ان الشيوعية ليست الا مجموعة الاغلات، فكل
بند من بنودها خطأ مفضوح لا يمكن الغض عنه .. وانها مبادئ اسطورية، بعيدة
عن طبيعة الانسان وواقع الحياة... ورغم المحاولات القاسية، والمحايا الكثار
التي قدمها لينين... وحيث لم تكن هذه الفكرة متزعة من صميم الحياة تذرعت
بالدكتatorية... وسلبت الحريات.. وفرضت الافراد أدوات ميكانيكية بسيطة
مسخرة لإنجاز واجباتها... ثم اصطدمت بالأديان... والأخلاق... والقوانين..
 فألغتها... واحتكرت مصادر الانتاج والملكيات الخاصة.. وقضت على العائلة..
 وحاولت تحطيم الطبقات... وتکفلت توزيع البضائع بنفسها ليكون مصير
الناس وحاجاتهم طوع إرادتها.. وهتفت باسم العمال وال فلاحين لتكسبهم قوة
هائلة عمياء... وارتکبت شتى الجرائم والمهلكات علها تفلح في فرض نفسها
على الشعب، ولكنها فشلت.. وفشلـت ... فهي إذن فاشلة !!

هذه هي الشيوعية:

التي تغري وتعجب الكثيرين .. والواقع ان الشيوعية لا تغري ولا تعجب لو عرفها الناس كما هي ولكن قادة الشيوعية بادروا الى ستر اخفاق الشيوعية، وجرائمها وسيئاتها، خلف ستار حديدي، بصورة فنية دقيقة، ثم انطلقو في الارض: ان هلموا الى الفردوس الاعلى، ودار السلام، والحرية، والسعادة، والرخاء، والحضارة، والتقدم والعلم والجمال ... مستغلين في ذلك حقد الطبقة الكادحة الفقيرة على الاوضاع والمستثمرين، وسرعان ما تفعل هذه الدعاية المغربية مفعولها السحري، فينصاع الفقراء السذج الى توجيهاتهم متجمهرين، بداعف التغري، او التلوين من طعم المحنـة - على اقل تقدير - حتى اذا نجحت الثورة الشيوعية انفلق الستار الحديدي، ليتسع لهم فينغلق عليهم... ومع انفاق الستار الحديدي، يفتحون اعينهم على القوانين المروعة الرهيبة ... وسوف تشملهم حملة التطهير، اما من اعلن نقمته على الاوضاع، أو انهم بعد ولائه للحكومة، فسوف تطويه السجون، ومعسكرات السخرة، ومجاهل سبيريا، حسب خطورته، وتفااته.^(١)

(١) لقد اصبح البحث اوسع من موضوع الكتاب، وذلك بغية ان نعطي نظرة موجزة كاملة عن المبدأ الشيوعي، ولكي لا نرتكب جريمة تجزئة الفكرـة الواحدة.

الاقتصاد الاشتراكي

الاقتصاد:

الاقتصاد الاشتراكي:

بعث الاشتراكية:

تلك المأسى والويلات التي استعرضنا شطرا منها في الاقتصاد الرأسمالي، احدث برماء، وانفجارات شاملة في الوعي العام، وسادت في الاوساط المضطهدة فكرة الانقلاب، وحيث كانت نقمتهم تنصب على النظام الاقتصادي الرأسمالي، عمدوا الى تشخيص الداء، وتعيين الدواء^(١) ليكونوا نظاما ناضجا متبلورا حتى يسنح لهم تطبيقه غب اتساح الرأسمالية، وخرج الجميع من بحوثهم الطويلة، بالاتفاق على تصديق اللائحة التالية: التي تتضمن الخطوط العريضة للمبدأ المسمى بـ(سوسياليزم) اي (الجماعية) بازاء (الفردية) التي تبناها النظام الرأسمالي.

أما النقاط الرئيسية في اللائحة، فتلخص في:

(ان مصدر الاعباء والشروع - في عالم الاقتصاد - إنما هو (الملكية الفردية) ولا بد لتنظيم الاقتصاد العادل من اخذ التدابير التالية:

- ١ - إلغاء الملكية الخاصة الغاءً كلياً أو جزئياً.
- ٢ - تنظيم الانتاج والتوزيع بواسطة المجموع.
- ٣ - تحقيق نوع من المساواة الفعلية).

تلك هي الجذور المركزية للاقتصاد الاشتراكي، المتفق عليها لدى الجميع ...

(١) الواقع انهم عرروا الداء، ولكنهم لم يعرفوا الدواء كما لم يعرفوا مبعث الداء، فظنوا: ان الملكية الفردية، هي مبعث الداء، عندما كان اطلاق الملكية مصدر الداء، لا اصل الملكية الفردية، وتبعا لهذا الخطأ أخطأوا في جميع التدابير التي اتخذوها لمكافحة هذا الداء .

وبعد الاتفاق على هذه الاسس تشعبت واختلفت المذاهب وتناقضت وتضاربت الآراء، وتحيزت إلى كل مذهب كتلة من الناس... غير أن هذه المذاهب لم تفتح طريقها إلى التطبيق غير:

١ - الاشتراكية العلمية: الماركسية اللينينية.

٢ - الاشتراكية النازية.

٣ - الاشتراكية الفاشية.

ونحن لا نناقش هذه المذاهب مناقشة موضوعية مجردة، لأن أصحابها لا يعودون اهتماماً للمباحث الموضوعية النظرية كما لا يبحث عن سائر المذاهب الاشتراكية، التي أعلن الزمان والتاريخ عجزها وفشلها، لأنها صوت إن صح فقد بح، والمذاهب الطائشة في العالم كثيرة لا تحجب الانتباه.. ونبتدئ بـ .

اشتراكية روسيا:

ويجدر بي – قبل البدأ – أن أنوه إلى الحقيقة التاريخية، والعوامل التي دفعت بهذه الاشتراكية إلى الوجود:

لم تكن اشتراكية روسيا قبل ثورة اكتوبر، مبدءاً أو فكرة قائمة بذاتها، وإن كان ماركس قد وضع النظرية الشيوعية كاملة، ولكن ماركس لم يضع تصميم هذه الاشتراكية، وإنما ارتجلها لينين بعد ثورة اكتوبر تدريجياً وفي غمرات الصراع مع البشرية... فقد كان يقود الجماهير باسم الشيوعية ولكنه بعدما نزوى على العرش، وحاول تطبيقها، استعصت عليه واصطدم بالواقع الحي، الذي لم يتطوع له... فكان يقاسي الامرين، بين ضغط الجماهير من الرفاق، التي كانت

طالبه بتطبيق الشيوعية، وبين الواقع الحي الذي ابى عليه تطبيق الشيوعية... لذلك كان يأخذ المادة من النظام الشيوعي، ويحاول تطبيقها، حتى إذا استعصت عليه حرفها كما تنسجم مع الواقع، وكلما سئل عن ذلك اعتذر: بأن الشيوعية لا تطبق فجئه، ولا تنزل من السماء، ونحن نطوي فترة الانتقال. وحيث كانت تأبى عليه غلوائه أن يعلن عجزه، وفشل الشيوعية، جعل يمني الناس بقيام الشيوعية بعد حين.

فمجموعـة الأنظـمة التي طـبـقـها لـينـينـ، كـمـرـحـلـةـ بدـائـيـةـ لـشقـ الطـرـيقـ إـلـىـ الشـيـوعـيـةـ هيـ: (الاشـتراـكـيـةـ المـارـكـسـيـةـ الـلـيـنـيـنـيـةـ)ـ التـيـ ظـلـتـ حتـىـ الـيـوـمـ -

سـائـدـةـ فيـ روـسـيـاـ وـمـسـتـعـمـرـاتـهاـ بـغـيـةـ انـ تـؤـديـ إـلـىـ الشـيـوعـيـةـ،ـ كـمـ يـهـتـفـ بـذـلـكـ خـرـوـشـوفـ: (...ـ وـالـاحـزـابـ المـارـكـسـيـةـ الـلـيـنـيـنـيـةـ تـعـتـبـرـ أـنـ الـهـدـفـ النـهـائـيـ هـوـ بـنـاءـ المـجـتمـعـ الشـيـوعـيـ،ـ وـلـكـنـ المـجـتمـعـ لـاـ يـمـكـنـ لـهـ أـنـ يـقـفـزـ مـنـ الرـأـسـمـالـيـةـ إـلـىـ الشـيـوعـيـةـ،ـ دـوـنـ أـنـ يـجـتـازـ المـرـحـلـةـ الاـشـتـرـاكـيـةـ مـنـ تـطـورـهـ،ـ قـالـ لـينـينـ:

(إنـ الـانـسـانـيـةـ لـاـ تـسـتـطـيـعـ الـاـنـتـقـالـ مـبـاـشـرـةـ مـنـ الرـأـسـمـالـيـةـ إـلـىـ الاـشـتـرـاكـيـةـ)ـ (المـؤـلـفـاتـ،ـ المـجـلـدـ ٢٤ـ صـ ٦٢ـ)....ـ رـغـمـ كـلـ الفـرقـ بـيـنـ المـرـحـلـةـ الشـيـوعـيـةـ وـالـمـرـحـلـةـ الاـشـتـرـاكـيـةـ،ـ لـاـ يـوـجـدـ سـدـ يـفـصـلـ بـيـنـ هـاتـيـنـ المـرـحلـتـيـنـ...ـ وـمـاـ مـنـ تـقـوـيـمـ يـعـيـنـ موـعـدـ مـجـيـءـ الشـيـوعـيـةـ.ـ وـلـنـ تـأـقـيـ أـبـداـ لـحـظـةـ نـسـتـطـيـعـ فـيـهاـ أـنـ نـغـلـقـ بـاـبـاـ وـنـعـلـنـ قـائـيـنـ: (إنـ بـنـاءـ الاـشـتـرـاكـيـةـ قـدـ اـنـتـهـيـ)ـ وـنـفـتـحـ بـاـبـاـ آـخـرـ وـنـقـولـ: (لـقـدـ وـصـلـنـاـ إـلـىـ^(١)ـ الشـيـوعـيـةـ).

(1) خـرـوـشـوفـ (الـاـرـقـامـ التـوـجـيهـيـةـ...)ـ صـ ١٤٠ـ ١٤١ـ طـ مـوـسـكـوـ.

فأذن لم تنته بعد فترة الانتقال، ولا زالت اشتراكية لينين هي الطابع العام لروسيا ومستعمراتها كما ينص على ذلك الدستور السوفيتي المادة الأولى:

(إن اتحاد جمهوريات السوفيت الاشتراكية، دولة اشتراكية(١)).

وتتلخص الخطوط العريضة لهذا النظام في المواد التالية:

١ - دكتاتورية الحزب الشيوعي

٢ - مصادرة كافة الحریات

٣ - تحديد الملكية الخاصة

٤ - مساواة الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات

٥ - تأميم موارد الثروة العامة والخاصة

٦ - توزيع البضائع حسب مشروع الدولة

٧ - إجبارية العمل

فأما

دكتاتورية الحزب:

كان ماركس، ولينين، والحزب الشيوعي يعدون العمال والفلاحين بانهم

(١) الدستور. القانون الأساسي، لاتحاد جمهوريات السوفيت الاشتراكية، مع التعديلات والإضافات التي تقرر إدخالها أثناء دورات اجتماع السوفيت الاعلى: الاولى والثانية، والثالثة، والسادسة والسابعة والثامنة ص ٣.

سيتولون قيادة روسيا فور تنازل قيصر عن الحكم وستحظى البروليتاريا بسيادة الامة وزعامتها، إذا عملت على زوال قيصر، وهذه الوعود الخلابة كانت تستخف العمال الذين كانت تلتهب ظهورهم تحت سياط رأس المال والعمال – أبداً – أقوىاء مضطهدون، وصدر القوى المظلوم بركان لا يخبو إذا انفجر.

دور الطبقة الكادحة:

ولهذه الحقيقة استعارهم الحزب الشيوعي، من مزارعهم ومعاملهم، ليكونوا عمالاً عنده، لا في الانتاج الاقتصادي، بل في الانتاج الثوري، ليكونوا آل الجيش الباسل الامين، في الانقضاض على الحكم القيصري وإشعال نار الثورة عليه. أما جزائهم، فلا يعود الوعود المغربية التي استلموها سلفاً عن الحزب... كما افصح عن ذلك انجلز عام ١٨٧٢ : (علمنا كارل ماركس: أن الصراع الطبقي الذي يتحقق لنا الشيوعية، يعتمد أول ما يعتمد على القوة... وهذا وقفنا إلى جانب العمال، لأن العمال هم أقوى طبقة في المجتمع^(١)).

وما إن نجحت الثورة، حتى تقدم الحزب الشيوعي، وأزاح العمال والفلاحين عن الطريق، امراً إياهم أن ينصرفوا مشكورين، فقد نجحت الثورة، ولا مهمة غيرها، وقبض الحزب الشيوعي، والحزب الشيوعي وحده على زمام الحكم..

(١) (النظام الشيوعي) ص ٢٣.

وحيث لم تكن الثورة - حتى ذلك الحين - ناضجة مضمونة النجاح كان الحزب يوجه بطشها وعنفها نحو أذناب قيسـ، ودعاة القيصرـية، وحزب المنشفيـك: - المناـء للحزـب الشـيـوعـي - والرأـسـمالـيـنـ، والبورـجوـازـيـنـ والأـقطـاعـيـنـ وكان بـحـاجـةـ مـاسـةـ إـلـىـ اـسـتـخـادـ العـمـالـ وـالـفـلاـحـيـنـ، فـيـ القـضـاءـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ، وـإـنـجـازـ مـكـاسـبـهـ الدـامـيـةـ... لـذـلـكـ كـلـهـ عـنـدـمـاـ طـالـبـ العـمـالـ وـالـفـلاـحـوـنـ قـيـادـةـ الـبـلـادـ مـنـ الـحـزـبـ الشـيـوعـيـ، اـسـتـهـلـهـمـ، مـعـتـذـرـاـ بـأـنـنـاـ فـيـ اـحـرـ سـاعـاتـ الـصـرـاعـ مـعـ اـذـنـابـ الـحـكـمـ الـبـائـدـ وـالـبـورـجـواـزـيـةـ وـالـرـأـسـمـالـيـةـ، وـهـذـهـ فـتـرةـ حـاسـمـةـ لـاـ بـدـ لـلـنـجـاحـ فـيـهـاـ مـزـيدـاـًـ مـنـ الـوعـيـ السـيـاسـيـ وـالـتـجـارـبـ الـكـافـيـةـ سـيـماـ وـأـنـ الـمـسـعـمـرـيـنـ - منـ وـرـاءـ الـحـدـودـ - لـنـاـ بـالـمـرـصـادـ، وـأـنـهـمـ يـتـهـزـزـونـ فـرـصـ لـلـتـرـبـصـ بـنـاـ، وـالـقـضـاءـ عـلـيـنـاـ قـضـاءـاـ مـبـرـمـاـ، الـانـ دـعـونـاـ نـكـافـحـ هـؤـلـاءـ، وـنـثـقـفـكـمـ تـقـيـفـاـ دـقـيقـاـ، ثـمـ نـسـلـمـ الـحـكـمـ يـكـمـ، وـنـحـنـ الـانـ إـنـاـ نـعـمـلـ نـيـابةـ عـنـكـمـ، بـصـفـتـنـاـ مـنـظـمـةـ مـثـقـفـةـ مـنـكـمـ، وـلـاـ فـضـلـ لـنـاـ عـلـيـكـمـ فـاـنـصـرـ فـوـاـلـىـ أـعـمـالـكـمـ مـجـتـهـدـيـنـ، فـقـدـ عـادـ الـحـكـمـ يـكـمـ، وـاـسـتـرـجـعـتـ كـافـةـ الـحـرـيـاتـ بـاـيـدـيـكـمـ...ـ

ازاحة الطبقة الكادحة:

بهـذـاـ المـنـطـقـ المـعـسـولـ وـالـمـوـاعـيدـ المـنـمـقـةـ، خـدـعـ الـعـمـالـ وـالـفـلاـحـوـنـ، وـرـاحـوـاـ إـلـىـ معـاـمـلـهـمـ وـارـاضـيـهـمـ فـرـحـيـنـ مـسـبـشـرـيـنـ، وـرـاحـ الـحـزـبـ إـلـىـ تـرـكـيزـ مـنظـمـاتـهـ وـقـوـاتـهـ، وـالـتـغـلـلـ فـيـ جـمـيعـ الـأـوـسـاطـ، كـمـ اـطـلـقـ حـمـلاتـ التـطـهـيرـ مـنـ كـلـ جـانـبـ، لـلـقـضـاءـ عـلـىـ اـعـدـاءـ الشـيـوعـيـةـ، باـسـمـ مـكـافـحةـ الرـأـسـمـالـيـةـ وـالـبـورـجـواـزـيـةـ، وـالـقـيـصـرـيـةـ...ـ حتـىـ أـمـنـ الـحـزـبـ مـسـتـقـبـلـهـ وـسـادـ الـأـرـهـابـ وـخـفـقـتـ الـأـصـوـاتـ، وـتـغـنـىـ

الرصاص، وأعلن الحزب دكتاتوريته الكاملة... كان اول رأس هشم تحتها هو رأس الطبقة الكادحة، إذ قام الحزب بتشكيل (الكولخوزات): المزارع التعاونية، وراح يجبر الفلاحين على الانضمام اليها عن طريق تهديدهم بمصادرة ممتلكاتهم، تحت لائحة من قوانين الجور والاستبعاد.

محازر وسجون:

هناك ثارت حفيظة العمال وال فلاحين ، واندفعوا شائرين لحقوقهم وكراماتهم، وثورتهم ... فقد علموا ان كل الجهد والاعتاب الخيالية التي بذلوها في سبيل الشيوعية، عادت لعنة عليهم، فأخذوا يقاومونها مقاومة صادقة، واعتراضهم الحزب بالحديد والنار... حتى قدر: أن من قتل من الطبقة الكادحة، في سبيل هذا المشروع بنحو ١٩٠٠٠ نسمة وحكم على نحو ٤٠٠٠ رورو ٢٠٠٠ نسمة بعقوبات فادحة مختلفة، كما نفي عن البلاد نحو ٤٠٠٠، ٥٠٠٠ او ٦٠٠٠ نسمة، حتى ان اخلص الرفاق، وأكبر دعاة الشيوعية، لم يكدر يصبر على ما اقترفه الشيوعيون داخل بلادهم، في سبيل تنفيذ مشروع الزراعة الاجتماعية وحدها، من قتل ملاكي الاراضي الادني، والمتوسطين بمتنهى القسوة والعنف.^(١)

والتجيئ العمال وال فلاحون... الى احراق الكثير من محاصيلهم، وتبديد مواشيهم واموالهم، كي لا تقع فريسة في ايدي الحزب... ونشأت عنها المجاعة

(١) أبوالاعلى المودودي (اسس الاقتصاد...) ص ٧٩

الرهيبة عام ١٩٢٩ ... وحور الحزب دستوره ثلث مرات عام ١٩٢٤ و ١٩٣٦ و ١٩٤٤ . غير ان يد التحريف لم تزل الموارد المركزية التي اثارت غضبة الشعب . وراح لينين يزار في وجوههم : (ان من يضعف ولو قليلا في نظام الطاعة الحديدي ، في حزب البروليتاريا يساعد البورجوازية في الواقع ضد البروليتاريا^(١) .

ومنع اللجوء الى الاضراب ، كما اعطى الصالحيات الكاملة للنقابات في معالجة الحوادث بأسرع ما يمكن ، واذا استعصت عليها ، او تفاقمت المشاكل ، فعليها ان تراجع السلطات العليا ، قائلا : (... وينبغي عليها (النقابات) : ان لا تخفي عن العمال والجماهير الكادحة ، ان اللجوء الى النضال الاضرابي ، في دولة تتولى البروليتاريا السلطة السياسية فيها ، امر تفسره وتبرره فقط ، تسويمات بيوقراطية للدولة البروليتارية . فواجب النقابات في حالة حدوث احتكاكات ومنازعات .. ان تساهم في حل هذه النزاعات بأسرع ما يمكن ... واما ان ترجع الى المراجع العليا في الدولة^(٢) ..).

وجعل يزعق في وجه الحزب ، كي يأخذ موقفا حازما لا ستئصال دابر التمرد على النظام ، دون ان تحدد جرائمها البربرية ، الرقة والعاطفة الانسانية ، مناديا عام ١٩٢٠ :

(١) ستالين . (اسس الليينينية) ص ٩٩ نقلاب عن لينين في كتابه (مرض الطفولة) المجلدات الكاملة الجزء ٢٥ ص ١٩ .

(٢) لينين (حول دور النقابات ومهامها) ص ١٢ - ١٣ .

(يجب ان تكون القوانين التي نطبقها في بلادنا صارمة، ويجب ان تميز بحمل المواطنين على اطاعتها، ويجب ان يبلغ احترام هذه القوانين أقصى الحدود، فنحن لا نتساهل مع اي فرد يتجاوز سلطة الدولة^(١)).

وعقبه ستالين عام ١٩٥١ :

(ان الشيوعي الذي يتسامح مع الخارجين على القانون الشيوعي، لا يقل عداوة لنا عن اعداء الشيوعية، ولهذا فاننا لا نرحم الرفاق الشيوعيين، الذين لا يطبقون القانون الشيوعي بقسوة وصرامة^(٢)).

هكذا سحقت الطبقة الكادحة، التي دارت على اكتافها الثورة وظل الحزب الشيوعي دكتاتورا جائرا، معلن انه سوف لا يتنازل عن الحكم، وان فترة الانتقال لا تزال مستمرة، وانها لا تنقضي. في اليوم القريب وأطلق لينين كلماته الصارمة:

(ان الحزب هو الزعيم السياسي للطبقة العاملة... ان الحزب هو اركان الحرب لکفاح البروليتاريا^(٣)).

وجعل ستالين يربط الطبقة الكادحة بعجلات الحزب قائلا: (ان نقابات العمال هي اجهزة تابعة لأجهزة الحزب^(٤)، ان نقابات العمال كلها يجب ان تكون

(١) (النظام الشيوعي) ص ٢٨.

(٢) (النظام الشيوعي) ص ٣٠.

(٣) ستالين (اسس الليينينية) ص ٩٠ نacula عن لينين في كتابه (مرض الطفولة في الشيوعية) ص ١٧٣.

(٤) (النظام الشيوعي) ص ٤٨.

في خدمة الحزب^(١)، (ان الحزب يضع لانتاج كل عامل منسوباً معيناً يجب عليه ان يبلغه^(٢)).

مصادرة الحريات:

وبعدما قرر النظام الاشتراكي كالنظام الشيوعي دكتاتورية الحزب كان من الطبيعي تقرير مصادرة الحريات! ولقد كانت الدكتاتورية، التي اعلنت اول يوم – باسم البروليتاريا – اقوى حجة على ان هذا النظام لا ينسجم مع طبائع الافراد، كما لا يمكن تفويذه إلا بالقهر والارغام. وكيف يبال الشعب حرياته، والنظام الاشتراكي، هو وحده مصدر القوانين التشريعية، والجزائية، وهو يحدد كافة الاعمال والافراد، بحدود ضيقة جائرة، ولا يعترف للانسان بأية كرامة لو لم يقتتن بصدق أنظمته وقوانينه، ومنطق دعاته: انا يجب ان ننشر فكرتنا حتى ولو كان في ذلك فناء مئات الملايين من الناس. ولقد صرخ لينين عام ١٩٢٠: (نحن نعرف: ان نظامنا الجديد لا يحظى بتأييد كثير من المتذمرين. ولكننا لن نحفل بهؤلاء المتذمرين... بل اتنا لن نسمح لهم بالتزمر.. وكل متذمر ضدنا هو في الواقع عدو لنا. ونحن لا نرحم أعدائنا، وهذه لن نرحم المتذمرين^(٣)).

فاذ لم يكن هناك مجال للتذمر على النظام، فهل يبقى معنى لسائر الحريات الواسعة النطاق، التي يشرعها كل نظام؟. ولكن ستالين لا يكتفي بعدم التذمر

(١) (النظام الشيوعي) ص ٤٨.

(٢) (النظام الشيوعي) ص ٤٩.

(٣) (النظام الشيوعي) ص ٢٣.

على النظام، وإنما يريد أن يكون الجميع شيوعيين، أما من لم يؤمن بالشيوعية، فلا تشمله الرحمة، فقد هتف عام ١٩٣٥ : (نحن لا نرحم أحداً من لا يؤمنون بالشيوعية^(١)).

وحيث كان بعض الرفاق يتقد هذه الدكتاتورية المقيمة – فقد خدعوا باسم الحرية، وأصبحوا من الرفاق لينالوا أوسع الحريات – فردهم لينين عام ١٩٢١ بهذه الكلمات النابية: (يقع كثير من الناس في خطأ فاحش، هو الاعتقاد بأن القوانين يجب أن تحمي الحريات، ونحن نرد على هؤلاء البلياء، قائلين: إن القوانين لا توضع لحماية الحريات، وإنما توضع لحماية الدولة^(٢)).

فأذن جميع الحريات محظورة في البلدان الاشتراكية، لأن القوانين لم توجد لتحمي حريات الشعب، وإنما وجدت لحماية مصالح الدولة، المكونة من الفئة الخاصة.

تحديد الملكية:

ليس لأحد – في النظام الاشتراكي – حق امتلاك أي شيء إلا الأجرور التي يتقاضاها من الدولة، إزاء جهوده أو خدماته، وله الحق في التقتير على نفسه، ليذر الزائد عن استهلاكاته، فإذا تجمعت لديه ثروة كان له أن يشتري بها الأدوات المنزلية البسيطة، أو أن يبني داراً، ويقتني عدة طيور ومواشي...

(١) نفس المصدر ص ٢٤.

(٢) نفس المصدر ص ٢٨.

(...) توجد في الاتحاد السوفيتي ملكية شخصية، للمداخلن المتأتية من عمل المواطن واستثماراته، وللبيت الذي يسكنه، واقتاصاده المنزلي المساعد، ولسلع الاستعمال المنزلي، والاستعمال الدارج، وسلع الاستهلاك^(١).

ثم يؤكّد ذلك ويفصّله: (...) فلكل مواطن سوفيّيتي الحق في أن يتصرّف كما يشاء بادخاراته التي هي ثمرة عمله. ويستطيع أن يستعملها لبناء مسكن أو فيلا لنفسه. أو أن يشتري بها سيارة أو أي شيء آخر كما يريد كل شيء يتوقف على اجرته، وإدخاراته المتأتية من عمله^(٢).

فللأنسان - في روسيا - الحق في ادخار قسم من اجروره، كما يوفر له الحق في ان يشتري بها سيارة أو يبني داراً... ولكن ... هل في وسعه ان يدخل شيئاً من اجروره؟ او انها تقصر حتى عن حاجاته الأساسية؟؟ اننا سنعرض في الصفحات القادمة ان عوائل العمال تقطن في الشقّات المستأجرة..

اما اذا استنفذ الفرد اجروره في حاجاته اليومية الاساسية فلابد له ان يستأجر - من الدولة - محل السكنى.

كما يوفر النظام الاشتراكي الحق للفرد في ان يعمل لنفسه ساعات إضافية خارج الدوام، او ان يقوم بانتاج ما يجد فيه راغبا خارج ساعات العمل فيكون له ربحه، شريطة ان لا يستثمر فيه مجهود الاخرين.. ثم يكون لورثته ممتلكاته بعد موته ..

(١) (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) ص ٢٤.

(٢) نفس المصدر ص ٤٢ - ٤٣.

ذلك مجموع حقوق الفرد، في الملكية الخاصة، وليس له ان يملك اي شيء وراء هذه.. نجد التصريح بهذه الحقوق مجموعة في دستور الاتحاد السوفيتي: (الى جانب النظام الاقتصادي الاشتراكي، الذي هو الشكل السائد في اقتصاد الاتحاد السوفيتي. يسمح القانون بالمشاريع الاقتصادية الصغيرة، الخاصة بالفلاحين الفرديين، وبالحرفيين، على ان تقوم على عملهم الشخصي، وبشرط ان لا يستثمر فيها مجهد الاخرين).

(ان حق الملكية الشخصية للمواطنين في دخلهم وتوفيرهم الناجحين عن عملهم، وفي مساكنهم واقتصاديات بيتهما الاضافية، وفي الحاجيات والادوات المنزلية، وفي الاشياء ذات الاستعمال الشخصي، والراحة، وكذلك حقهم في ارث الملكية الشخصية، حق مصون بموجب القانون^(١)).

تلك هي الاشياء التي يستطيع الفرد ان يمتلكها، وهي تختصر في اجروره وما يشتريه بأجروره او يستثمره بنفسه...

وهناك اشياء تمنع للعامل كملكية، ولكن ليست بالملكية الحقيقة، التي يستطيع ان يفعل بها ما يشاء، وانما تخول له ليؤدي بها اعمالا خاصة مرسومة من قبل الدولة، ينص على ذلك دستور الاتحاد السوفيتي: (لكل عائلة من عوائل المزرعة التعاونية، بالإضافة الى دخلها الاساسي الذي يأتيها من اقتصاد المزرعة التعاونية المشتركة، قطعة من الارض خاصة بها، وملحقة ب محل السكن، ولها في

(١) (دستور الاتحاد السوفيتي) ص ٥ المادة ٩ ، ١٠ .

هذه الأرض اقتصاد اضافي، ومتزلاً للسكنى، وماشية متنجة، وطيور وأدوات زراعية، كملكية خاصة، وذلك وفقاً لنظام جمعية الاتجاج التعاوني الزراعي^(١).

وهذه الأشياء ليست ملكاً لـ العائلة، وإنما هي كملك لها، لأنها تبقى تحت يدها باستمرار، لتعمل فيها باستمرار. فتتقاضى اقتصادياً اضافياً... وما عدا ذلك.

إن هناك نوعين من الملكية كما ينص على ذلك الدستور السوفياتي (للملكية الاشتراكية في الاتحاد السوفيaticي شكلان. فهي إما أن تكون على شكل ملكية للدولة (ثروة الشعب بأسره) أو أن تكون على شكل ملكية تعاونية اشتراكية (ملكية حقول تعاونية - كولخوزات - وملكية جماعات تعاونية)^(٢).

أ- ملكية الدولة:

اي ملكية الدولة: القادة الزعماء في الحزب الشيوعي.. وهذه ملكية واسعة النطاق، تشمل جميع الموارد العامة والخاصة، يصرح بها الدستور السوفياتي: (ان الأرض، وما في بطنه، والمياه، والغابات، والمصانع، والمعامل، والمناجم، والمعادن، والسكك الحديدية، والمواصلات المائية والجوية، والمصارف، ووسائل المخابرات، والمشاريع الزراعية الكبيرة المنشائة من قبل الدولة (حقول حكومية، ومحطات آلات، والتراكتورات الخ..) وكذلك مشاريع البلديات، والمجموعات الرئيسية من المساكن في المدن، والمراکز الصناعية، هي ملك الدولة^(٣)).

(١) نفس المصدر ص ٤ المادة ٧.

(٢) نفس المصدر ص ٣ المادة ٥.

(٣) (الدستور السوفيaticي) ص ٤ المادة ٦.

فهذه الاشياء كلها ملك للدولة، بصورة رسمية صريحة.

ب - الملكيات الاشتراكية:

تألف من ملكية الجمعيات التعاونية، وملكية الحقول التعاونية: (الكولخوزات) أما ملكية الجمعيات التعاونية فهي الممتلكات العامة التي شيدت على نفقة الكولخوزات، وأما الحقول التعاونية، فهي الاراضي التي انتزعت من الفلاحين لتكون ملكا للدولة ولما أن تفاقمت غضبات الفلاحين ضد الدولة وقدموا الارقام الاهائلة الخيالية من الضحايا واستبدت بهم الثورة، وتحالفوا على الثبات في كفاحهم المرير، اضطر لينين إلى إرجاع الاراضي إلى أصحابها بشرط أن يتنظموا فنظامهم في شبكة قوية من شبكات الحزب الشيوعي كي لا تختلف شؤونهم عن الفلاحين، الذين يعملون للحكومة وقرر أن ليس للكولخوزيين الحق في امتلاك الالات الزراعية، وليس لهم إكراه إنسان لمساعدتهم في أداء مهامهم، فالاقتصاد الاشتراكي أسس على أنقاض هذين العنصرين، كما يقر ذلك الدستور السوفيatic: (يتألف الاسس الاقتصادي الذي يقوم عليه الاتحاد السوفيتي، من النظام الاقتصادي الاشتراكي، ومن التملك لأدوات الانتاج ووسائله، وهو الذي ثبتت دعائمه بعد تصفيه النظام الاقتصادي الرأسمالي، وبعد إلغاء الملكية الخاصة لأدوات الانتاج ووسائله، وبعد إلغاء استثمار الإنسان للإنسان^(١)).

(١) (الدستور السوفيatic) ص ٣ المادة ٤.

كما ان الكوхوزات ليست حرة في تنظيم أعمالها وفق نظام تقريرها لنفسها، وإنما تديرها جمعية الكوхوزين العامة^(١) وتوافق الجمعية العامة على تقرير الهيئة الادارية السنوي، وعلى برنامج الانتاج السنوي، وعلى معدلات كل عملية من العمليات، وعلى اجرتها محسوبة بأيام العمل، وعلى قدر ما يوجب توظيفه من الاموال الجماعية، وعلى مقدار ما يجب تقاضيه من منتجات زراعية ونقد لقاء يوم العمل.^(٢)

ثم لا يكون لكل عامل مقدار ما أنتجه، وإنما تعتبر المنتجات وجميع الآلات والأدوات والمواشي... ملكا اشتراكيا كما ينص على ذلك الدستور السوفيatic: (المشاريع العامة في الحقول والمنظمات التعاونية، بما فيها من آلات وأدوات، ومواشي، ومتوجات هذه الحقول والنظمات، وكذلك أبنيتها العامة، كل ذلك يكون الملكية العامة الاشتراكية، للحقول والنظمات التعاونية^(٣)).

(١) لابد أن نعرف أن أعضاء جمعية الكوхوزين العامة، لا يتخبون من قبل الكوхوزين أنفسهم، وإنما يتتخبهم الحزب بالتزكية، ويعيرهم اهتماماً بالغاً، كي لا يفسحوا المجال أمام الفلاحين، فيطغى على الشيوعية سيل الفلاحين العرم... وهكذا نرى (خرрошوف) يؤكّد على ضرورة حسن اختيار رؤساء الكوхوزات، هاتفاً في مؤتمر العشرين: (..فقد أصبح كل شيء يتوقف على كفاءة هيئات الحزب الادارية منها والزراعية... وبالدرجة الأولى على حسن اختيار رؤساء الكوхوزات...) خروشو夫 (بيان اللجنة المركزية الشيوعية في المؤتمر العشرين) ص ١٠٩ - ١٠٨.

(٢) انظر (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب).

(٣) (الدستور السوفيatic) ص ٤ المادة ٧.

وعلى هذا الضوء فكل شيء ملك اشتراكي يجب تفويضه الى جمعية الكوخلوزين العامة، لتصرفيها في مصارفها المرسومة... فتدفع الجمعية الى الدولة من مجموع المنتجات، الضرائب المتصاعدة الفادحة، وأقساط التأمين والديون المترتبة عليه، وتكليف حاجات الانتاج الجارية ونفقات الادارة كما ترصد وفرا منها باسم الحاجات الثقافية، وتقدر سطرا هائلا منها لشراء العتاد، والماشية. وتشيد الابنية الضخمة، للمدارس، والاندية ودور الحضانة، والمستشفيات ...

وبعد ذلك كله تعد الجمعية أيام عمل العامل، وتدفع اليه الاجور بنسبة العمل المبذول ونوعه: حراثة هكتار من الارض، تعشيب دونم من دوار الشمس، حلب الف لتر من الحليب الخ

فاذن لا يختلف الكوخلوز عن الفلاح الآخر الذي يعمل للدولة، نعم إذا خرجت معدات الدولة من مجموع الانتاج، وبقيت المنتجات أقل من أجور الكوخلوزين، توزع عليهم بنسبة أجورهم ويخسر-ون الاجر العادل ... أما إذا فاضت المنتجات فانها تدخل في صندوق الجمعية ...

ولا تدفع الاجور الى الكوخلوزين نقداً وإنما تحول اليهم كما تشاء الجمعية، بضائع أو نقوداً، او قسطاً من الانتاج وقساً من النقود...

وحيث لا تؤمن حياتهم البضاعة المعينة التي يتتجرونها، يلتتجون إلى بيعها من منظمات الدولة، التي لا تشتري الا بابخس الاثمان، ولا تبيع إلا باقصد الاسعار.^(١)

(١) انظر (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) ص ٧٤-٧٨.

وقدر بنفسك الحياة التي يقدرها الحزب الشيوعي للكوخلوزيين كم ذاتكون مضنية متقطفة؟ ولقد أدى ذلك إلى انفجارات وانتفاضات هددت روسيا بالدمار والهلاك.. كما رأوا أن من الممكن استغلال الكوخلوزيين أكثر من ذلك، فوضعوا قانون يمنح الكوخلوزيين الحق في أن يتناصفوا أجراً إضافياً، مقابل تجاوز البرنامج: (... ولذا وضع نظام ينص على منح أعضاء الكوخلوز أجراً إضافياً، عيناً أو نقداً، مقابل تجاوز البرنامج^(١)).

فاذن لم يختلف الكوخلوز عن فلاح آخر يعمل لحساب الحكومة، لأنه الثاني الذي لا يملك الانتاج، ولا يملك حرية في العمل، ووضع المنهاج، والمخطط. ولا يملك الآلات، ولا يملك الأرض، لأنها تعتبر ملكاً للدولة أبيح له التصرف فيها، كما ينص على ذلك الدستور السوفيتي: (إن الأرض التي تشغله المزارع التعاونية معطاة، كملك لها، تستفيد منها مجاناً إلى أجل غير مسمى^(٢)).

مساواة الرجال والنساء:

من الضرورات الأساسية في النظام الاشتراكي، مساواة الرجل والمرأة في العمل وتلك تعتبر من الأهداف الرئيسية في المجتمع الاشتراكي كما يقول إبراهيم الحداد: (أما الاصلاح الذي تسعى الاشتراكية إلى تحقيقه في المجتمع الحاضر، فيمكن تلخيصه فيما يلي: ١ - إعلان المساواة التامة بين المرأة والرجل^{(٣) ...}).

(١) أنيسيمون (الزراعة السوفيتية) ط موسكو ص ٢٢.

(٢) (الدستور السوفيتي) ص ٤ المادة ٨.

(٣) (الاشراكية العملية نشوئها وتطورها) ص ٧.

والآن تعمل المرأة في البلاد الاشتراكية الى جانب الرجل، تدلنا على ذلك الجمل التالية:

(فبموجب القوانين السوفياتية، يدفع معاش التقاعد على مدى الحياة، إلى العمال والمستخدمين الذين بلغوا سن الستين... أما النساء فينلن هذا المعاش عندما يبلغن سن الخامسة والخمسين...^(١)).

(وهناك قوانين خاصة، لتنظيم عمل النساء الحوامل..^(٢)).

(...وفي ميدان التعليم العام يعمل اكثر من مليون معلمة، ويزيد عدد النساء اللواتي يستغلن في المستشفيات والمستوصفات والمنشآت الرياضية عن المليونين. كما يشغلن في المنشآت العلمية والثقافية والتربية اكثر من ٢٧٠٠٠٠٠ إمرأة، وثمة ١٣٠٠٠٠ إمرأة يدرسن في منشآت التعليم العالي، والتعليم الثانوي الاختصاصي. والنساء في الاتحاد السوفيaticي يدرن كثيراً من معاهد البحوث العلمية، والمدارس العليا، والمصانع الكبيرة، والسوفخورات^(٣) والكولخوزات، والمدارس، والمستشفيات^(٤).

(ينص التشريع السوفيaticي على شروط خاصة لعمل المراهقين والنساء،... وعندما تحمل المرأة تنقل الى عمل أسهل..^(٥)).

(١) (الاتحاد السوفيaticي في مائة سؤال وجواب) ص ٣٧.

(٢) نفس المصدر ص ٥١.

(٣) مؤسسات زراعية حكومية.

(٤) نفس المصدر ص ٥٩ - ٦٠.

(٥) نفس المصدر ص ٨٧.

من هذه النصوص نعرف أن الرجال والنساء والراهقون يعملون سواء
سواء، في النظام الاشتراكي القائم..

مصادرة الاملاك:

على أثر قيام ثورة اكتوبر صادر لينين جميع الملكيات الكبرى، والاراضي،
والنقد... ثم أخنى على أصحاب الملكيات الصغيرة وصادرها... غير أن ذلك
الثاني حيث اثار غضبة العمال وال فلاحين، التجيء الى منح حق امتلاك الافراد
لاجورهم، وما يشترونها بأجورهم... كما أن الحكومة اضطرت - بعدما رأت
قلة الانتاج على أثر إجبارية العمل - إلى تجاري الحاج الفلاحين، فضمنت المادة
السابعة والتاسعة^(١) من دستورها إعطاء الحق لهم في استثمار قطع صغيرة من
الاراضي، وتربية بعض المواشي والطيور، شريطة أن لا يستثمر فيها مجهد
آخرين، وأن يدفعوا الضرائب التصاعدية حتى عن المواشي والطيور، والتأمينات
الاجتماعية، و...

فأذن يقرر النظام الاشتراكي مصادرة جميع الملكيات الصغيرة والكبيرة أما
هذه الآخريات التي فصلناها، فليست ملكية، وإنما هي أشبه بالخداع وتخدير
المشاعر، فالفائض الناتج من هذه الملكيات، لصاحبها القانوني، ليس باكثر من
الاجر الذي يتقادمه، لو عمل أجيراً، اما الوفر الفائض فان الحكومة تستأثر

به ...

(١) فصلنا ذلك تحت عنوان (تحديد الملكية).

توزيع البضائع:

كان ماركس يحاول أن يلغى النقود، ويعمل كل فرد حسب طاقاته ثم يستهلك من البضائع حسب حاجاته، ولكن لينين حيث عجز عن تطبيق ذلك، جعل يوزع البضائع حسب مشروع الدولة، وذلك بأن يدفع نوعاً من البضائع، بدل قسم من الأجر، ويدفع القسم الآخر من الأجر نقداً إلى العمال، ويستعرض بقية البضائع في الأسواق الحكومية، ليشتريها العمال بذلك القسم من الأجر، الذي استلموه نقداً...

أما كمية الأجر، ومقدار ما تستلمه العمال، نقداً أو عيناً، فإن ذلك كله يقدر حسب مشروع الدولة^(١) الذي ينظم تبعاً لجدوالي الأجر التي تشتراك في وضعها النقابات، وتوافق عليها الحكومة بالتركيه، وهذه الجداول عبارة عن توزيع التعرفات، ومقادير الأجر، تبعاً لمستوى العامل المهني، وصعوبة العمل، وتعقد التكنيك، وخصائص مراحل الانتاج^(٢) ولقد قرر ستالين أن لا تمنح الأجر للعامل بمقتضى نوع العمل الذي يؤديه وإنما تقدر الأجر بمعدل كمية الانتاج فمن يعمل ٨ ساعات يمنح ٣ روبلات - مثلاً - سواء أنتج ذلك العمل اكتنالا من القمح، أو أنتاج صاروخاً، فالفلاح لا يختلف عن رئيس المهندسين كما هتف بذلك عام ١٩٣٠ :

(١) انظر المادة ١١ ص ٥ الدستور السوفيتي.

(٢) انظر (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) ص ٩١.

(نحن لا نمنح^(١) العمال أجوراً بمقتضى نوع العمل الذي يؤدونه، وإنما نمنحهم هذه الأجر بمقتضى- كمية العمل، التي ينتجونها^(٢)...) وإن كانت الكتب الصادرة فيها بعد تناقض هذا التصريح كما اثبتنا شطرأً منها في الصفحات السابقة..

فأذن يوزع الانتاج بدل الاعمال، ولكنه ليس كل الأجر وليس لاشباع الحاجات الأساسية^(٣) وإنما هو بدل قسم من الاعمال، حسب موازين، وبرامج النفايات.

العمل الاجباري:

ولم تحرف نظرية ماركس في إجبارية العمل، رغم أن الاشتراكية حورت جميع الركائز الأساسية لمبدأ ماركس لذلك هتف لينين عام ١٩٢٠ مبشرأً بخلق معنى جديد لحرية العمل: (إن حرية العمل لا تعني حرية العامل في ترك عمله... فنحن لا نستخدم العمال باعتبارهم احراراً يعملون أولاً يعملون، وإنما نستخدمهم باعتبارهم مكلفين بالعمل... وهذا فانهم لا يملكون حق ترك العمل المحدد لهم...^(٤)).

(١) يلاحظ الانسان ما في الكلمة (نمنح) من الاذلال لكرامة العامل، فكأنه لا يستحق الأجر، وإنما تمنح له كتبتع.

(٢) (النظام الشيوعي) ص ٤٨.

(٣) انظر نفس المصدر ص ١٣٧.

(٤) (النظام الشيوعي) ص ٤٧.

فالعمال ليسوا احراراً في أن يعملا أو لا يعملوا. وإنما هم مرغمون على القيام بآي عمل يعهد إليهم وحرية العمل إنما تعني حرية الحزب الشيوعي في أن يحملوا العمال ما يشاؤن من أعمال فادحة، بأجور ضئيلة. وحيث رأى ستالين أن ارغام العمال على العمل، جعلهم يتواون عن استفراغ جهودهم بنشاط واندفاع، في سبيل توفير الانتاج وازدهاره لذلك اخذ يزعق في وجوههم بكل صفافة، ان يبذلوا أقصى امكاناتهم وموهبيهم في سبيل الانتاج والا فان الرحمة سوف تدرأ عنهم، وحتى لو استنزفوا طاقاتهم ومقدارهم في سبيل النهوض بمستوى الانتاج، فان ذلك لا يبرر ان يتناقضوا على ذلك اجورا إضافية، فالحزب يقدر لكل عامل منسوبا معينا لوم يبلغه يعتبر مجرما يعاقب على إجرامه... اما لو ضرب رقما قياسيا بين العمال، فان ذلك يؤهله للاجر الإضافي، ما لم يتجاوز مستوى عامل اخر، اما اذا كان ذلك فان المكافأة لا تمنح له لان الرقم القياسي اصبح لغيره او اذا اخذ الحزب موقفا جديداً، ليفصل للعمال منسوبات اوسع... وذلك في تصريحه عام ١٩٣٤ : (... نحن لا نرحم اولئك الذين لا يعملون على رفع مستوى الانتاج بكل ما وسعهم من جهد ولن يكون رفع مستوى الانتاج مسوغا لزيادة الاجور، فالحزب يضع لانتاج كل عامل منسوبا معينا يجب عليه ان يبلغه، فإذا لم يبلغه اعتبرناه اداة تخريب... اما العامل الذي يتجاوز هذا المنسوب فإنه يستحق المكافأة... ولكن هذه المكافأة لا تمنح له اذا ظهر عامل جديد يتجاوز مستوى، او اذا قرر الحزب منسوبا جديدا للانتاج^(١)).

وعلى هذا الضوء سار الدستور السوفيتي مؤكداً اجبارية العمل، (العمل في الاتحاد السوفيتي واجب على كل مواطن يستطيع ان يعمل، ومدعاة شرف له، وذلك وفقاً لمبدأ: (من لا يعمل لا يأكل)).

(ولقد تحقق في الاتحاد السوفيتي مبدأ الاشتراكية القائل: من كل فرد حسب مقدرته، ولكل حسب عمله^(١)).

فاذن العمل في البلاد الاشتراكية اجباري، لا يرفضه احد الا ويعتبر اداة تخريب يفت في عضد النظام، وينال من كرامة البلاد، فيجب إدانته وتعريضه للحساب.

تلك هي الجذور الام، والقواعد الرئيسية في النظام الاشتراكي، كما فصلها زعماء الاشتراكية...

(١) (الدستور السوفيتي) ص ٥ المادة ١٢

مناقضات الاشتراكية

تأخر الاقتصاد:

لم تكن اقتصاديات روسيا القيصرية فائزة على الارقام الاقتصادية في البلاد الاخرى، ولكنها لم تكن متخلفة عن سائر البلاد الرأسمالية، وكانت تسير في قافلة الشعوب المضطهدة تحت كابوس رأس المال ولم تكن يوما بحاجة الى الخبر ب بصورة مطلقة... وما فاجئتها ثورة اكتوبر إلا وعلى صوت لينين، وهو ينتكس على عقبيه، قائلا: (موسكو بحاجة مطلقة ومامسة للخبر). لذلك طبقوا (السياسة الاقتصادية الجديدة) وسلسلة من التنازلات، والمساعدات الى التجار^(١) وفي نفس الوقت اعتلى صوت لينين ايضا وتعالت معه عقيرة عبيده وعملائه ترثي ألوان التأخر الاقتصادي والثقافي في روسيا القيصرية، وتصب لعائنهما المصاعفة على الرأسمالية التي أخترت البلاد، وربطتها الى عجلات الوراء... ولكن يجدر بنا أن نتسائل عنها: إذا كانت روسيا متأخرة كما تصفون؟ فمن أين جاء أولئك البورجوaziون، والرأسماليون، والاقطاعيون.. الذين كان نضالكم المقدس (!) لمكافحة هؤلاء؟؟ ولقد اضطر لينين فيما بعد إلى التصريح بأن الماشية في عهد قيصر كانت أكثر منها في عهد الشيوعية.. ولكنه كان يلقي هذا الذنب على عاتق الحرب الاهلية، وثورة الفلاحين الذين اعدموا محاصيلهم ومواشيهم خشية ان تقع في ايدي الشيوعيين!! ولكننا نتسائل - أيضاً - هل كانت الحرب الاهلية الطاحنة، وثورة الفلاحين، إلا من لعنات الشيوعية؟ وهل كانتا منبعثتين إلا من صميم الشعب الذي تهتفون باسمه؟ ومن أثار الحرب الاهلية، وثورة الفلاحين، غير لينين وأذنابه وزملائه..؟ ومن ذا قلب الفلاحين والشعب ضدكم، وقد

(١) لينين في برقيته إلى مكتب تركستان (حركة التحرر الوطني في الشرق) ص ٢٠٠.

كانوا الجنود المتطوعين في ثورتكم؟ إذن فهذه الخسائر كلها كانت من صنع أيديكم، ومن تعسف نظامكم الذي طبقتموه بالجحور والتعذيب.

فشل الاشتراكية:

إن أبغض الوان الفشل - بما للكلمة من معنى - ظهر على جبين النظام الاشتراكي السائد في روسيا، فان اكبر الفشل لنظام أن يعجز من بلوغ هدفه... ولقد كان الهدف الوحيد الذي من أجله تكونت الاشتراكية، هو إصلاح ما أفسده النظام الرأسمالي، فقد كان الاشتراكيون يتقدون: أن خيرات الأرض كافلة لتنظيم حياة مرفهة سعيدة، لجميع البشر. ولكن النظام الرأسالي أفسد التنظيم الوعي العالمي للاقتصاد، وسبب توزيع المجتمع إلى طبقة متربطة، وطبقة كادحة محرومة، فلا بد من اكتساح هذا النظام ليسود محله النظام الاشتراكي، فيوجه الانتاج والاستهلاك توجيهها عادلاً صحيحاً، لينعم الجميع بالرخاء والرفاه..

وهذه النظرية تدل على ان النظام الاشتراكي - على أيجال - خير من النظام الرأسالي... وبعد ذلك فمن الفشل المخزي الذريع أن يعلن قادة الاشتراكية: أن هذا النظام أفسد من النظام الرأسالي، ونحن لا نعتمد في هذه النقطة على غير كلمات خروشوف، لأنه أكبر المسؤولين اليوم، فيعبر عن آخر الانتصارات الاشتراكية، ولن يحاول تحطيم نفسه وحكومته ولتكن اعترافاته مقتضبة من خطبته الطويلة، التي قرر فيها الارقام التوجيهية لموضوع السنوات السبع، في المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي، فليدل إلينا باعترافاته:

(والآن يشغل الاتحاد السوفيتي المكان الاول في أوربا، والثاني في العالم، من حيث الانتاج الصناعي^(١)).

فأمريكا الرأسمالية الفاسدة، متقدمة على البلاد الاشتراكية، وهذا يدل على أن الرأسمالية المقيمة، أفضل من الاشتراكية.

وبعد ذلك يرى خروشوف أن عليه أن لا يقف مكتوف الايدي تجاه انتصارات البلاد الرأسمالية، بل الواجب يحتم عليه أن يرهق الشعب ليتحقق بأمريكا الرأسمالية، ويسبقها في الانتاج... ثم يرجع إليه وعيه، ويعرف أن هذه الكلمات التي صدرت عن لسانه، كانت على اثر نوبة عصبية عصفت به، والعالم سيحاسبه عنها، فيتدارك الامر، معلنًا أن ذلك يتطلب مددًا من الوقت تخرج عن نطاق مشروع السنوات السبع: (... ومن الناحية العملية، يجب تنفيذ مهمة تاريخية، وهي اللحاق بأكثر البلدان الرأسمالية تطوراً، وسبقها في الانتاج بالنسبة للنسمة الواحدة من السكان. وسيتطلب تحقيق هذه المهام مددًا تخرج عن نطاق مشروع السنوات السبع^(٢)).

فلا بد إذن أن تعمل البلاد الاشتراكية بسرعة فائقة في السنوات السبع، وبعد السنوات السبع، عليها تلحق بالمستوى الحالي في الولايات المتحدة، ولنستمع إلى خروشوف نفسه ليحدثنا عن ذلك: (.. ولذلك فإذا ما حسبنا بالنسبة لكل نسمة

(١) خروشوف (الارقام التوجيهية لتطوير الاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفيتي لأعوام ١٩٥٩-١٩٦٥) ط موسكو ص ٧.

(٢) نفس المصدر ص ١٨.

من السكان، فان الامر يتطلب في اكبر الظن بعد مشروع تنفيذ السنوات السبع،
خمس سنوات أخرى، للحاق بالولايات المتحدة الأمريكية^(١).

ولكن هذا الامر سوف لا يكون إذا تباطئت البلاد الاشتراكية في سيرها، إن
اللحاق بالولايات المتحدة، أمر يتطلب فيضاً وافراً من الجهد الحثيثة، وليرحدثنا
خرрошوف بنفسه عن مدى ما يقتضيه الامر من تحفز ونشاط: (فنحن نركض
بسرعة تعادل أربعة أضعاف سرعة الولايات المتحدة ونضيف كل سنة كميات
اكبر من المنتجات. وإذا فاللحاق بالولايات المتحدة قد غدا اليوم أسهل
 جداً^(٢)). وبعد أن تركض البلاد الاشتراكية بسرعة تعادل أربعة أضعاف سرعة
الولايات المتحدة، يكون اللحاق بالولايات المتحدة أسهل منه فيما مضى ..

وتأخر البلاد الاشتراكية ليس في ناحية معينة من جوانب الاقتصاد وإنما هو
تأخر في كل فرع من فروع الاقتصاد، حتى في الحليب، والزبدة واللحم.. فهذا
خرрошوف يردد: (لقد أصبحت بلادنا تشغل المكان الاول في العالم، من حيث
الانتاج الاجمالي للبن الحليب، والزبدة، وفي السنوات القريبة ستنتحق بالولايات
المتحدة الأمريكية... لتحقيق النداء الصادر عن شغيلة الكوخوزات،
والسوفخوزات الطبيعين، والداعي إلى اللحاق بالولايات المتحدة، في الانتاج
الحيواني^(٣):

(١) نفس المصدر ص ٩٣.

(٢) نفس المصدر ص ٩٢.

(٣) نفس المصدر ص ٤٤.

(...) وبالتالي الاسهام، بسقوط هام في تنفيذ نداء الكو لخوزات الطليعية، إلى اللحاق بالولايات المتحدة في إنتاج اللحم).

وسوف لن يكون اللحاق بالولايات المتحدة في إنتاج اللحم وسائر المنتجات الزراعية، أمرا هينا تستطيع ان تنهض بعئنه روسيا وحدها، بل لا بد من توزيع الالتزامات على هذا التقدير: (... أما نصيب كل جمهورية، وإقليم، ومقاطعة، ومنطقة، وكوخوز، وسوفخوز في النضال لتنفيذ نداء الكو لخوزات والسوفخوزات الطليعية، إلى اللحاق بالولايات المتحدة، في انتاج اللحم، وغيره من المنتجات الزراعية فيجب تقديره على أساس المئة هكتار من الارض).

وهذا الفشل الذريع الذي يلاحق الاشتراكية في كل مكان، حتى ينبعث من لسان رئيس البلاد الاشتراكية، كشيء طبيعي بارز، لا يقبل الجحود والاختفاء، ليس مختصرا في روسيا ومستعمراتها، وإنما هو ملازم للاشراكية، تلازم الحرارة للنار، فالصين الاشتراكية، تقتضي اثر روسيا في التطفل بالمبارات الجانبية مع إنجلترا... وحسب الصين تأخرًا وانحطاطاً أنها، بملائينها، وفخخاتها، وصرخاتها المسورة، تتعرض بالمبارات الاقتصادية المحدودة مع انجلترا. ولكن الصين مع ذلك ترحب أن تعلن مباراتها، وإنما يعبر عنها خروشوف بأسلوب يمكن سحبه بعد حين قائلا: .. فمن المعروف مثلا: أن الحزب الشيوعي الصيني قد وضع في سنة ١٩٥٧ مهمة سبق إنجلترا في غضون ١٥ سنة من حيث الانتاج الاجمالي في الفروع الصناعية الهاامة^(١).

(١) خروشوف (الارقام التوجيهية..) ط موسكوص ٩٩.

نفاثات:

عندئذ يجدر بنا أن نتسائل هل إن الشعب السوفيتي يعيش أرفعه وأسعد من الشعوب الرأسمالية؟ أم أن الشعب السوفيتي الاشتراكي أشقى وأنكد عيشاً من الشعوب الرأسمالية..؟ لا بد أن يكون الجواب: أن الشعب السوفيتي أشقى من الشعوب الرأسمالية تبعاً لتصریحات خروشوف: زعيم الاشتراكية العالمية!..

وإذن ففي وسعنا أن نقول بكل جرأة وقوه: إن النظام الاشتراكي نظام فاشل، وإنه أفسد من النظام الرأسمالي، وإن الاشتراكية عاجزة عن تنظيم الاقتصاد، رغم أنها ترهق الشعوب وتعدو بها بسرعة تعادل أربعة أضعاف سرعة الشعوب الرأسمالية، ورغم أنها صادرت جميع الأموال وختفت كافة الحرفيات، وقضت على الأديان والأخلاق، وقتلت الملايين وسجنت وسفرت الملايين ...

كما ظهر: ان الشيوعين - جيوا - كذابون لا يتورعون عن التلفيقات المزورة، لتغري عباد الله، فقد كانوا يقولون: ان الشعب السوفيتي اسعد الشعوب، ان العامل والفلاح يعيشان عيشة مترفة مرفهة وان روسيا تفيض بخيرات الأرض وبركات السماء ...

وما ان اعتلى خروشوف منصة مؤتمر الحادي والعشرين الا وظهر ان الشعب السوفيتي اتعس الشعوب، وان اقتصاده متاخر ١٢ عاماً - على الاقل - عن اقتصاد الولايات المتحدة، هذه الدولة التي يصب الشيوعيون نقمتهم ولعائدهم عليها. وقد تبين: ان العامل والفلاح في روسيا يعيشان في شظف وتقشف وحرمان، ويركضان بسرعة تعادل اربعة أضعاف سرعة العامل والفلاح في

البلاد الرأسمالية ...

وعلينا حينئذ ان نتسائل : لماذا تدعون الى هذا النظام الفاشل لو كنتم احرار
كم تزعمون ؟ وماذا يعجبكم من هذا التأخر المتعب إن كنتم تقدمين كما
تقولون؟ وبأي مبرر تسوقون الناس الى تلك البؤرة الجرداء ان لم تكونوا
مأجورين ؟ ..

مناقشة الاشتراكية:

ما ان نعرض الاشتراكيه على المشرحة، الا و تكتشف عن مجموعة اخطاء
و اغلاط، و سئيات و مناقضات، و تشف عن تنطلي عليه من استعباد واستثمار ..
لذلك لا نكلف انفسنا بالتعملق في مناقشتها، وانما نكتفي بالقاء الضوء على
اسسها و مبادئها الرئيسة، بعجاله و اختزال :

دكتاتورية الحزب:

اول ضرورة من ضرورات الاشتراكية، اطلاق الدكتاتورية للحزب الشيوعي^(١) واستبداده بفرض احكامه على الشعب، مهما كلف الامر من المخسائر والضحايا ..

(١) لم يكتب النشور للشيوعية في اي بقعة من بقاع الارض، ولكن الحزب - قبل ثورة اكتوبر - حيث كان يقود الجماهير باسم الشيوعية ولاجل تطبيق المباديء الماركسية، سمي نفسه بالحزب الشيوعي، وبعد ما اعلن التاريخ فشل الشيوعية والمبادئ الماركسية، واستعصاها على التطبيق، وارتجل لينين الاشتراكية، لم يجد الحزب محفزا الى تبديل اسمه، تغيرا للجماهير، كما لم يجد بأسا بترديد المباديء الماركسية، رغم ان التاريخ طواها في قائمة الاساطير الأفلوطية، التي تحيا وتعيش وتموت في الاوهام .

و هذه النظرية ترشدنا الى ان الاشتراكية ليست لصالح الشعب، وانما هي تؤمن اغراض القادة المنظمين في الحزب فقط، رغم الشعب ومصالحه، ولو لا ذلك لاستجاب لها الشعب بكل عناصره وقومياته، ولما احتاجت الى التوسل بالعنف والدكتاتورية .

والعجب ان الاشتراكية استقامت على اكتاف المضطهددين لانقاض الدكتاتورية، واستبدالها بالحربيات الكاملة، والديمقراطية الصحيحة ... فاذا بها ترفض الديمقراطية، والحرية، وتبني اقسى دكتاتورية خالية، والدكتاتورية اول ما يكرهها الشعب، ويعمل لتحطيمها ومكافحتها بكل ما يملك من قوى وجهود . فضرورة الدكتاتورية في الاشتراكية، كأكبر دعائمها، اغلوظة لا سبيل الى تصحيحها، او تبريرها ...

مصادرة الحرفيات:

وتتلوا تلك ، مصادرة الحرفيات - بما لها من معنى - واستعباد الملايين لاسياد الكرمليين ..

تلك هي الثانية التي تهدينا الى مدى مناقضة هذا النظام، للانسانية وارادة الشعب، فالنظام الصالح هو الذي يسعى الى اهداف الشعب وآماله، وينظم الحياة السياسية وفق دستور يستطيع توجيه الشعب الى مصالحه في زحمة الحرفيات، واطلاق الصالحيات الكاملة ... ولو لا ذلك لم يصح اعتباره نظاما، وانما الاجدر ان نعبر عنه بـ (شبكة اللصوص) فالنظام يجب ان يكون لصالح الشعب، لا ضد الشعب، ومركزها على اساس الایمان بالشعب ومصالحه، لا على

اعتباره جسرا الى اهدافه واغراضه وبعد ذلك فان كبت الحرفيات، تؤدي الى كبح المواهب وخنق روح الابداع، وغريزة المبارات ثم الاستياق على الصعيد العلمي، والاقتصادي، والفنى، والثقافى ... ولعل هذا التأثر الملموس في روسيا ومستعمراتها - الذي اعترف به خروشوف - ناجم عن كبت الحرفيات .. فكما ان الانسان لا يبتسם للأفق الخانق، كذلك لا تتفتق مواهب المرء، ومقاديره وطاقاته الكامنة، لو لم توقظها انسام الحرية والتائج المتكافئة.

تحديد الملكية:

من ذا يعمل لغيره؟ ومن الذي يضحي بوقته وقواه في سبيل عدوه؟ وهل تحمل الشاة السكين الى جزاره؟ ان الانسان لا يخلص في العمل، الا على صعيد تكافؤ الفرص، والا اذا علم ان جهوده لا تسلب منه.. ولن يتوقف نشاط المرء على ساحة العمل الا بالحافر الداخلي أو الخارجي فاطلاق الملكية الفردية، هو الذي يستنزف طاقات الفرد، كما لا يستنزفها اي شيء اخر. ولقد كفر لينين بهذه الحقيقة، حتى تراكمت امامه اتلال الضحايا، وانقضاض الاقتصاد .. فاستسلم للواقع الحي، ولكن بعد ان فلت من يديه الزمام فاطلق صرخته الاخيرة: (ينبغي تأسيس كل فرع من فروع الاقتصاد الوطني، على المصلحة الشخصية^(١)). ولقد اضطر خروشوف فيها بعد ان يأخذ بكلام لينين، فجعل ينادي في مؤتمر

العشرين:

(١) خروشوف (بيان اللجنة المركزية الشيوعية في المؤتمر العشرين) ص ١١٧ نقلًا عن لينين: (مؤلفات لينين المجلد ٣٣ الصفحة ٤٧).

(...) ففيما يتعلق بالمهندسين، والاختصاصيين وكذلك رؤساء المؤسسات، ينبغي ان يتوقف قسم من راتبهم، توقفا دقيقا على معدلات العمل الاساسية، في المعلم، والمؤسسة، والفرع الاقتصادي والكولخوز^(١).

فكما ان لينين وخروشوف عرفا: ان الغاء الملكية الفردية يشل الاقتصاد الوطني، ولا يمكن ترميمه الا بترتيب المنافع الشخصية على معدلات العمل .. كذلك تحديد الملكية الفردية ينخر في كيان الاقتصاد ويلويه الى الوراء .

تحديد الاقتصاد الوطني:

ان تقدير معايش الناس حسب مشروع الدولة، تنفع لتحديد الاستهلاك، والتقتير على الشعب، للتوفير على خزائن الدولة، ولكنه يضر من ناحيتين :

أ - ان الشعب ينقلب الى فقراء مدقعين، وذلك هو المستمسك الوحيد الذي يحتج به على فساد الرأسمالية، والذي اخنى عليه الشيوعيون باللامة الكبرى .

ب - ان الشعب متى علم ان معيشته ترسم من قبل الدولة، تبعاً لمشروع عام ينبو عن التحويل والتبديل، يصاب بخور الحافز الفردي، ويسعى للهروب عن العمل جهد الامكان، وفي ذلك انهيار الاقتصاد، وتجده في موقفه ...

(١) خروشوف (بيان اللجنة المركزية الشيوعية في المؤتمر العشرين) ص ١١٧.

مساواة الرجال والنساء:

ان مساواة الالفاء مستحبة في كل مكان، اما مساواة الرجال والنساء في العمل فهي من سيئات النظام، ولكن الاشتراكيين لا يعقلون !! والاشتراكيون انفسهم يزِّنون طاقات الحديد، والخشب والتراب فيمتنعون عن تحويل كل واحد الا بمقدار طاقته، او اقل منها.. : فيقدرون ان الطائرة المعينة تحلق بالف كيلو غرام. وان العمود الساجي المعين يستقل بـ ٥٠٠ كيلو غرام . وان التربية السبحة لا تحمل الا طبقتين من البناء - مثلا - فيكفلون كلاما من الحديد، والخشب ، والتراب، ان ينهض بما لا يهضه عبيه ...

اما الانسان: هذا الكائن المسكين، فيجب ان يعمل على قدم المساوات، دون ان يكون هناك من يقدر طاقات افراده، ويكلفهم العمل بموجها .. فالمرأة رغم ان كيانها ادق واوهى من كيان الرجل، يجب ان تعمل كما يعمل، تحقيقاً لمساوات الاشتراكية .. وهكذا قد تكون المساواة من سيئات النظام، واكبر دليل على عدم نضوجه وتبلوره .

وهناك حقيقة ثانية يجدر بنا ان نستوعبها في هذا المجال، هي ان طبائع الاشياء بذاتها تقرر اعمالها، وتحدد كمية وكيفية انتاجها .

والاشتراكيون - رغم كفرهم بالحقائق الصارخة - آمنوا بهذه الحقيقة ، ولكن .. إيماناً ناقصا .. والحقيقة كلها: ان طبيعة الشيء، وقواه ومقاديره الكامنة، هي التي تحد له منسوباً معيناً من العمل، ونوعاً خاصاً من الانتاج، يتحطم ان تعداها الى اواسع منها، كما تتعطل تلك الوظيفة شاغرة، ان تركها لغيره ...

مثلا ان التراكتور يؤدي واجبا زراعيا، والقمر الاصطناعي يؤدي واجبا فلكيا . وهذا الواجبان انما تفرضهما طبيعة التراكتور والقمر الاصطناعي ، لا السلطات الحاكمة، حتى ولو بـل الناس بـسلطة تـشرـيعية شـائـت ان يـؤـدي التـراـكتـور واجـبـ القـمـرـ الـاـصـطـنـاعـيـ ، وـانـ يـؤـديـ القـمـرـ الـاـصـطـنـاعـيـ واجـبـ التـراـكتـورـ ، ليـتحـطـمـ مـعـاـ دونـ انـ يـؤـديـ واجـبـ.

تلك هي قضية المرأة والرجل، فطبيعة الانثى وتركيباتها السيكلوجية والبيولوجية، ونداءاتها الفطرية والعاطفية، تقرر لها مسؤولية البيت والأعمال البيتية، من حضانة الاطفال، وتربيتهم، وتنظيم الشؤون المنزلية البسيطة لأن دقة كيان المرأة ورقة عاطفتها، تؤهـلـهاـ لـلـوـظـائـفـ الـبـسيـطـةـ العـاطـفـيـةـ الدـقـيقـةـ، كـحـضـانـةـ الـاطـفـالـ، الـتـيـ تـحـتـاجـ إـلـىـ دـقـةـ عـاطـفـيـةـ، بـرـئـةـ عـنـ الـبـطـشـ وـالـحـمـاسـ، وـكـالـأـعـالـ الـبـيـتـيـةـ الـبـسيـطـةـ، الـتـيـ لـاـ تـحـتـاجـ إـلـىـ عـضـلـاتـ مـفـتـولـةـ تـفـجـرـ قـوـةـ وـنـشـاطـاـ، وـلـاـ تـتـطـلـبـ عـقـلـيـةـ وـاسـعـةـ جـبـارـةـ وـانـمـاـ تـكـفـيـهاـ اـعـصـابـ الـمـرـأـةـ وـعـقـلـيـتـهاـ ... كـمـاـ انـ طـبـيـعـةـ الرـجـلـ وـطـاقـاتـهـ، وـطـمـوـحـهـ الغـلـابـ، تـقرـرـ لهـ مـسـؤـلـيـةـ خـشـنـاءـ كـالـقـيـامـ بـأـعـالـ الـمـعـاـمـلـ وـالـنـاجـمـ، وـالـمـؤـسـسـاتـ، وـالـفـرـouـرـ الـاـقـتـصـادـيـةـ وـالـكـوـلـخـوزـاتـ، وـالـسـوـفـخـوزـاتـ . وـسـوـفـ يـعـجزـ عـنـ تـنـظـيمـ الـبـيـتـ وـحـضـانـةـ الـاطـفـالـ - لوـ كـلـفـتـ بـهـماـ - اوـ يـحـوـلـ الـبـيـتـ إـلـىـ سـجـنـ السـفـاكـينـ منـ ذـلـكـ كـلـهـ نـسـتـلـخـصـ : انـ مـساـواـتـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ فيـ الـعـلـمـ لـيـسـ اـلـاـ مـنـ بـوـادـرـ التـرـفـ، وـالـطـيـشـ الـبـلـيـدـ، وـمـنـاقـضـةـ طـبـيـعـةـ الرـجـلـ وـالـمـرـأـةـ مـعـاـ.

اجبارية العمل:

ان الناس كانوا يعملون، ولا يزالون يعملون، حتى ان الانسان القديم كان يعمل ليأكل، دون ان يمحفظ اية قوة اجنبية فكم يقتضي- ان يكون النظام طائشاً، حتى يتمتنع الناس - في ظله - عن العمل ؟ ويلجووا في اضرابهم، حتى يتوجيء النظام الى اجبارهم على العمل؟.

والواقع ان الاجبار حيلة العاجز، واقبـر دليل على ان النظام السائد هو الذي عرق سير البشرية، حتى اذا تورمت اقدامها، وسقطت على الارض، لتنفض عن نفسها التعب والشهاد، شهر سلاحـه في وجهها صارخـاً : سيرى، والا جعلت الارض مقبرة واسعة..

فالناس - ابداً - سائرون في مسرـاهـم، وليسـت مسـؤـلـيـةـ النـظـامـ الاـ انـ يـوجـهـهـمـ وـيـرـشـدـهـمـ، ثمـ يـعـبـدـهـمـ الطـرـيقـ، ويـغـذـيـهـمـ بـالـعقـيـدةـ، ليـسـتـحـثـوـاـ خـطـاطـهـمـ، ويـشـذـبـ المـشـذـرـ . ولـيـسـ النـظـامـ جـلاـداـ تـائـهـاـ، يـقـذـفـ النـاسـ فـيـ المـهـاوـيـ وـالـتـلـالـ، ثـمـ - يـسـوـقـهـمـ بـالـحـدـيدـ وـالـنـارـ، وـالـتـهـدـيدـ وـالـأـرـهـابـ منـ ذـلـكـ كـلـمـةـ نـسـتـتـجـعـ : انـ التـحـاءـ النـظـامـ الىـ الـاجـبـارـ يـشـفـ عـمـاـ وـرـائـهـ مـنـ عـجـزـ، وـطـيـشـ، وـفـشـلـ ...

ذنوب الاشتراكية:

وبعدما وقفنا على فساد اسس الاشتراكية، ومدى تكلفـها، ومعاكـستـهاـ لـوـاقـعـ الحـيـاـ، وـطـبـائـعـ الـأـشـيـاءـ، نـحـاسـبـهاـ مـرـةـ أـخـرـىـ، مـنـ جـدـيدـ لـنـحـصـيـ. عـلـيـهـاـ بـعـضـ جـرـائمـهـاـ وـمـؤـامـرـاتـهاـ ضـدـ الـبـشـرـيـةـ وـالـشـعـوبـ :

مؤامرة ضد الإنسانية:

لم تكن سيئات الرأسمالية، هي التي اثارت ضجيج الاشتراكيين كما لم يكونوا انساساً متطوعين بالفداء، لحماية مصالح الشعوب، ومكافحة اعدائهم الرأسماليين، وانما كانوا انساساً منبودين – وحق لهم ان يكونوا منبودين – في حين انهم كانوا يشعرون بحسب الذات، والعظمة الكاذبة بينما المجتمع الرأسمالي ، قد القى بهم بعيدا ... بعيدا ... في قراراة الاكدار وبؤرة المفسدين المهرجين: اعداء الانسان حتى عز عليهم ان ينالوا حظوة في ظل النظام (١) والذي كان يجز في قلوبهم اكثر من كل شيء انهم كانوا يرون زملائهم – في عداوة الانسان – يتقدرون مناصب الحكم الرأسمالي ... هذه العوامل كلها دفعتهم الى اختلاف نظام جديد، يتبنى فكرة (الديالكتيك) البعيدة في الرجعية، حتى يشير ذلك ضجة شاملة، وحيث ان في المجتمع – ابدا – انساساً منبودين، فسيلتلفون حولهم، ويتوسعون في التهريجات التي تهدد النظام والسلطة والشعب، وذلك يجلب انتباه كافة الطبقات ...

وحيث ان الطبقة الكادحة مضطهدة وغاضبة – وفي نفس الوقت – بعيدة عن الوعي السياسي والاجتماعي، يمكن استغلالها لصالحهم .. وهكذا يتكون لهم كيان . لهذا الهدف راح الاشتراكيون يضعون مبادئهم ومناهجهم.

(١) إقرأ حياة لينين وستالين .

اسلوب جديد للرأسمالية:

وكانوا يستلهمون افكارهم من الرأسمالية نفسها، رغم انهم كانوا يهتفون ضدّها .. حتى اصبحت الاشتراكية صيغة أخرى للرأسمالية، غير أنها صيغة مزورة، تطلي على خداع وتمويه للحقائق - ولكنها تخدع الطبقات الاممية، وذلك يكفي الاشتراكيين لبلوغ السيادة والسيطرة- ولكن الواقع الراهن خلف الدعايات الكاذبة، كان يختفي حيناً، ويظهر حيناً، فيفتضح الاشتراكيون، ويتوسلون لتغطيتها بالمبررات الملفقة، ولكن الرأسمالية لا تستأصل جذورها في الحكم الاشتراكي. ولقد صرّح لينين بأن التجارة والرأسمالية مسموح بها اليوم بصورة خاصة، نظراً للتأخر البلاد.^(١)

وحتى اليوم نجدهم يرددون نفس النغمة، معترفين: (... وأخيراً تبقى في النظام الاشتراكي رواسب من الرأسمالية.. أما في النظام الشيوعي فستزول جميع رواسب الرأسمالية^(٢)).

والاشراكية لم بعد تتحقق في جميع البلدان الشــرقــية، فكيف بالشيوعية؟ كما يصرّح بذلك خروشوف: (لقد دخلت بعض بلدان الديمقراطية الشعبية مرحلة إنجاز بناء الاشتراكية^(٣)). أما سائر البلدان فأنها لم تبلغ بعد مرحلة الاشتراكية،

(١) لينين (حول دور النقابات ومهماتها) ص ٦.

(٢) (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) الطبعة الثانية ص ١٣٨.

(٣) خروشوف (الارقام التوجيهية..) ص ٩٧ ط موسكو.

ورواسب الرأسمالية لا تزول إلا إذا اكتمل بناء الشيوعية.

فأذن لا تزول رواسب الرأسمالية بسرعة، وإنما هي باقية حتى الان وستبقى مدة اخرى من الزمان، أما موعد زوالها فهو شيء لا يعينه تقويم، ولن تأتي فجئة.^(١)

وبعد ذلك فمن الصين أن يصرح ما وتسى تونغ بأن فكرة الكوبلجوزات فكرة

بورجوازية:

(...) ولذا فإن اقتراح الأرض لل فلاحين ليس إلا اقتراحًا بورجوازيا ديموقراطيا، وليس اقتراحًا بروليتاريا اشتراكيا^(٢).

فالنظام الاشتراكي –إذن– ليس إلا صيغة مسوخة للنظام الرأسمالي، او هو يعنيه وسنفصل الان: ان جميع المآسي والمظالم التي انكرها الشيوعيون والاشتراكيون في النظام الرأسمالي، ظلت سائدة –بأقصى مظاهرها– في روسيا ومستعمراتها:

العطل:

فالعطل لا يزال موجوداً في ظل الاشتراكي، بكثرة هائلة والاعمال الموجودة لا تكفي لأنشغال جميع اليدى، وإنما تستخدم كل عام عدد من اليدى العاطلة، تبعاً لتقديم الاقتصاد:

(ويزداد عدد العمال المستخدمين في الاتحاد السوفياتي كل سنة. ففي أواخر

(١) أنظر نفس المصدر ص ١٤١.

(٢) ما وتسى تونغ (الحكومة الاتحادية) ص ٧٥.

عام ١٩٥٠ كان في الاقتصاد الوطني من العمال والمستخدمين أكثر مما في أواخر عام ١٩٤٠ بسبعة ملايين وسبعمائة ألف وفي عام ١٩٥١ و ١٩٥٢ إزداد عدد العمال والمستخدمين من جديد مقدار ٢٥٠٠٠٠٠٠^(١).

(ستزداد للتوظيفات في الزراعة مرتين بالنسبة لتوظيفات البرنامج الخامس الخماسي، و ١٤ مرة بالنسبة لتوظيفات البرنامج الخماسي الاول^(٢)).

ومن بين أن الشعب لم يزداد ١٤ مرة بين البرنامج الخماسي الاول والبرنامج الخماسي الخامس، وإن الذي كان هو أن واحداً من أربعة عشر شخصاً كان يعمل في مشروع السنوات الخمس الاول، والثلاثة عشر شخصاً من كل أربعة عشر شخصاً، كانوا عاطلين عن العمل في ذلك الوقت، ثم توفر لهم العمل فيما بعد.

ورغم ذلك كله فإن اليوم يوجد في البلاد الاشتراكية عدد خيالي من العاطلين، والنظام الاشتراكي يسعى لإيجاد الأعمال لهم: (..أما الاصلاح الذي تسعى الاشتراكية إلى تحقيقه في المجتمع الحاضر، فيمكن تلخيصه فيما يلي:
٣٠٠٠ تحديد ساعات العمل للعمال، والاهتمام بهم، وإيجاد أعمال للذين بدون عمل^(٣)).

وقد أكد دعاء الاشتراكية أن: (..في عام ١٩٥٣ شغل في الاتحاد السوفيتي

(١) (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) ص ٣٦.

(٢) أنيسمون (الزراعة السوفيتية) ط موسكو ص ٥٥.

(٣) إبراهيم حداد (الاشتراكية العملية نشوئها وتطورها) ص ٧٠.

آخر عاطل من العمل، وابتداء من ذلك التاريخ لم يعد الاتحاد السوفيتي يعرف البطالة، وفي عام ١٩٥٣ كان عدد العمال والمستخدمين ٤٤٠٠٠٠٠٠ ر، أي أكثر مما في عام ١٩١٣ بـ ٢٨ مليونا وفي برنامج السنوات الخمس الخامس: لـ ١٩٥١) ... سيرتفع عدد العمال والمستخدمين مقدار ١٥ بالمائة^(١).

وإذا لم يوجد عاطل في البلاد الاشتراكية، فكيف يصح تفسير كلام خروشوف:

(...) في غضون السبع سنوات سيزداد عدد العمال والمستخدمين في جميع فروع الاقتصاد الوطني زيادة جديدة تبلغ زهاء ١٢ مليون شخص^(٢).

فهل هذا الـ ١٢ مليون شخص، وذلك الـ ١٥ بالمائة، ولدوا من جديد، وأصبحوا عمالاً ومستخدمين؟ أم جيء بهم من خارج الحدود؟.. إنهم أولئك العاطلون الذين تغص بهم الشوارع، والمعتقلات، والسجون، ومجاهل سيبيريا، والذين يستخدمون تبعاً لحاجات الدولة، ويعطلون متى استغنت عنهم الدولة!

الفقر:

الذي هو أكبر جرائم الرأسمالية، والذي ثار الفقراء ضد النظام الرأسمالي للقضاء عليه، أصبح الطابع العام لشعوب روسيا ومستعمراتها وحتى لو كانت

(١) الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) ص ٢٢.

(٢) خروشوف(الارقام التوجيهية...) ط موسكو ص ٦٦

في المجتمع الرأسمالي طبقات ثلاثة: الطبقة المستغلة، والطبقة البورجوازية، والطبقة الفقيرة، ففي المجتمع الاشتراكي لا توجد إلا طبقةان الطبقة المستغلة الحاكمة: (الحزب الشيوعي)، والطبقة الكادحة الفقيرة: (مجموع الشعب).

وذلك ان مجموع الشعوب الاشتراكية يتألف من العمال والمستخدمين المسخرين للدولة، فليست لهم موارد سوى الاجور التي يستلمونها من الدولة ذاتها - بصورة البضائع أو النقود - والدولة توفر على الخزينة كل عام ٩٧ مليار روبل تقريباً^(١) ومن بين ان الدولة الاشتراكية لا ياتيها هذا الى ٩٧ مليار روبل من الخارج، اذ ليست لها تجارة خارجية مطلقاً في بعض الاحيان، وحين تكون لها التجارة الخارجية تستورد اكثر مما تصدر فهذا ٩٧ مليار روبل كل عام، انما يستخرج من افواه الشعب ومعنى ذلك: ان الشعب ينخر - كل عام ٩٧ مليار روبل، لتخم به الخزانة.

ذلك من جهة، ومن جهة اخرى، ان واردات الدولة الاشتراكية عام ١٩٥٤ م كانت ٥٧٠ مليار روبل وهذه الواردات انها تتألف من الاموال التي تدفعها المؤسسات الصناعية، والنقليات، والمؤسسات التجارية الحكومية، والضرائب على رقم الاعمال، والرسوم على الارباح والضرائب الاهلية.

وهذا يعني أن واردات الدولة الاشتراكية مجابة من الشعب فقط... فلننظر

(١) - ذلك هو معدل زيادة الواردات على النفقات انظر: (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) الطبعة الثانية ص ٢٨ نacula عن برنامج ميزانية الدولة السوفياتية التي أقرها مجلس السوفيات الاعلى.

كذا من هذه الاموال:- التي انتزعت من الشعب بالصورة الشرعية، وغير الشرعية- عاد الى الشعب في نفس العام؟.

إن مجموع النفقات المنصوص عليها في ميزانية عام ١٩٥٤ م يبلغ ٦٢٥ مليار روبل، والباقي من الواردات ارصد للخزينة، أما فصول تلك النفقات فهي كما يلي: ٢١٦ مليار روبل ارصد لتوظيفه في الاقتصاد الوطني، و٣٢٠ مليار روبل للتداير الاجتماعية، و٢٠٥ مليار روبل للقوات المسلحة والجوايس والمنظمات السرية...^(١) فالمخصص للاقتصاد هو الذي يعود الى الشعب، وهو لا يعدو ٢١٦ مليار روبل، ومن المعلوم ان قسماً وفيراً منه يصرف في تكثنة الاقتصاد أي في جعل الاعمال الاقتصادية من الحرف والزراعة والنسيج... بواسطة الادوات الميكانيكية.

من ذلك كله يستلخص ان الشعب دفع الى الدولة عام ١٩٥٤ م ٧٢٥ مليار روبل، وعاد الى الشعب في نفس العام قسم من ٣٢١٦ مليار روبل.

على هذا الضوء نستطيع ان نعرف مدى الفقر الذي يصيب الشعوب الاشتراكية كل عام، ومدى رأسالية الدولة الاشتراكية، وسلبها حقوق الشعوب، لتحقيق أهدافها الكافرة، ول يكن الشعب بعد ذلك فقيراً! فإنه لا يهم الدولة بقدر ما تهمها اهدافها واطماعها... كما صرّح بذلك ستالين عام ١٩٥١

(١) نفس المصدر ص ٢٨-٢٩.

: (يجب ألا نعي افتقار المواطنين السوفيت الى وسائل الراحة المترتبة اي التفات.. فنحن لا نستطيع ان نقدم للسيدات الجوارب الحريرية، بينما نحن في حاجة الى مدافع نستخدمها في تحقيق اهدافنا^(١)).

فكان الشعب انما يعمل لحساب الحكومة، حتى ليس له الحق في استهلاك إنتاجه لمصالحه، بل الواجب أن تقدم حاجة الحكومة الى المدافع التي تحقق أهداف الشيوعية، في استهمار العباد والبلاد، على حاجة المواطنين الى وسائل الراحة المترتبة !!.

على ضوء هذه النظرية يرسم مجلس السوفيت الاعلى برامج الاقتصاد الوطني، التي تقدم مصالح السياسة - في المجال الاقتصادي - على مصالح الشعب، و حاجاته الاساسية... ولا بد بعد ذلك ان يعم الفقر جميع مراقب الحياة الاقتصادية لمجموع الشعب.

وقد نجم من جراء ذلك فشل الحكومة - ذاتها - في المجال الاقتصادي، حتى أنها نالت بحمل الفرائض التي أوجبتها على نفسها:

قلة البضائع:

فقد أصبحت المطاعم أقل من حاجات الشعب، كما يعترف بها خروشوف: (... ومن الضروري، أيها الرفاق، أن نشير إلى ما للمطاعم العامة من الأهمية الكبرى، فينبغي أن توسيع لدرجة أكبر شبكة المطاعم.. لكيما يستطيع أفراد

عائلات الشغيلة الاستفادة من هذه المطاعم^(١) ..).

من ذلك نعلم: أن افراد عائلات الشغيلة - في الوقت الحاضر - لا تستطيع الاستفادة من المطاعم، حتى أن خروشوف يهيب برفاقه: أن يوسعوا شبكة المطاعم كي تستطيع أفراد عائلات الشغيلة، الاستفادة منها... .

ومن الطبيعي أن تقصر البضائع عن إشباع حاجات الشعب، إذاكثر العطل، وقل العاملون، وسائل استنفاد الطاقات ونباع الثروة الكامنة في الاراضي الاشتراكية.

وبكل شيء يجب أن نعلم: أن العطل السائد على شعوب روسيا ومستعمراتها، يسبب قلة البضائع إلى درجة بعيدة، فأن عدد سكان روسيا ومستعمراتها ينوف على ٢٠٠ مليون نسمة. أما العمال المستخدمون منهم - في الوقت الحاضر - لا يزيدون على ٥٤ مليون نسمة. كما نعرف ذلك من تصريح خروشوف: (في غضون السبع سنوات سيزداد عدد العمال المستخدمين في جميع فروع الاقتصاد الوطني، زيادة جديدة، تبلغ ١٢ . مليون شخص، وسيزيد عدد العمال المستخدمين بالمجموع على ٦٦ مليون و ٥٠٠ ألف شخص^(٢) .).

فعدد العمال المستخدمين، إذا أضيف إليه ١٢ مليون يبلغ ٦٦ مليون فهو الان ٤٥ ... وحتى لو وفي خروشوف بما ورد، وأصبح عدد العمال المستخدمين

(١) خروشوف (الارقام التوجيهية...) ص ٧٣ ط موسكو.

(٢) نفس المصدر ص ٦٦ .

٦٦ مليون شخص، فان هذا العدد لا يكفي لا عدد البضائع الكافية لا شباع حاجات الشعب، البالغ عدده ٢٠٠ مليون – على أقل تقدير – ثم ان ٦٦ مليون شخص ليسوا عمالاً وفلاحين وإنما فيهم عدد كبير من المستخدمين الذين لا يعملون في الانتاج، وإنما هم موظفون الذين يشغلون الدوائر وبعد ذلك كم يكون عدد العمال والفلاحين؟ بطبيعة الحال يكون أقل من ٥٥ مليون شخص ومعلوم أن هؤلاء العمال، لا يعملون – جمياً – في إنتاج البضائع وإنما يعمل قسم كبير منهم في إنتاج المعامل، والمكائن والأسلحة البحرية والجوية... وبعد إخراج هؤلاء، كم ذا يكون عدد العمال المنتجين للبضائع؟ إن عددهم يكون ضئيلاً وضئيلاً جداً... ومن الطبيعي – بعد ذلك كله – أن تقصـرـ البضائع المنتجة عن إشباع مجموع حاجات الشعب.. وإننا نجد خروشوف يعترف بـمدى تأخر روسيا ومستعمراتها في المجال الاقتصادي، عن مستوى الولايات المتحدة، كثيـءـ طبيعـيـ يـأـبـيـ الجـحـودـ وـالـانـكـارـ، وـذـلـكـ فـيـ مجـالـ الـانتـاجـ الصـنـاعـيـ والـزرـاعـيـ: (ـيـؤـلـفـ الـانتـاجـ الصـنـاعـيـ الـاجـمـالـيـ فـيـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـتـيـ تقـرـيـباـ نـصـفـ الـانتـاجـ الصـنـاعـيـ فـيـ الـولـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـامـرـيـكـيـةـ، وـيـؤـلـفـ الـانتـاجـ الزـرـاعـيـ الـاجـمـالـيـ فـيـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـتـيـ حـوـالـيـ ٧٥ـ٨٠ـ فـيـ المـائـةـ مـنـ الـانتـاجـ الزـرـاعـيـ الـاجـمـالـيـ فـيـ الـولـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـامـرـيـكـيـةـ).

ـ (ـ وـمـنـ حـيـثـ الـانتـاجـ الصـنـاعـيـ بـالـنـسـبـةـ لـكـلـ نـسـمـةـ مـنـ السـكـانـ تـفـوـقـ الـولـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ عـلـىـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـتـيـ بـمـاـ يـزـيدـ عـلـىـ ١٠٠ـ فـيـ المـائـةـ وـتـفـوـقـ مـنـ

حيث الانتاج الزراعي بما يقرب من ٤٠ في المائة^(١)) والواقع ان هذا التصریح يدلنا على مدى الانهيار الاقتصادي في الحياة الاشتراكية، حتى ان رئيس الدولة الاشتراكية، يهتف في مؤتمر الحزب الشيوعي: (ومن حيث الانتاج الصناعي بالنسبة لكل نسمة من السکان تتفوق الولايات المتحدة على الاتحاد السوفیيتي بما يزيد على ١٠٠ في المائة.) أي ان معدل انتاج البلاد الاشتراكية أقل من الصفر بالنسبة الى الولايات المتحدة التي تسودها الرأسمالية الفاسدة، والتي ينقم عليها الشيوعيون.

وعلى هذا الحساب فالاشتراكية أقل من الصفر في مقابل الرأسمالية الفاسدة، وهنا نعرف مدى فساد الاشتراكية وبعدها عن صلاحيتها للحكم والسيادة. كما ان هذا التصریح ينص على ان الولايات المتحدة تتفوق على البلاد الاشتراكية من حيث حجم الانتاج الزراعي، بما يقرب من ٤٠ في المائة و اذا علمنا ان في الولايات المتحدة يتحرر الكثيرون لينقذوا انفسهم من الم الجوع، عرفنا مدى شیوع الفقر وقلة البضائع في البلاد الاشتراكية.

فهناك الفقر، وقلة البضائع، تجتاحان الملايين، ويعجز النظام الاشتراكي عن اشباع الحاجات الاساسية لجميع أفراد الشعب، حتى ان المستبعد إمكان تحقق ذلك في ظل النظام الاشتراكي، على ما يقرره الرفاق انفسهم، غير ان خروشووف يهب ليقول: إن ذلك ممكن في المستقبل: (... فهل لا يزال بعيدا ذلك

(1) نفس المصدر ص ٩١.

الوقت الذي يمكن فيه تلبية حاجات جميع السوفيتين؟ ...

لاريب ابدا في أنه سيكون من الممكن في مستقبل قريب تلبية حاجات جميع السوفيتين كليا الى الطعام واللباس والمسكن ضمن حدود المعقول والضروري .. يقينا اننا حين نتحدث عن تلبية حاجات الناس، لا نقصد الاهواء، أو حب أشياء الترف^(١).

وهذا اعتراف بأن البضائع - في الوقت الحاضر - لا تكفي لسد الحاجات الضرورية، لجميع الأفراد، وإنما تتضارب الآراء حول إمكان ذلك في المستقبل، أو عدم إمكانه مطلقاً.

وسوف لا يدهشنا هذا الانحطاط الهائل في الاقتصاد الوطني إذا علمنا: أن عدد العمال ضئيل جدا بالنسبة إلى مجموع الشعب، وأن الأراضي الشاسعة المتراوحة الأطوال ظلت حتى اليوم قاحلة جرداً، دون أن تخصبها يد زارع، وأن المناجم والمعادن الفيضاة لا تزال حتى الان دفينة في التراب، وأن هذه الكمية الضئيلة من البضائع التي تستحصل لا تفرق على الشعب، وإنما يدخل قسم منها من عام إلى آخر، إعدادا للشيوعية

قلة المسakens:

ولقد أعلن النظام الاشتراكي عجزه عن تلبية حاجات الشعب بالنسبة إلى المسakens، رغم أن العائلات لا تنفرد باليوت، بل نجد في كل شقة عائلة أو أكثر،

(١) نفس المصدر ص ١٤٢-١٤٣.

كما يهدف بذلك خروشوف: (... إنه منها اتسع نطاق إشغال بناء المساكن، فإن الحاجة إلى أبنية السكن تقاد لا تنقص^(١)).

لذلك اعتمد الحزب الشيوعي إلى صد انهمار القاطنين في القرى والارياف على المدن، علها تفلح بذلك في إعداد الكمية الكافية من البيوت للمقيمين في المدن فقط... ولكن ذلك وحده غير ناجح في معالجة هذه المشكلة، فأن الانهيار الذاتي في الاقتصاد الاشتراكي يحجزه عن تقديم الاعتمادات الكافية لسد الحاجات الضرورية إلى المسكن بل لا بد من أن تبني العمال لأنفسها البيوت الفردية. على ما يصرح به خروشوف: (... وإذا أفلحنا في صد تدفق سكان المدن الأخرى على المدن الكبيرة فاننا سنؤمن حاجات سكان المدن سريعا فيما يتعلق بالمساكن... وينبغي إنماء أعمال البناء الفردي، ومساعدة العمال والمستخدمين في بناء مساكن لأنفسهم على نفقتهم^(٢)) أما المتذمرون على المدن الكبيرة، فلن ينالوا نصيبيهم من المنازل -على أي حال - .

قلة الاعتمادات العامة:

لقد تعالت اصوات الرفاق ناقمين على قصور النظام الاشتراكي، عن تخصيص الاعتمادات الكافية للحاجات العامة، وهناك ينبرى خروشوف ليهدأ اعصابهم، او يخفت اصواتهم مناديا فيهم: (يشكوا بعض الرفاق من ان النظام ما يزال غير كاف في تخصيص اعتمادات التعليم والصحة وبناء المساكن،

(١) خروشوف(بيان اللجنة المركزية الشيوعي في المؤتمر العشرين) ص ١٢٤ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٤ .

والمؤسسات الاجتماعية، والتجميل إلخ ...^(١).

ولا تكشف شكاوى الرفاق إلا عن فراغ هائل في الاعتمادات وثورة مكبوبة في جميع الأوساط، ولكن خروشوف - كعادته - يعدهم وينهيهم وما يعدهم خروشوف إلا غروراً قائلاً: (... لا يقتضي لنا وقت طويل) لكي... نضمن لجميع الأطفال الأماكن في دور الحضانة ورياض الأطفال، والمدارس الداخلية..^(٢).

فالفقر هو الطابع العام، والمشكلة السائدة، في جميع مراقب الحياة الاقتصادية، سواء في ذلك الأوساط الشعبية والحكومية، الفردية منها والاجتماعية. ما عدّى الحزب الشيوعي، والأسلحة الخربية، فإن الحزب الشيوعي يعيش كما يعيش المترفون من الرجال الماليين الكبار، والأسلحة الخربية التي وجدت للقضاء على السلام العالمي، ولا جل استعمار العالم كله، تستند أوفر الحظوظ، واوسع كمية من الثروات، والطاقات، والجهود، والخدمات.

الطبقات:

ان اعظم مقومات الرأسمالية يتمثل في نظام الطبقات الجائرة، وحتى اليوم يثير الاشتراكيون حرباً شعواء ضد الطبقات. ورغم ذلك نجد سلم الطبقات، يشكل النظام والحكم، في روسيا ومستعمراتها. والطبقات توجد في النظام

(١) نفس المصدر ص ١٣٩ .

(٢) خروشوف (الارقام التوجيهية ...) ص ١٤٢ .

الاشتراكي كشيء طبيعي لذات النظام: (في الاشتراكية تبقى الطبقات الكادحة: العمال وال فلاحون، وكذلك المثقفون، وتبقى ايضاً الصفات التي تميز بعضها عن بعض^(١)).

فالقادة المنظمون في الحزب يتربعون على الذروة، وتنوالي بعده طبقات الحزب نفسه - ذلك العملاق الكبير المفضل على الناس اجمعين - ، ثم طبقات الشعب. وحتى من العمال تكون طبقات مختلفة الاجور فهناك الفئات الدينية الواطئة الأجر، والفئات العليا الضخمة الراتب كما نجدها في خطاب خروشوف: (ان لجنة الحزب المركزية، ومجلس وزراء الاتحاد السوفيافي، يتخذان تدابير من اجل تنظيم معاشات التقاعد، والتعويضات بحيث تزداد فئات معاشات الدينية بقدر محسوس، وتخفض المعاشات المفرطة نوعاً ما^(٢)).

فالراتب تصاعد كلما تدرجت الطبقات، فالحزب الشيوعي له رواتبه المفرطة، المختلفة تبعاً لاختلاف الأفراد في مدى اخلاصهم لقائد الـ ٤٠ مليون، وتتلوه النقابات، ثم المخترعون.^(٣)

ثم الاختصاصيون الفنيون ثم المعلمون^(٤) ..

(١) (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) ص ١٣٧ .

(٢) خروشوف (بيان اللجنة المركزية الشيوعية في المؤتمر العشرين) ص ١٢١ .

(٣) انظر: (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) الطبعة الثانية ص ٩٣ - ٩٢ .

(٤) - نفس المصدر ص ٤١ .

اما العمال وال فلاحون الذين دارت الثورة باسمهم وعلى اكتافهم، فهم الملايين الذين يجمعهم الفقر والشظف، والحرمان ...

وبعد ذلك فهناك طبقات توزع العمال وال فلاحين :

(نعم ان في الاتحاد السوفيatic طبقات اجتماعية ... لقد بين احصاء عام ١٩٣٩ : ان ٤٩ ، ٧ بالمئة من سكان الاتحاد السوفيatic هم من العمال المستخدمين و عائلاتهم، وان ٤٧ بالمئة تقريبا هم من الفلاحين الكوхوزين واصحاب الحرف المجتمعين في تعاونيات، اما الفلاحون الفرديون واصحاب الحرف الفرديون فكانوا يشكلون (مع عائلاتهم) ٥ ر ٢٥ بالمئة من السكان^(١) .^(٢) .^(٣) .

الربا:

ان اكبر ركائز الرأسمالية، وقواعد و مقوماته، هو الربا . وهو اقوى مظاهر الاستغلال، ورغم ذلك كله فالنظام الاشتراكي يقرر الربا ويعترف به، ويأخذ منه ويعطيه، فالدولة الاشتراكية تمنح الربا الى المقرضين بصورة الربا، وبصورة

(١) نفس المصدر ١٧ - ١٨ .

(٢) بقي هناك قسم آخر يبلغ ٨ بالمئة لم يذكر لهم عمل . أكثر الظن أنهم العاطلون!

(٥) ان ذلك كذب مفضوح فلقد نقلنا كلام خروشوف - آنفا - الذي يدل على ان مجموع العمال والمستخدمين في الوقت الحاضر لا يعلو ٥٤ مليون فكيف اصبحوا الآن ٩٢ من السكان . ثم اين ذهب الجيش بمالايينه المكدسة على الحدود والفلووات؟ وابن اختفى الموظفون والكتاب والمخترعون، والمخرجون الذين يعدهم نفس المصدر بمالايين ٩٢ و ١٠١ و ١١٤ ؟ فراجعه ص

الجوائز. واليك النص التالي :

(...) ففي مدة برنامج السنوات الخمس بعد الحرب ١٩٤٦ - ١٩٥٠ دفعت الدولة الى الاهلين ١٧ مليار روبل جوائز وفوائد، وفي عام ١٩٥٣ نال الاهلون بشكل جوائز ٩ مليارات و ٨٠٠ مليون روبل^(١).

فالدولة تأخذ ما لدى الشعب من روافد - خصوصا في الأزمات الاقتصادية والسياسية - لكي يبقى الشعب في مستوى واحد من الفقر والحرمان سواء منهم يملك شيئا من النقود ومن لا يملك شيئا . ثم يمنحهم الربا على اراضهم الدولة ...

كما ان الدولة تأخذ الربا من افراد الشعب الذين يفترضون الكميات المحددة لصالح معينة، في الاوقات الخاصة . نعرف ذلك من تعاليم وخططات ماوتسي-تونغ : (- تقليل الإيجار والفائدة ... ومنح قروض صغيرة الفائدة الى الفلاحين الفقراء^(٢)).

اما كمية اقصى- القروض، ومقدار الفائدة، فيقال عنها : (ثم ان العمال المستخدمين الذين يرغبون في بناء مسكن لانفسهم ينالون من الدولة قطعة ارض مجانا . كما ان بنك الدولة يمنحك هؤلاء، بطلب من الادارة والنقابة، قروضا طويلة الاجل، من (٥٠٠) الى (١٠٠٠) روبل قابل للوفاء في خمس او عشر-

(١) نفس المصدر ص ٩٨ .

(٢) ماوتسي تونغ (الحكومة الاتحادية) ص ٥٨ تحت عنوان : (برنامجنا الخاص) .

سنين ، وبشروط متساهلة، بفائدة ٢ بالمائة في السنة^(١) .

فالربا مشروع في النظام الاشتراكي ، ولكن المحظور هناك شيء واحد، هو ان يأخذ الربا واحد من افراد الشعب^(٢) بل اللازم ان ترتكب الدولة وحدها جميع ألوان الاستغلال والاستعباد.

اضطهاد العمال:

لا تختلف حياة العمال في روسيا ومستعمراتها، عن حياتهم في الدولة الرأسمالية الا في شيء واحد، هو ان العمال في ظل النظام الرأسمالي يتمتعون بكلمة الحريات المضمونة، فهم ينعمون بحرية العمل لهذا أو ذاك او الاستقلال بالعمل لأنفسهم، او ترك العمل مطلقا - متى وجدوا لديهم ثروة كافية تعيلهم، وتغنينهم عن تحمل ارهاق العمل في سبيل البقاء كما ينالون حرية اختيار أي عمل شاؤ، وحرية الاضراب، والاحتجاج والمظاهرة، وتكوين الاحزاب التي يريدونها، وتشكيل النقابات والغائها واما العامل في روسيا ومستعمراتها فمسخر مرغم على العمل، واي نوع تختاره الدولة له من الاعمال، وفي أي مكان تحدده الدولة^(٣) دون ان تكون له حرية الاحتجاج، او الاضراب، او المظاهرة، او تكوين الاحزاب - فهناك حزب واحد لا يسمح لغيره ابداً - او الحرية في

(١) (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) الطبعة الثانية ص ٤٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٣ .

(٣) انظر (النظام الشيوعي) ٦٤ - ٦٩ .

انتخاب النقابات ورؤسائها، فانهم يرشحون ويترشّبون من قبل الحزب الشيوعي بالتزكية.

الاجور:

وليس للعمال الحق في تحديد الاجور، او المناقشة حولها، وانما تحدده النقابات : (وفي كل فرع من فروع الصناعة جدول للاجور تشتّرط النقابات في وضعه، وتوافق الحكومة عليه، وهو عبارة عن توزيع للتعرفات، ومقادير الاجور ... اما اجر العمال والمستخدمين المحدود، فيقرر حسب التعرفة^(١)).

وتحبّري هذه التحدّيدات الاجور، تبعاً لساعات العمل، ومعدل الانتاج، في الاعمال اليومية، المحددة بالساعات وهناك ثلاثة انواع اخرى للأجور هي:

١- الاجر اليومي المحدود على العمل المعين، مع الجوائز على تعدي البرنامج الخاص، والزيادة عليه زيادة بارزة، وهذا هو الضرب الاول باضافة الجائزه على ازيداد كمية الانتاج.^(٢)

٢- الاجر على القطعة، وذلك بتقدير تكنيكية العمل: (الوقت اللازم لصنع كل قطعة) ويقوم هذا التقدير على اساس صارم، وعلى تقرير المعدلات لمدة سنة^(٣).

(١) (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) ص ٩١ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٠

(٣) = ص ٩٠

٣- الاجر التصاعدي على القطعة، وهي تجمع بين الاجر على القطعة والاجر مع الجوائز، وفي هذا الحال ينال العامل الذي ينتج أكثر من المعدل، اجرًا يحسب على اساس تصاعدي . وهذا النظام يطبق عادة على الصناعات الرئيسية.^(١)

والاجور – في هذه الاشكال ايضا – تكون اجبارية تحدها النقابات، وتوافق عليها الحكومة، اما العمال فليس لهم الحق في المطالبة بأجور اكثر مما تحدها الدولة .

دوم العمل:

اما ساعات العمل – في القسم الاول – فيتراوح بين الثمانية ساعات واكثر. وأما الذين يعملون تحت الارض فلا يقل عملهم اليومي عن السبع ساعات، وهذا التقدير يوافق أقصى- مدة الاعمال التي يفرضها الرأساليون على العمال والمستخدمين . نعرف هذا التحديد في ساعات العمل من وعود خروشوف عندما قال: (وقد نص مشروع الارقام التوجيهية على ان ينجز في سنة ١٩٦٠ م تخفيض .. يوم عمل العمال والمستخدمين الى سبع ساعات، وتخفيض يوم عمل العمال الذين يعملون تحت الارض، المهن الرئيسية، في صناعات استخراج الفحم والمعادن الى ست ساعات).

ذلك في الاجر اليومي، اما في الاجر على القطعة، والاجر التصاعدي على

القطعة، في يوم العمل غير محدد فيها، وعلى العامل ان يستنفد طاقته وجهوده، بداعي الخوف حينا، والرجاء حينا اخر، وقد وضع هذان القسمان من الاجر لغرض اعتبار ساعات العمل، ثم ان تقرير الجوائز في القسم الاول لمن تعدى المقدار المحدد من الانتاج، يدلنا على ان تقدير ساعات يوم العمل، ليس الا لتحديد اقل ساعات يوم العمل، خلاف ما هو موجود في البلاد الرأسمالية.

اعمال فادحة:

وليس الاعمال في روسيا ومستعمراتها، الا اعمالا تكنيكية قاسية، تتطلب مزيدا من الدقة والانتباه، اضافة على ان تقدير الاعمال يكون -دائما - بصورة مرهقة باهضة، فالعامل في روسيا ومستعمراتها، يجب ان يركض بسرعة تعادل أربعة اضعاف سرعة العامل في الولايات المتحدة^(١) واما كان العامل في الولايات المتحدة مرهقا متواتر القوى والاعصاب فهذا يبلغ من النصب بعامل يجب ان يركض بسرعة تعادل اربعة اضعاف سرعته.

استخدام النساء والاطفال:

ان النظام الاشتراكي يستخدم النساء والاطفال، كاستخدام الاماء والعبيد ... ومن العجيب جداً ان الشيوعيين والاشتراكيين يوجهون دعايتهم ضد النظام الرأسمالي، بحججة انه يستخدم النساء والاطفال، وعندما نظر في نظامهم الشيوعي او الاشتراكي، نجدهم يستخدمون النساء والاطفال - ايضا - أليس

(١) خروشوف (الارقام التوجيهية...) ص ٧٢ ط موسكو.

هذا هو التناقض المريء؟

ولقد كان استخدام النظام الرأسمالي للنساء والاطفال، يعني انه كان يسمح بذلك، والرأسماليون كانوا لا يسخون بأموالهم الا ازاء العمل دون ان يفرقوا بين الرجال والنساء والاطفال، اما النظام الاشتراكي فانه يقهر النساء والاطفال على العمل، حتى لو استعصى واحد منهم . اعتبر هذا ما يجب مؤاخذته وتعريضه للعقاب.

النقابات ضد العمال:

إن من طبيعة النقابات ان توجد لحماية مصالح العمال، وردة المظالم والضربات الموجهة إليهم، ولكن النقابات في روسيا ومستعمراتها ليست إلا شبكة من شبكات الحزب، ودوائر حكومية متغلفة في اعماق الحركات العمالية، ومسيطرة عليها، لتكون اقدر على استعبادها.. كما صرّح بذلك ستالين عام ١٩٣٣ : (يجب ان يكون مفهوما ان نقابات العمال لا تعمل لحساب العامل باعتباره عامل، وإنما تعمل لحساب العمال باعتبارهم ادوات من ادوات الانتاج... ولهذا فإن هذه النقابات لا تخفي مصالح العمال التي تتعارض مع مصالح الحزب^(١)).

فالنقابات يجب ان تعتبر العمال من ادوات الانتاج، وتعمل لحساب الحركة العمالية: الشيوعية، بهذا المقياس. كما يجب ان تعرف النقابات موقفها من العمال

(١) لقد التصرّح به من خروشوف (الارقام التوجيهية...) ص ٩٢

ومن الحزب، فهي ليست إلا فصيلة عن الحزب، يكونها الحزب، ويختار قادته لتكون جهازاً تابعاً مساعداً له، وهذا ما نادى به ستالين عام ١٩٣٣ : (دعوني أوضح بصرامة: إن نقابات العمال هي أجهزة تابعة لأجهزة الحزب... ويجب أن يكون مفهوماً: أن الحزب هو الذي يختار قادة النقابات، لأن فروع النقابات داخل الحزب هي المسؤولة عن هذه النقابات^(١)).

فالنقابات عملت وفق مؤامرة رئيسها ستالين، ووقفت من العمال موقف العدو المترصد، فكانت الحكومة تحتسي دماء العمال - كالعلق - وكانت النقابات هي الأخرى، التي تكونت باسم الصديق، وتكشفت عن عدو لدود...

لهذه العوامل كلها ظل العمال يرثون تحت كابوس الفقر ونير الاستبعاد، دون أن يطيقوا الدفاع عن أنفسهم بشطر كلمة، لأن النقابات تملك الصالحيات الكاملة للكبت الأصوات المعارضة، بما تراه صالحاً لخنق الصوت المناوء.

إهمال العجزة:

والنظام الاشتراكي لا يختلف عن النظام الرأسمالي في إهمال العجزة وعدم الاهتمام بهم، حتى يلقىهم الموت جوعاً وعرضاً، على ما نطق به ستالين عام ١٩٣٦ م : (جرت العادة في وقتنا هذا على إهمال شأن الضعفاء، وعدم الاهتمام بهم. فالاهتمام كله مقصور على الأقوياء وحدهم^(٢)).

(١) (النظام الشيوعي) ص ٤٨.

(٢) النظام الشيوعي ص ١٩.

وحتى ان الكولخوزات التي تخرج من فائض انتاجها الضمانات الاجتماعية، دون ان تتفق الحكومة شيئاً عليها، يمتنع ستالين عن ان يتکفل صندوق الضمانات الاجتماعية إعالة العجزة، مع انها لا تعود الى الدولة بخسارة، فكان النظام الاشتراكي يأبى ان يعيش الا من يكون مطية خاضعة. وذلك في تصریحه عام ١٩٣٦ م: (يجب ان يكون مفهوما: ان نظام المزارع الجماعية. لا يعني مجرد احتكار الدولة لكل مصادر الانتاج الزراعي فحسب بل يعني ايضاً: جعل العمل شرطاً اساسياً للحصول على لقمة العيش... فنحن لا نقيم المزارع الجماعية لنطعم المتطفلين^(١)).

رأس المال والربح الناتج منه:

إن النظام الرأسمالي يتكون من هذين العنصرين: رأس المال والربح الناتج منه. وجميع انتقادات ماركس وسائر الشيوعيين والاشتراكيين تنصب على رأس المال، والربح الناتج منه، لا غير حتى لو فرض نظام لم يكن فيه وجود لرأس المال والربح الناتج منه لما كان للشيوعيين والاشتراكيين فيه مجال للنقد والنقاش... ولكن المدهش جداً ان نرى النظام الاشتراكي يقرر رأس المال والربح الناتج في اجل واقسى مظاهرهما اما رأس المال فلأن هناك الاموال كلها بيد الدولة إلا ما يدفعها من الاجور الى العمال كما ان وسائل الاستثمار كلها ملك للدولة، كالعامل والمصنع والمكائن، والالات، والارضي، و.... والدولة تستثمر هذه

(١) نفس المصدر ص ٤٧.

الاموال والاعيان فتوظفها في شتى المشاريع والمتأجر، وتقوم بالتجارة الداخلية والخارجية^(١) فتستورد من الخارج الوان البضائع والخامات كما تشتري من الكو Knoxzat بضائعها الفائضة عن حاجاتها ثم تبيع تلك إلى البلدان الخارج، وإلى افراد شعوب روسيا ومستعمراتها، فالاستيراد والتجارة موجودتان في النظام الاشتراكي، وهما لا يكونان إلا بواسطة رأس المال، فرأس المال موجود في النظام الاشتراكي.

وأما وجود الربع الناتج من رأس المال في النظام الاشتراكي فلأن الدولة تستورد البضائع من الخارج بأسعار معينة، أو تشتريها من أصحاب الكو Knoxzat، بما تقدر لها من اسعار... ثم تبيع نفس هذه البضائع بأثمان خيالية باهضة حسب ما يقدرها جشع الدولة فـ: (إن أسعار البضائع الموحدة في الاتحاد السوفيaticي تضعها هيئات برنامج الدولة، ثم تصادق عليها الحكومة^(٢)).

من هنا تنشأ مضاعفات الارباح الخيالية، كما ليست موجودة في النظام الرأسمالي، لأن التجار لا يستطيعون أن يطيسوا في تقدير الارباح لأن التنافس الحر يوقفهم عند الحد العادل - نسبياً - ولكن في روسيا ومستعمراتها حيث لا يوجد إلا تاجر واحد: هو الدولة فباستطاعته أن ينطلق في استغلال حاجة الناس إلى ما في يديها من البضائع، بتقدير أفتح الأسعار، وليس هناك تجارة

(١) إقرأ (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) ط ٢ ص ٧٢-٧٥.

(٢) نفس المصدر ص ١٠٠ . وللمزيد انظر المصدر ص ٩٨-١٠٠ .

حررة توقفه عند حده العادل.^(١)

وهذا الربح هو الذي عرّفه ماركس بالخصوصية، أصبح الان جزأ لا يتجزأ من النظام الاشتراكي، وهذا اكبر دليل على رأسالية النظام الاشتراكي، رغم أنهم يعتبرونه نظاماً مناوئاً للرأسمالية.

ولكن هناك اختلاف بين هذين النظامين في نقطة واحدة، هي أن الرأسماليون في ظل النظام الرأسمالي كثيرون متنافسون فيما بينهم، وفي النظام الاشتراكي لا يوجد إلا رأسمالي كبير، هو وحده يرتكب جميع المظالم، ويترك للتاريخ أساطير مفعمة بالدماء والدموع، دون أن تستطيع أية قوة مناؤة تحديد جرائمه وسيئاته....

استثمار الانسان للانسان:

طالما رفع الاشتراكيون عقيرتهم المتغطرسة بالنقد اللاذع البديء للنظام الرأسمالي، بحججة أنه يسمح باستثمار الانسان للانسان، وذلك صاحب المعلم حيث يستخدم العمال، ولا يوزع عليهم مجموع الانتاج، بل يقسم الانتاج بين نفسه وبينهم، فهو يستثمرهم، ويضطهد هم في ذلك القسم الذي يستأثر به.

(١) لست احاول بهذا الكلام ان اسجل العدالة للنظام الرأسمالي، فقد اتفقنا: انا وانت على فساد الرأسمالية، وقفنا على اخطائها واحتقارها ولكن الحقيقة التي اشرحها الان، هي ان النظام الاشتراكي ليس إلا صيغة اخرى للنظام الرأسمالي، غير انها صيغة جديدة متطرفة، متناهية في القسوة والصلف والاستغلال.

وعندما تحكم الاشتراكيون على روسيا ومستعمراتها، جعلوا يتبعون بـ: أننا حررنا العمال من الاستغلال والاستثمار، وسوف لا يستطيع إنسان أن يستثمر إنساناً - في ظل النظام الاشتراكي ...

ومن المدهش جداً: أن الاشتراكيون - في نفس الوقت - يقومون بأوسع الاستغلال والاستثمار، فالحكومة الاشتراكية تستثمر مجموع الشعب لصالحها الخاصة، ولا تدع أي فرد يهرب من هذا الاستثمار الشامل لأنها تقدر الجميع وتسخره للعمل وفق برامجها الخاصة بما تقدر من الأجر حتى الكوхوزات، والحرفيون، وال فلاحون الفرديون، الذين عجز النظام عن إخضاعهم الكامل للدستور، والذين يعتبرون متحررين - نسبياً - بأنفسهم الحكومة، تحت نظام التعاونيات والنقابات، إلى الرضوخ للاستثمار الحكومي، كي لا يختلفوا عن العمال وال فلاحين المأجورين.

فالاستثمار العام الشامل هو النظام الوحيد، الذي تعيشها شعوب روسيا ومستعمراتها. ولكن الحكومة حيث تحاول أن تستثمر - وحدها - مجموع الجهود والخدمات، تمنع بكل صرامة أن يستثمر إنسان من أفراد الشعب إنساناً آخر، على سبيل تكافؤ الفرص، والجهد والجزاء

الإيجار:

ان هناك قوانين طبيعية لا يشد عنها حتى المستثمرون والمقطهدون التزاماً بحكم الطبيعة القوي الصارم، التي لا ينبو صوتها حتى في الحالات الشاذة، فالإنسان متى استعبد إنساناً ليسخره في مصالحة، فلا بد ان يضمن له القيام بحاجاته الأساسية، بان يلتزم بتسليم قوته، وملبسه، ومسكنه اليه ... ولكن

النظام الاشتراكي يتتمر حتى على هذه الحكومة، ويكره بحاجات الانسان .. فهو عندما يقرر للعامل معدلا من الاجور، لا تضمن له غذائه الكامل الملائم، يطالبه بأجور المسكن - حسب ما تقدر الحكومة اجور المسكن - واليک النص التالي، الذي يشف عن القسوة والتقتير في بيوت السكن:

(...) يقضي القانون بان بدل الايجار يجب ان لا يزيد عن روبيل ٣٢ كوييكا^(١) على كل متر مربع واحد من المساحة القابلة للسكن ... وهكذا فان اقصى- حد بدل ايجار من ٣٥ الى ٤٠ متراً مربعاً، يتراوح بين ٤٦ و ٥٣ روبلات في الشهر^(٢).

اجور على الحاجات العامة:

كذلك ينكل النظام الاشتراكي عن تحمل الحاجات، وانما يوفرها للعمال والفالحين، وسائر المسرحين من افراد الشعب، شريطة ان يدفعوا الاجور ، والا فالحكومة تأبى عن اداء الخدمات للمواطنين، فحضانة الاطفال^(٣) وتربيتهم على الاباء^(٤) الا ان يدفعوا اجوراً باهضة رغم ان المرأة والرجل المسرحان للعمل الاجباري، لا يستطيعان ان يقوما بحاجات الاطفال التي تستغرق الوقت الطويل ... وحتى ان أي فرد التجئ الى دخول المصح لمرض او نقاهة، يجب عليه

(١) الكويك جزء من فئة جزء من الروبل.

(٢) (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) الطبعة الثانية ص ٥٠ .

(٣) -اقرأ المصدر السابق ٥٩ .

(٤) المصدر السابق ٥٩ .

ان يدفع السعر المقرر.^(١)

الضرائب التصاعدية:

ثم .. وبعد ذلك كله .. لا تعفى سكان المساكن من الضرائب التصاعدية، بصورة جائرة ليس لها مثيل في دول العالم، وحتى هذه الضرائب المفروضة – حالياً – لا تسد جشع السادة المترفين فما وتسى توونغ – في الاونة الاخيرة – يطلق هذا النداء: (- تأسيس جهاز تقدمي ينظم الضرائب^(٢) .

ومن المدهش : ان اسياد الكرملين وعملائهم يحقررون الضرائب الخيالية التي يجبونها من السكان .. وهذا خروشوف يقول: (... ان الوزن النسبي للضرائب التي تحبى من السكان، قد اصبح في الوقت الحاضر ضئيلاً لا يزيد على ٧.٨ في المائة من واردات الميزانية^(٣) .

ويشير على خطوة خروشوف في تضليل الضرائب النص التالي: (... اما الضرائب التي يدفعها الاهلون ، فليس لها الا دور ضئيل في الميزانية: فهي لم تشكل الا ٩.٣ بالمائة من الواردات عام ١٩٥٢ و ٨.٤ بالمائة عام ١٩٥٣ ، ٨ ، بالمائة عام ١٩٥٤^(٤) .

(١) انظر نفس المصدر ص ٣٧.

(٢) ما وتسى توونغ (الحكومة الاتحادية) ص ٥٨ تحت عنوان (برنامجنا الخاص).

(٣) خروشوف (الارقام التوجيهية ...) طبعة موسكو ص ٦٦ .

(٤) (الاتحاد السوفيتي في مائة سؤال وجواب) الطبعة الثانية ص ٢٨ - ٢٩ .

ماذا يريد هؤلاء ؟ أيريدون ان تتألف ميزانية الواردات كلها من الضرائب ؟ او يريدون ان يأخذوا مجموع الاجور التي يدفعونها الى الشعب بأسهم الضرائب ؟ ام ماذا يأملون ؟.

ان فكرة جبائية الضرائب فكرة مغلوطة بالذات، سواء أكانت في النظام الرأسمالي، او الشيوعي او الاشتراكي، او اي نظام اخر !!

فالضرائب ليست الا اموالا تغتصب من الناس بصورة رسمية قانونية ولا مبرر لها الا ان الدولة تملك القوة، والقوى له ان يفعل ما يشاء، وهذا المنطق لا يشبه الا منطق ذلك اللص يشهر سلاحه في وجوه الناس ليسلب اموالهم بالعنف والارهاب الا ان الناس روضوا على تحمل مظالم الحكومات حتى طمئنوا اليها، وادعنوا بها ثم استسلموا لها، دون ان يشعروا بوقع الاضطهاد، ولم يتعودوا منطق اللص، او علموا : ان اللص ضعيف يستطيعون مقاومته، وتعريفه للعقاب، فثاروا ضده، ثم ان الضرائب لا تفرض على اجور العمال، وال فلاحين والمستخدمين وانما الحكومات تتذرع بهذا السلاح في نهب الاموال الوفيرة، والتجارات الضخمة، لا في الدنيا رأوا الدرهم المرتعش في يد الفقير العاري المهزيل .

وبعد هذا ... فان الى ٨ بالمئة من ميزانية الواردات التي هي معدل الضرائب التصاعدية، ليست بالنزر اليسير - كما يصفها الشيوعيون ، ليهونوا بذلك مظلالمهم، واضطهادهم للشعب - وانما هي مصفى اعمار وجهود، وخدمات .

واننا نستطيع، ان نعرف مدى قسوة الضرائب هناك بالبيان التالي ان ٨ بالمئة من ميزانية الواردات هي كمية الضـ.ائـب في عام ١٩٥٤ م^(١) – ولنفرضها المقياس المعـدـلـ للضرـ.ائـبـ ، كلـ عامـ ، عـلـىـ اقلـ تـقـدـيرـ – ومـيزـانـيةـ الوـارـدـاتـ فيـ نفسـ الـعـامـ ٥٧٢.٥ـ مـليـارـ روـبـلـ^(٢) وـ ٨ـ بـالـمـئـةـ مـنـ هـذـاـ العـدـدـ يـرـبـوـ ٧١.٥ـ مـليـارـ روـبـلـ.. فـهـوـ اذـنـ مـجـمـوعـ الضـ.ائـبـ فيـ ذـلـكـ الـعـامـ . وـمـجـمـوعـ الـاـمـوـالـ التـيـ اـرـصـدـتـهاـ الـدـوـلـةـ ، لـتـوـظـيـفـهـاـ فيـ الـاـقـتـصـادـ الـوـطـنـيـ ، ذـلـكـ الـعـامـ = ٢١٦.٢ـ مـليـارـ روـبـلـ^(٣) وـ ٧١٦.٢ـ يـقـرـبـ مـنـ ثـلـثـ . ٢١٦.٢ـ .

من ذلك نستنتج ان ضرائب عام ١٩٥٤ م كانت تساوي ثلث مجموع النفقات التي وزعت على جميع مشاريع الاقتصاد الوطني ... وهذه كمية جدا هائلة، لا نجد لها نظيراً في ايـةـ دـوـلـةـ مـنـ دـوـلـ الـعـالـمـ.. منـ ذـلـكـ كـلـهـ نـسـتـتـجـ .. انـ النـظـامـ الاـشـتـراـكيـ لـيـسـ الاـنـوـعـاـ منـ الرـأـسـمـالـيـةـ، وـهـوـ اـقـسـىـ اـنـوـعـ الرـأـسـمـالـيـةـ، وـانـ جـمـيـعـ التـضـارـيـبـ بـيـنـ الرـأـسـمـالـيـةـ وـالـاشـتـراـكيـةـ، لـيـسـ الاـ عـلـىـ الـهـدـفـ الـمـوـحـدـ، وـهـوـ الـاسـتـغـالـلـ وـالـاسـتـعبـادـ، اـمـاـ الـكـلـمـاتـ الـخـلـابـةـ، وـالـقـوـالـبـ الـجـاهـزـةـ الـمـغـرـيـةـ .. فـلـيـسـ الاـ حـبـائـلـ وـشـبـكـاتـ لـصـيدـ الـمـلـاـيـنـ مـنـ بـنـيـ الـاـنـسـانـ.

هذه اشتراكية روسيا:

ذلك هو النظام الاشتراكـيـ السـائـدـ فيـ روـسـيـاـ وـمـسـتـعـمـرـاتـهاـ، وـتـلـكـ بـعـضـ

(١) نفس المصدر ص ٢٩.

(٢) نفس المصدر ص ٢٨-٢٩.

(٣) نفس المصدر ص ٢٨-٢٩.

سيئاتها وجرائمها، او بعد الاحتياط بما سبق هل يرroc لاحد ان يعيش في جو يسوده هذا النظام؟؟ مع العلم : اننا لم نسجل جميع النقاط التي تلفت الانظار، وتبهت المراء، وتحفذه الى التسائـل: هل تقود المطامع والاهواء، اناسا من اولاد ادم وحواء، الى ان يصبووا هذا السعيـر الفوار على رؤس الملـايـن من اخوانـهم في البشرـية؟ ان هذه اعجوبة لم نجد لها مثيلا في تاريخ الانسان، حتى ان الوحوش الهاصرة، وجوارح الطير، تأبـي ان تضطهد اخوانـها هذا الاضطهاد الدائم الاليم ... الا ان البـشر : هذا المخلوق الضعيف الجبار، لا يربـو بنفسـه ان ينزل الى ابعد من قرارـة الوـحـش الضـارـي، في سـبـيل مـطـامـعـه الـوقـتـية الرـخـيـصـة، وـاهـوـائـه الدـنـيـة الـقـدـرـة .. ان هـذـا لـشـيء عـجـاب ... وـالـاعـجـبـ من هـذـا كـلـهـ: ان نـجـدـ اـنـاسـاـ من السـذـاجـ الـبـسطـاءـ، وـالـمـغـفـلـينـ الـمـعـتوـهـينـ، اوـ الـعـمـلـاءـ الـمـأـجـورـينـ، يـطـالـبـونـ باـسـتـيرـادـ ذـلـكـ النـظـامـ، وـتـطـبـيقـهـ عـلـىـ الـمـلـايـنـ ... وـالـمـلـايـنـ ... فـيـ سـبـيلـ الـلـاـشـيءـ ظـانـينـ: انـهـمـ يـسـتـطـيـعـونـ العـيـشـ فـيـ ذـلـكـ الـجـوـ الـخـانـقـ الـقـاتـمـ، أـرـفـهـ عـاـهـمـ الـيـوـمـ وـهـمـ لـاـ يـعـلـمـونـ: انـهـمـ فـيـ طـلـيـعـةـ الـذـيـنـ تـدـرـأـ عـنـهـمـ الرـحـمـةـ، وـيـشـمـلـهـمـ الـعـذـابـ.

مناقـشـاتـ عـلـىـ الـاعـقـابـ:

على انتـاقـضـ الـحـدـيـثـ يـتـسـائـلـونـ:

١ - وـإـذـاـ كـانـتـ الاـشـتـراكـيـةـ كـمـاـ تـصـفـونـ؟ فـكـيـفـ اـسـتـطـاعـتـ انـ تـنهـضـ بـشـعـورـهاـ الىـ هـذـاـ مـسـتـوىـ الرـفـيـعـ فـيـ الـحـقولـ الـعـلـمـيـةـ، وـالـصـنـاعـيـةـ، وـالـاـقـتـصـادـيـةـ، وـالـحـرـبـيـةـ؟ رـغـمـ ماـ كـانـتـ عـلـيـهـ فـيـ عـهـدـ قـيـصـرـ مـنـ التـأـخـرـ وـالـجـمـودـ وـالـانـحـطـاطـ ..؟ اـذـنـ فـهـذـاـ فـضـلـ كـلـهـ يـرـجـعـ فـيـ صـلـاحـيـةـ النـظـامـ

الاشتراكى، وامكاناته وطاقاته !! .

والجواب على هذا الكلام يأتي من وجوه:

أ- ان جميع البلاد كانت متأخرة في عهد قيسر، في المجالات العلمية، والصناعية، والاقتصادية والخربية . ثم تقدم العلم الحديث فسيبت تقدم جميع البلاد، على حد سواء، ما عدى المستعمرات التي لم تكن تتمتع بالحكم الذاتي .

ب- ان ميزان النجاح والفشل، في دولة او نظام، ليس مجرد الارقام التي تحرزها الحكومة في داخل صندوقها، او الطاقات الخربية التي تعبهَا في معسكراتها، ولكن المقياس الوحيد هو سعادة ابنائها، أو شقائهم اذ ان الدولة شعب وافراد قبل ان تكون جيشاً وصندوقاً ..

ومن السهولة بمكان ان تعمد اية دولة الى تسخير شعبها تحت عصى- القسر- والاكراء، في شتى المجالات السياسية والاقتصادية، حتى تسبق سائر الدولة، في تلك المجالات، او تسلب اموال شعبه، كي يفيض صندوقه بين عشية وضحاها بالمال الوفير ... ولا يكلفها ذلك الا قدرة على البطش وقوة على الظلم والاضطهاد ...

ولكن الصعب ان توفر الدولة جميع الحرفيات، والوان السعادة لشعبها، وتضمن لنفسها التقدم والازدهار.

فالحكومة لم توجد لتلوك شعبها بين ماضييها، فتضزدад سمنا وترها، وانما وجدت لتحمي مصالحه وحرياته .

ج - اتنا لو وازن بين ما احرزته روسيا في هذه السينين الاربعين الاخيرة من النجاح والتقدم وما رزقه بلاد اليابان، او المانيا، او امريكا، في مثل هذه السينين الاربعين، من المكاسب والانتصارات، لرأينا ان روسيا لم تضر ب اي رقم قياسي في اي مجال، بالنسبة لكل نسمة من السكان .

٢ - اذن لماذا تمعن حكومة روسيا في الدعوة الى الشيوعية ونعمتها، وتتحمس للدفاع عنها، دون ان تعلن فشلها واستعصائها عن التطبيق؟؟.

والجواب : ان حكام روسيا لا يهدرون من وراء الشيوعية غير الاستيلاء العسكري والسياسي على اكبر رقعة من العالم، او ربط البلاد بزمام التبعية لها - على اقل تقدير - كي يستطيعوا بذلك من استثمار البلاد الغنية، واستلاب خيراتها ونعمتها، ليوفروها على شهواتهم الجشعة الفاجرة، والسيطرة والسيادة منبتا الجاثرين المفسدين الذين يريدون علوا في الارض وفسادا ..

والحكومة لو تعلن فشل النظام الشيوعي او الاشتراكي ، لما استجاب لها احد، ولما استطاعوا من استعمار البلاد الاخرى، لذلك ظلوا محتفظين بعدة من الكلمات والالفاظ كي يستعبدوا بذلك الملايين ...

كما ان مبادئ الشيوعية الماركسية بائت بالفشل الذريع، ورغم ذلك بقي حكام روسيا متعصبين لماركوس ومبادئه، واستمروا في المواعيد بان الشيوعية ستطبق، بالرغم من انهم حوروها وزيفوها، ثم القوا بها في زاوية الاساطير والاوهام واختلقوا مكانها النظرية الاشتراكية ...

كل ذلك لأن كل دولة كبيرة لها وسائل، متزرعة من صميمها تتوسل بها في استعمار البلاد، والوسيلة التي تبنته روسيا في استعمار البلاد هي الوقوف إلى جانب الفقراء، وتردد المبادئ الماركسية، والهتاف بالحرفيات والحقوق، والتهجم على الظلم والظالمين، والبورجوازية والرأسمالية ... لذلك تحافظ على هذه الجمل والعبارات ..

٣ - : و اذا كان كذلك؟ فلماذا تندفع الجماهير، وتلبي هذا النداء الكذوب، وتنشر الفكرة الشيوعية في كل مكان، وكيف لا تفضح الدول الرأسمالية هذه الاكاذيب؟؟.

الجواب: اما الجماهير التي تندفع تلبية لهذا الصدى المستطار، فلأنها ناقمة على حكوماتها، والقوانين السائدة في بلادها، وهي أبدا تتوقع الخلاص منها، ولو الىأسوء منها، فتلبي داعي الشيوعية، عله يزيح عنها هذا الكابوس، الذي طالما رزحت تحته.

ب - ان الواقعين الذين يقودون هذه الجماهير، أناس نفعيون مأجورون، وانهازيون محترفون، يعملون في هذا السبيل ليكسبوا به الرزق ويحصلوا - في نفس الوقت - على السلطة والكيان ... واما الجماهير التي لا تعرف شيئا في العالم غير الخبر، فتنطلي عليها الحقائق المروعة، الكامنة خلف الوعود والاكاذيب ...

ج - ان الحكومات الرأسمالية - قبل ان يأتي خروشوف الى الحكم - كانت تعرف صورة باهته عن الوضاع السائدة في روسيا ومستعمراتها ولم تكن

تعرف كل الحقائق، فالستار الحديدي انما نصب ليفصل البلاد الاشتراكية، عن العالم كله، وحتى لا يستطيع احد ان يتسلق اخبارها مهما بلغت به الحيلة والدهاء. وهكذا كانت الدول الرأسمالية بعيدة عن اكثر الوضاع الاشتراكية، وكانت تعرض تلك الصورة الباهتة – التي عرفتها رغم الستار الحديدي – على الناس، ولكنها حيث لم تكن صورة قوية حية لكل ما هنالك، عجزت عن مقاومة دعایات الشیوعین ..

إضافة على ان الناس كانوا ينظرون الى الحكومات الرأسمالية نظرهم الى اعداء الانسانية والشعوب، فكانوا لا يصدقونها في شيء مما يقول، وكانوا يظنون انها دعایات مغرضة، يجب ان يغلقوا افهامهم دونها ...

ولكن بعدما جاء خروشوف الى الحكم، ونفى فصولا من الستار الحديدي، وانطلقت الوفود والبعثات، تروح لتحمل علينا الانباء المدحشة المهاشلة، وجائنا من روسيا بعض البضائع التافهة، وعدد من الخبراء والاطباء ... التافهين، واطلقت الاحزاب الشيوعية هنا وهناك، لتعرف الشيوعية والشیوعین للناس و ... اذا بالجمahir المتلقانية في سيل الشيوعية تنقض عن جفونها الرقاد، وتندفع – في المرة الثانية – لتحارب الشيوعية، كما كانت في السابق تعمل للشيوعية لذلك كله نجد الاحزاب الشيوعية تتسلق في كل مكان . حتى لم تبق للشیوعین خلية امينة، وانما خسر-وا الكادحين، واصبحوا مطاردين منبوذين، تطاردهم الشعوب قبل السلطات، ويلاحقهم الخزي والعار، أينما اتجهوا ...

وهكذا سقطت الأحزاب الشيوعية – بعدهما كانت أقوى من الحكومات المحلية – في إيران، ومصر، وسوريا، ولبنان، والعراق، والأردن، وأندونيسيا، والجزائر، وتركيا ... وسائر الدول الإسلامية والرأسمالية ... وسوف تسقط الشيوعية العالمية، وتندحر روسيا ومستعمراتها في يوم قريب ... وقريب جداً ...
التقرير الأخير:

يدل جميع ما سجلناه إلى الان على ان المذهب الاشتراكي مذهب فاشل، لم يطبق الا بقتل الملايين، والسجن والتعذيب والارهاب، ثم لم يستطع ان يعيش الى جانب الحريات والاديان والاخلاق، فصادرها – جيما – ولم يتمكن من ان يسير الناس بحكمة ورزانة وهدوء، فجعل يسوق الناس بعضى- القسر- والارهاب، ولم يتطوع له الناس فيما يرسم من مخططات واهداف، فالتجيء الى اجبار واكراء الناس حتى على الاعمال الطبيعية البسيطة ... ومع ذلك كله فشل في رفع المستوى السياسي، والاقتصادي الثقافي لروسيا، فظلت متأخرة بكثير، عن كثير من البلاد الرأسمالية... فالنتيجة : ان هذا النظام كالنظام الرأسمالي والشيوعي – فاشل لم يكتب له البقاء !! ..

مذاهب اشتراكية مبتورة

مولد الاشتراكيات المبتورة:

وبعدهما تمر السفينة على سطح الماء – بعدة دقائق – توجد موجات صغيرة على الضفاف، فتضارب وتتلاطم، ولا تستطيع ان تفعل شيئا دون ان تعكر نفسها، وتبلل الغادين والرائحين، ولن تمر عدة ثوان حتى تتلاشى وتعود زجاجة الماء الى هدوئها ولمعانها الفتان، وانعامها المترنة الوديعة ...

تلك هي اسطورة المذاهب الاشتراكية المتعشة، التي حدثت بعد ثورة

اكتوبر:

فبعدما انتشرت دعایات الاشتراكية في البلاد الرأسمالية، استجاب لها الكادحون المضطهدون، فأحدث رجات عنيفة في الحكم الرأسمالي، وأنذر الحكم بالصیر المظلم، فالتجئوا الى تلبية مطالیب الجماهير، علها تخف ثورتها الجامحة . هذا من جهة، ومن جهة اخرى وجد الحكم: ان النظام الاشتراكي ينفعهم الى حد بعيد، لأن الاشتراكية تضع في يد الدولة جميع الثروات، وتبعد العمال وال فلاحين للحكومة، بصورة اجرارية واسعة النطاق، وذلك ما تلهف اليها الحكومات ...

الاشتراكية الفاشية والاشتراكية النازية:

لهذين العاملين سارع هتلر النازي في المانيا، وموسوليني الفاشي في إيطاليا، الى اختلاق مذاهب اشتراكية، فالتحقطا من اشتراكية لينين، تلك المواد التي تنسجم مع ميولهما واهدافهما، وانتخبا تلك المواد التي تلائم افكارهما واغراضهما بشيء من التحوير والتطوير، فطوراها كما اشتھيا ..

ونبدا المواد الاخرى، التي لا تلتئم مع اهوائهما ومطامعهما او لا يجدانها صالحة

للتطبيق ..

وحيث لم يكن هتلر وموسوليني، واتباعهما وانصارهما، الا من ابناء الرأسمالية، الذين ورثوا من العقلية الأولية، جميع اخطائهما، ونقاط الضعف فيها ... اضف الى ذلك دكتاتورية هتلر وموسوليني، وال فكرة النازية والفاشية و

هذه العناصر كلها تفاعلت في ادمغة هتلر وموسوليني وزبانيتهما منذ سنين حتى اختمرت وتجسست ... فلما حاول تكوين فكرة اشتراكية، تناولوا طائفه من الحقائق ومزجوها بكثير من الغلو والمبالغة، واستبدلوا كتلة من الاباطيل والخرافات، بمجموعة من الحقائق الاخرى، وأقاموا للحياة البشرية نظاما جديداً، كان في الواقع مزيجاً مركباً من عناصر شتى فجمعت كثيراً من اخطاء الرأسمالية والاشتراكية معاً ..

ورغم سوء المزاج، وفساد التركيب، الذي انطبع بهما الاشتراكية النازية والفاشية، كانت بريئة من كثير من اغلاط الشيوعية والاشتراكية فقد رفضوا نظرية الصراع الطبقي في المجتمع، وقالوا بامكان تأخر طبقات المجتمع . كما نبذوا نظرية لزوم القضاء على الملكية الفردية والطمع في المنافع الشخصية وقالوا بوجوب تقرير الملكية الفردية والمنفعة الذاتية .

وايضاً حاربوا جملة من الافكار السخيفة التي منيت بها الرأسمالية، فمثلاً، ناقضوا نظرية وجوب اهمال العجزة، فقالوا بلزوم اعالتهم، وانتشالهم من ضائقه الجهل والفقر والمرض ، وفي حالات العجز الدائم، يجب اعالتهم حتى يقضي عليهم، لأنهم كانوا اعضاء في المجتمع، فلا بنت لهم بمجرد انهم عاجزون .

هكذا كانت الاشتراكية النازية والفاشية نقية من كثير من الاوهام والاخطاء، في حين انها كانت مليئة بشتى الرواسب والاغلاط المخلفة من الانظمة القديمة والرأسمالية والاشراكية معاً ...

واننا لا نستعرض هذين المذهبين، كما لا نستعرض اهتماماً لوضع النقاط على الحروف لأنهما مذهبان مغلوبان، ولقد وقفنا على اخطائهما عند استعراضنا النظام الرأسمالي والاشتراكي ، فلا حاجة، ولا مبرر للتكرار ... خصوصاً بعدما اعلن التاريخ فشل هذين المذهبين، واندحر لغير عودة ...

اشتراكيات هو جاء:

وبعدهما انقضى- دور الفاشية والنازية، اخذت الساسة في استغلال سذاجة الجماهير الغريبة، التي كانت تطالب باشتراكية روسيا فجعلوا يطبقوا في بلادهم بعض مواد الاشتراكية، التي كانت تتفق وافكارهم ومصالحهم واهملوا بقية النظام، وهكذا قضوا على الحركات الشيوعية، التي كانت تستفحّل في بلادهم وفي نفس الوقت، غذوا سيطرتهم الاقتصادية والسياسية بمواد قانونية جريئة، التي لم يكن في وسعهم ان يضعوها من قبل .

ولكن اقتصادهم اصبح شيئاً مضطرباً مضنياً لا يتركز على فكرة جامعة . ومن هذا النوع تكون اشتراكية الهند وبريطانيا، واكثر البلاد الرأسمالية ... لكن هذه الاشتراكيات كلها تدور في حلقة شاغرة، وليس من الصحة في شيء لأنها لا تدعوان تكون مركبة من الرأسمالية والاشراكية ففيها من اخطاء وسياسات الرأسمالية والاشراكية، وهذا يكفي دلالة على بطلانها، وسيعلن الزمان بعد حين فشلها ...

الاقتصاد الإسلامي

الفرد في نظر الاسلام:

للاسلام رأي آخر حول مكانة الفرد ، يختلف عن فكرة الرأسمالية و منطق الشيوعية والاشراكية ، لأنه يعرف الفرد موجوداً ذا اعتبارين - في آن واحد - :

١ - صفتة كفرد مستقل ، له كيان خاص ، و مؤهلات معينة .

٢ - صفتة كعضو في المجتمع ، فهو يلبى حاجاته الفردية حيناً ، ويستجيب لعلاقاته الاجتماعية مرة ، فلا بد وأن يكون للفرد كيان ، وللمجتمع كيان .. طبقاً لما ذكرناه في المقدمة .

طبقان موازین لا يصطدم أحدهما بالآخر ... وعلى ضوء ذلك ، يرسم الإسلام خطوة جديدة بين المرحلتين ، على حد سواء ، ثم ليسير قدماً وإلى الأمام حيث يأمن العثار .

ويجعل حجر الزاوية للمجتمع : المال والروح ... وليسع الدولة مهيمنة عليها ...

وهنا نستعرض بعض النهاذج ، من شتى أدوار الاقتصاد: التي يسنها بوحى من هذا المبدأ الرشيد ... :

الملكية الفردية:

هنا منبع الاقتصاد .. او مفترق الطرق .. الذي تذهب منه الشيوعية الى الملكية الجماعية .. والرأسمالية الى الملكية الفردية المطلقة .. والاسلام الى الملكية الفردية المقيدة .

وقد ذكرنا ما في الملكية الفردية المطلقة من سوء .

ويزعم الاشتراكيون : ان الملكية الفردية قارنت الظلم والاستعباد - على مدار التاريخ - وقبل اكتشاف الزراعة كانت (الفترة الملائكة) التي رأت مجتمعاً

فاضلا : يسوده التعاون والتعارف والأخاء .. لذلك لا بد ان نعيid تلك الفترة
السليمة، بالغاء الملكية الفردية !

وهذا الكلام لا يعرفه التاريخ ولا تقره الصحف السماوية ...

وقد قتل (قابيل) في اولى اسرة تكونت على وجه الارض وعلم
النفس والمجتمع بحكمان: بان نزعة السيطرة الفردية من الطبائع الفطرية، المركبة
على الانسان، ويولد بها .. مع اهمال البيئة، وجميع الظروف المحدقة به من قريب
او بعيد .. فهذا الادعاء مختلف .. ثم ان هؤلاء يريدون: ان يرجعوا البشرية الى
الوراء ... الى الوراء. الى البدوية الاولى... الى اول يوم انطلق البشر - فيه على
التراب !!

يقرر الاسلام الملكية الفردية - بوسائل مشروعة - ثم يصون هذا الحق
لصاحبها . ويقطع الايدي المعتدية عليه .. واثبات الملكية الفردية تحقيق للعدالة
بين الجهد والجزاء. (من عمل فلنفسه) ومن اهمل فقد خسر نفسه.

ويسيطر الفطرة والميول... ويجاري الاشواق البشرية الحافزة على العمل،
للحصول على اكبر قدر ممكن من النتاج، في حين انه يتافق مع المصلحة العامة:
باغراء الفرد على اتفاق اقصى مجهوده في سبيل تنمية الحياة والفرد متى علم: انه
يعمل لنفسه، والتوفير على حاجاته، يندفع نحو العمل بنشاط وانطلاق ..
ويختلس من وجبات فراغه وراحته، ليخصص للعمل اوسع فرصة عريضة،
ويستنزف طاقاته بانبساط والحادي، ولا يحس انه مسخر للعمل، ولا يشعر
بالتعب منها كد وكدح ، ولا يضيره: ان يسامر سرير الالم بعد ذلك.

هذا الهدف النبيل يعترف الإسلام بملكية الفردية، ويضم أصولها المعينة: التي تتيح للمجتمع هذه الفوائد الجسيمة من فرد واحد، دون أن يمس كرامة الآخرين.

ومثل عمل هذا الفرد لا تؤديه العشرة من الممتهنين قسراً وغصباً، لا يملكون ارادتهم، ولا يعرفون احترامهم، وإنما هم أدوات ميكانيكية بسيطة في العمل .. على حد تعبيرهم .

نطاق الملكية الفردية:

ولكن الإسلام لا يدع الملكية الفردية تطغى على مصالح الجماعة.. فالإسلام إنما يقنن نظام الملكية الفردية للمصلحة المشتركة بين الفرد والمجتمع، وتقدم ضرورات الجماعة على حاجات الفرد عند الاصطدام

فكرة الإسلام عن الملكية:

تدور فكرة الإسلام عن الملكية على نقطة واحدة: هي مبعث التحليل والتحريم في منابع الثروة، وهي قانون (تكافؤ الفرص) فالعمل سبب لتنمية المال...، فلذلك العامل يستحق النماء . وأما عين المال، فبنفسه لا ينمو، والنقود لا تلد النقود ، ولو مر عليها ألف سنة ، فبم يطالب صاحب رأس المال؟

وبمثال أوضح: دع مليونا من الدنانير في الصندوق.. مائة عام ! هل يزيد عليه واحد؟ وضع اطنان القمح والرز والشعير في المخازن حتى تبور ... لا تنمو نصف مثقال..! ولكن .. تاجر بالدنانير ! ستدر عليك أرباحها ! واترك الفلاحين يزرعون الحبوب، ويجهدونها بضم شهور سيعصبونها سبعمائة مثلا !!

من وحي هذه الفلسفة الواقعية يضم الاسلام برنامج اقتصادياته ويرسم الحدود والقيود للمكاسب ! وعلى هذا الضوء يحرم اشياءً ويحلل اشياءً !!

المتاجر المحرمة فمنها:

١- الربا:

عصب الرأسمالية ودعامتها الراسية، لأن الربا لا يكون إلا في المجتمع المضطرب، فيه الثري الذي نقوده أكثر من نفقاته وتجاراته، وفيه الحاجة الذي سدت في وجهه السبل، فلم يجد منفذًا يرتفع منه أيثما اتجه، حتى التجأ إلى المعاملات الربوية بداعم الحاجة والاضطرار، وإن خسر. الفائز كل يوم، لكنه كالمقدم على الانتحار... وهكذا الربا ينمو ويزيد أضعافاً مضاعفة، فما هي إلا سنوات حتى تتسرب ثروات هائلة من أنامل الكادحين إلى مخازن المترفين...

وكم نعرف اناساً أقدموا على الديون الربوية لترميم بيوتهم أو مصانعهم، ثم عصفت بهم ازمات اقتصادية: عاقتهم عن اداء الديون .. وتضاعف الربا عاما بعد عام .. حتى اخذت المصانع والبيوت من ايديهم .. وضلوا يلفضون حياتهم في سلسلة من الحسرات والعبارات !

فهذا الفائض يستمتع به صاحب المال ، ابتزازا بتحين ساعة احتياج الناس. انه العرق والدماء يلغ فيها بنهم وشراهة، لا لشيء الا انه صاحب المال .. والاسلام الذي يقدس العمل، و يجعله السبب الاساسي للربح، لا يعترف بهكذا اموال ... ولا يعرفها الا سرقة قانونية .. لان المال بنفسه لا يولد المال، وانما الجهد والعمل يحصلان على القائدة .. فيجب ان تعود غلة الجهد لصاحب الجهد، وان يعود المال مفردا لصاحب المال ..

وهناك الخطر الجاثم خلف اباحة الربا، هو: تمهيد الوسائل لتضخم رؤوس الاموال، بلا جهد وكفاح في سبيله! وتكاثر الفقر والفقراء... ومعنى ذلك : توزيع المجتمع طبقتين متباينتين: طائفة من المترفين البطالين يعتمدون على الربا في تنمية اموالهم بلا حساب... وفرقة الكادحين المسؤولين يفترضون بالربا - في ساعة العسرة - ثم يعوزهم الاداء ... فيصبح المجتمع اشبه بكفتى الميزان: تعلو الطبقة المترهلة الفاجرة، كلما يشيع الفقر ويزداد الفقراء ..

الترف الحرام:

ومتى تأمرتون المترفون.. فهم - بطبيعة الحال - يسوقون الاجتماع الى الهلاك والتدمير ... فالمترفون ينضب الایمان والضمير في قلوبهم، وتعلوهم الغلواء والغلظة، والاندفاع المهاجع، والوقاحة المائعة.

فالطاقة الفائضة لا بد لها من متصرف .. والمترفون والمترفات يجدون رزمه من الطاقات تتلاطم لتفيض: طاقة الشباب. طاقة الفراغ . طاقة المال. ويعرفون مصارفها في حياتهم الرخوة الناعمة .. وفي متابعيهم المستهتر الداعر ... وهم محتاجون الى حاشية وبطانية ترضخ لسخافاتهم واوهامهم الشاذة، وتحمل خرافاتهم واساطيرهم البالية، وتشترك معهم في اللهو القدر .. فتجمعت كتلة آسنة، من الامعات العفنة، والمستغلين والمهرجين ، والذيول والحواشي، والخشاشة وتجار الرقيق ... ينشرـون الدعاارة والترهل، ويرخصون قيم الحياة الجادة: التي لا تروق للمترفين والمترفات ... والى جنب هؤلاء القصر- المجنح الذي يرف على المزارع والحقول ... والضياء الصفراء الضحوك، تتنزى من

عيون الشرفات والزجاج . والاغراء الحاسم الخالق ... وعلى الضفة الآخرى
الخطام الآدمى الهزيل ، الصحل المتهافت ، ومن لا طعم له في القرص ، ولا عهد
له بالشعب لا تخشى بوادره ، ولا ترعب سطواته ...

او في مثل هؤلاء من يستطيع : ان لا يخشى - في فخاج الفجور ... الا ابطال
والقدسيون .. وما اكثر الناس - ولو حرصت - بابطال او قديسين !!

كذلك يستفحى الداء في مرافق الحياة .. !. ثم تكون عاقبة ذلك شیوع
الفاحشة في الامة .. وانتشار الاباحية والفوضى ... وخواء الضمائر والاجسام
والعقل ...

تلك هي فكرة الاسلام عن الربا .. تبدء فردية ، ثم تصبح جماعية وكل هاته
المظالم تكون .. ومسارها الربا !.

وهناك فلسفة ثالثة لحرم الربا ، هي : ان الربا يوهن علاقات الافراد ،
بعضها مع بعض ، وتقطع الاواصر والصلات العذبة : فان من يعطيك دينارا
ليأخذ منه - بعد ستة اشهر - دينارين هو عدوك ، وانت عدوه : لا تجمعكم
الاخوة الاسلامية ، وروح التعاون والتعاضد: التي بني عليها الاسلام ...
وبالاخوة يفشى - التبغض والتکايد ، التحسد: التي تنتهي بالانتفاضات
الدامية ... ويعتبر الناس روادها ابطالا ، وحملة مشاعل الانسانية في دروب
الحياة ..

لذلك يحرم الاسلام الربا .. ويبالغ في تحريمها . حتى لعن النبي ﷺ آكل
الربا ، ومؤكله .

وكاتبه، وشاهدية، وقال ﷺ : هم سواه ! ويأمر بتبادل القروض الاهلية بلا فائدة.. لتنمى - في المجتمع - المودة والمرؤة والتضامن ، بين الجماعة: غنيها وفقيرها ، وعالیها وسافلها .. !!

استحباب الريادة:

ولكن ثمة حقيقة لا تغفلها نظرات الاسلام، العميقه الثاقبة.. وهي ان نفس المال اذا بقى عند صاحبه، ولم يقرضه احد، لتجربه وربح .. ولكن عندما يقرضه للناس، لا يستطيع ان يستفيد من ماله هذا، لا بالمعاملة ولا بالربا .. وذلك يوجب تجميد المال، وشلل الشروة - بالنسبة لمالكها - عندما ينتفع بها الاخرون، وكذلك تقل الرغبات .. وينقطع الجميع عن اعطاء الديون !

لذلك وازن الاسلام مصلحة المقرض بمصلحة المقترض .. فعندما يكون المقترض فقيرا، يقتضي التكافل الاسلامي : ان يكف الغنى عن الربح قليلا - لامداد حياة الفقير ... واما كانا غنيين قدم مصلحة صاحب المال فكان من المستحب على المقترض - عندما يؤدي الدين - ان يضيف اليه شيئا من المال تبرعا، دون تبان عليه من اول الامر . لثلا يفوت صاحب المال الربح .. فيكره الديون بعدئذ .

وكذلك الاسلام راعى حق الجانبيين، باسلوبه الرفيع الحكيم دون ايها محاباة او استئثار .

محاولة فاشلة:

وحاول فريق اطلاق الربا في بعض الوانه، فقالوا : ينقسم الربا نوعين: ١- ربا الاستهلاك. وهي: الديون الشعبية، التي يأخذ الفقراء لسد حاجاتهم الفردية، من تكاليف الغذاء ... الكسae ... الدواء.

١ - ربا الانتاج، وهو القروض التي تستوفي للاغراض التجارية البحثة. وقالوا: ان الربا المحرم في الاسلام هو ربا الاستهلاك لا ربا الانتاج وذلك منطق لا يلائم نصوص القرآن المطلقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَدَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾^(١).

﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَصْعافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).
 ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا﴾^(٣).

ولا تعتبره فلسفة الاسلام حول فائض المال .. (فالغم لمn عليه الغرم). ومالم يشترك صاحب المال مع المدين في الغرامات لا يشترك معه في الانتاج. وان اشتراكا - معا - في الخسائر والارباح، فتلك شركة وليس من الربا في شيء. وايضا. فالفائدة حصيلة الجهد والعمل .. لا المال الذي يستدنه، فليس صاحب المال في المنفعة نصيب!

(١) البقرة: ٢٧٨ .

(٢) آل عمران: ١٣٠ .

(٣) البقرة: ٢٧٥ .

تلك هي: نظرة عجل - على الفقه الإسلامي - حول الربا . وسنلقي نظرة أخرى على الربا، في افكار العظماء والدستير غير الإسلامية!

للضعفاء:

الذين لم يحيطوا بفكرة الاسلام القوية الشاملة، عن الكون والحياة والانسان... فراحوا يتصرّوا للإسلام بالعلم الحديث، وآراء العظماء ... اما نحن فنستغنى بوثوقينا بروح الاسلام المعصومة - في اتجاهاته وتوجيهاته - عن الاستنجداله بغيره ... فلا نزداد اطمئنانا اذا وافقه .. ولا نضطرب اذا ما خالفه !!

مع القوانين والعظماء:

١ - كان القانون الروماني يبيح الفائز ... فجئت الكنيسة الكاثوليكية فحرمته تحريراً صارماً لانه أكل لاموال الكادحين بالباطل !

ولقد كانت (التوراة) و (الانجيل) يحرمانه من قبل . ثم نقل فقهاء القانون الفرنسي: هذا التحرير وعلمه بسبب اقتبسوه عن (ارسطو) هو: ان النقود لا تلد النقود فتكون المطالبة بفائدة عن النقود ضد طبائع الاشياء .

في مصر من عهد الاسرة الفرعونية الثالثة سنة ٢٩٨٠ ق.م. لم تعهد القروض الربوية .. الا في عهد الانحطاط الثاني، في الفترة الواقعة بين ١٢٠٠ - ٦٦٣ ق . م . فدخلت الفائدة القانون المصري منقولة عن (الكلدان) .

٢ - يقول علماء التشريع الحديث: ان اثر ما تقدم على القانون يبدو في تحديد سعر الفائدة .

كارل ماركس: ان الربا واحد من مظاهر اللصوصية، التي تسلكها الرأسمالية في سلب حقوق الطبقات العاملة .

البنوك:

لقد نشأت المجتمعات اليوم، على فكرة الرأسمالية، في جميع مرافق الحياة ! فصاحب المال لا تسخو نشأته باقراض المحتاج لقضاء حاجته . وال الحاجة تلح على الفقير فلا بد من سدها ولو بالربا ... وهكذا وجدت : المصارف (البنوك) للتعامل بالربا وتأمين حاجات الناس من هذا الطريق الحرام .. والتجار الذين لهم حرية الاستغلال: بالغش والقمار والاحتكار والربا دون رقابة من دولة ، او تقييد من قانون، يرون من الضروريات البدائية وجود المصارف (البنوك) لاشياع نهمهم الملتهب الضاري ..!

والاسلام لا يعرف مجتمعا يتتجىء الى الربا في يوم من الايام ! بل يرسم المجتمع على لحن : يتحامى الربا بطبيعته، ويعرفه شر وفتنة، للفقراء والاغنياء سواء بسواء .

لان المحتاجون الى الديون ثلاثة انواع: المحتاجون الى قوتهم اليومي. المحتاجون الى العمل. المحتاجون الى التجارة والاستيراد... والاسلام يضمن لهؤلاء جميعا: تأمين كفاءاتهم ..

اما الصنف الاول: وهم المحتاجون الى العيش والحياة، فيبيت المال يدر عليهم ارزاقهم، في صور رواتب رسمية او غير رسمية .. !

واما الصنف الثاني: وهم المحتاجون الى العمل، فالاسلام مسؤول عن ايجاد اعمال شريفة لهم، تليق بكرامتهم ، وتلائم قواهم الجسدية؟
واما الصنف الثالث: وهم المحتاجون الى اموال طائلة، لتوسيعة نطاق التجارة والاستيراد ..! فالاسلام فتح امامهم باب ...

القرض:

بكلتا مصراعيه! يستعرض الاموال المتختمة - في هذا الطريق - وحيث يحرص بعض النفوس علىبقاء اموالهم المتجمدة في مخادعها ..!
ونجد حرجا في انفاقها للقرهوض، ومشقة في تفتت ثرواتهم في ايدي الناس وفي الناس - ابدا - مماطلون وسلامبون ... ثم ليست التجارة مضمونة النجاح دائمـا، فربما تخسرـ الصـفـقةـ، او تـصـيـبـ السـلـعـةـ بـآـفـةـ سـمـاوـيـةـ، او اـرـضـيـةـ، ويـبـقـىـ صـاحـبـ المـالـ يـقـلـبـ كـفـيهـ عـلـىـ ماـ اـنـفـقـ فـيـهاـ، وـيـذـهـبـ الدـيـنـ هـبـاءـ !! لـذـكـ كـلـهـ يـرـىـ الـاغـنـيـاءـ: انـ الـافـضـلـ انـ يـبـقـواـ عـلـىـ اـمـوـالـهـ جـامـدـةـ: لـاـ يـرـهـبـونـ الـضـرـرـ وـلـاـ يـهـابـونـ الـخـسـرـانـ ... وـكـذـلـكـ يـقـلـ سـبـيلـ الـعـرـوفـ، وـتـبـخـرـ الـدـيـونـ فـيـ الـمـجـتمـعـ !
ولئن يطمئن الاسلام اصحاب المال من هذه الحوادث يتبادر: اولا: الى بيان ما في القرض من ثواب .. : حتى ان الملائكة لتصلي على المقرض ما دام ماله في القرض كما يقول النبي الراحل ﷺ :
«من اقرض مؤمنا قرضا ينظر به ميسوره، كان ماله في زكاة .. وكان هو في صلوة من الملائكة، حتى يؤديه...».

ويزيد الامام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ قائلًا: «القرض الواحد بثمانية عشر .. وان مات حسبتها من الزكاة !!».

الى حيث يبلغ القرآن .. فيعتبر من اقرض المسلمين فقد اقرض الله .. حيث يقول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنَا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ!؟﴾^(١).

فمن ذا الذي يرضي: ان يكدرس امواله ولا يقرضها المسلمين؟

وثانيا: يفرض الاسلام على المدين: ان يجتهد في قضاء دينه - تمكينا للثقة بين العباد - : (من اخذ اموال الناس يريد ادائها ادى الله عنه ! ومن اخذها يريد اتلافه اتلفه الله !!).

فمن يحاول اداء الدين يجد ويكتدح والمجد الصادق ينال هدفه - غالبا - اما الماطل: الذي استمرأ البطالة، والعيش على فضلات الناس !

فمن الطبيعي ان يسترخي همته ! وحتما لا يجد ما يقضى- به دينه ، الا في الاحوال الشاذة : التي لا تنفع الا للاحلام. والاسلام لم يكن يوما من الحالين !. ولا يعلق فرائضه على النواادر .. فالاسلام لا يعتبر هكذا رجل الا سارقا! ولقد قال الامام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ: «إِيمَانُ رَجُلٍ أَتَى رَجُلًا فَاسْتَقْرَضَ مِنْهُ مَالًا، وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ لَا يُؤْدِيهِ، فَذَلِكَ الْلَّصُونُ الْعَادِيُّ..».

واداء الدين مقدمة - في حكمۃ الاسلام - على سائر الحاجات ! وقد سئل (سماحة) جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ: الرجل منا عنده شيء يبتليغ به وعليه

دين !! أيعطمه عياله حتى يأتيه الله بميسرة... او يقبل الصدقة؟؟؟

فقال ﷺ : «يقضى ما عنده دينه ! ولا يأكل اموال الناس الا وعنه ما يؤدى
حقوقهم» !!

ان الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾ .. !.

اما اذا لم يستطع المدين من اداء دينه، او مات او قتل ، فالاسلام يتکفل قضاء
دينه ! و يقدر له حصة من الزكاة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ...
وَالْغَارِمِينَ...﴾ .^(١)

وكان رسول الله ﷺ يقول في خطبه: «... من ترك ضياعا فعلى ضياعه..!
ومن ترك دينا فعلى دينه» !.

هكذا الاسلام يعالج مشكلة الربا، وحاجة المجتمع الى المصادر : (البنوك)
ولكن الاسلام يحمي .
البنوك الاسلامية:

التي يودعها الناس اموالهم الفينة بعد الفينة، من الحين الى الحين، لتكون
اعتبارا لهم في الاسواق العالمية..! ولیأخذوا من اموالهم ما شاؤا ومتى شاؤا !؟؟
دون ان يكلفوا المحافظة عليها بأنفسهم..!

وفي نفس الوقت يقوم صاحب المصرف بالتجارة والاستيراد ! بهذه الاموال

(١) سورة التوبه: ٦٠ .

مع الاذن من اربابها..! وهذه منفعة لها مكانتها الاجتماعية! فيقتصر عليها
صاحب المال المصرف !

هكذا يقرر الاسلام البنوك ! اما بنوك اليوم فأنها اوتاد الراسمالية ولا يعرفها
الاسلام ابدا ..!

ب - المكاسب الحمراء:

و كذلك للاسلام فلسفة عامة: تعتبر الحد الفاصل بين المكاسب الفاجرة،
والمتاجر الشرعية المباحة، هي: ان الاجزاء بلا عمل ولا جزاء على الحرام
والواجب .. وعلى طبق هذا النظام نرسم ثلاثة نقاط ، مع محاولة التبسيط
والاختزال !

الجزاء بلا عمل

الغش:

يؤكد الاسلام في تحريميه ... ويفاتح الطريق الى انتزاعه عن المجتمع والغائه عن الاسواق، بجمل تؤلم العواطف والنفوس: (من غش الناس فليس بمسلم!)، «من غش فليس منا».

«..من غش غُش في ماله» «من غش نزع بركة رزقه، وضيق على معيشته، وكله الله الى نفسه..».

والغش من عوامل الراسمالية: الذي يمتص دماء الالوف من الشعب، دون ان يعمل شيئاً، او يضحي بشيء من قواه، انما سلطته الدهاء والخداع، ينشر فخاخه والناس يتسابقون اليها، باقدام لا همة متعطشه، ثم الغش يصيب النفوس، اكثر ما يضر بالمال، فمن غش يمقت الغاش! ولا تنسيه السنين... وهو ما ينم عن قذارة النفس، ودنائة الفطرة، وبيث على التباغض، فالتشاجر، فالتناحر على اللاشيء، وذلك ما يحاربه الاسلام بمجموعة رسالته، في صمود وانطلاق!.. وليس الغش باكثر من سرقة نظامية .. بيد انه اعمق جرحا، واسوء اثرا ..

السرقة:

التي هي اهم ما يكشف الانسان عن العمل..! فالرجل ما لم يؤمن بان مجھوده سيحفظ له لا يجد من نفسه رغبة ساحقة، على المثابرة والتجلد في سبيل الانتاج! لذلك يحرص الاسلام على حماية الحقوق بقسوة عادلة.. فيقطع يد السارق، عبرة للاخرين، واستنكار الثمرة على جهود الكادحين وكان في وسع السارق: ان يجتهد ويحصل على نفس الانتاج من الطرق المشروعه النظامية!
وفي السرقة اهدار للكرامات والدماء: فالسارق الذي يتسلق الجدران - في

سدف الظلام – لينهب مصفى اعمال السنين القاسية، لا يجد من نفسه حرجا في ان ينطعطف على اعراض الناس . منها ارخي له الموقف – وصاحب الدار سوف لا يقف مكتوف الايدي تجاه اعتدائاته القذرة .. ولا ينكشف النصال الا عن ساحق في الدماء !!

فالافضل ان يمنع الاسلام عن السرقة، ولو بقطع الايدي ... ويسريني: ان اسجل هاته النكتة التاريخية : ان الاسلام منع من السرقة، ولم يقطع الا است ايديي – في زمان طويل – .

٢ـ العزاء على الحرام:

فكرة الحرام:

لم يحرم الاسلام شيئاً من منابع الرزق الا واصراره الاجتماعية، تربو على منفعته الفردية .. وبمقتضىـ العدالة الاجتماعية، والتوازن الدقيق بين المفاسد والمنافع حرم الاتجار به.. !

والاسلام لم يكن يوماً من الطواغيت الجافة: التي لا تؤمن الا بأتجاهاتها وتسحق كل ما سواها...

فهو يعترف بما في المحرمات من لهو واغراء ! ولكن عندما يقاييسها بفجورها الفائض يحكم: بتحريمها. وهو واثق من عدالة حكمه ...

ويضع القرآن نفس الحجة امام الناس، ليطیعوه رغبة وطوعاً (يسئلونك عن الخمر والميسرـ .! قل فيهما اثم كبيرـ ! ومنافع للناس وأثمهما اكبر من نفعهما!).

الاكتساب بالحرام:

بهذه الحكمة الرائعة، حرم الاتجار بكل عمل محرم: يضر به غيره او يجلب تدهورا خلقيا او ماديا للمجتمع.

وبموجب هذا النظام يحرم: امتهان الخمر وسائر المسكرات . وتعاطى القمار والميسر . واوراق اليانصيب والبغاء والرقص والغناء والسحر وبيع كتب الضلال والوحوش والاحشرات والميّة والدم ولحم الخنزير والعذرة واجهزة الغناء وآلات القمار والمجسمات وحلق اللحى وكل محرم في الشريعة الاسلامية.

٣ـ الجزاء على الفرائض:

لا تعلق الواجبات:

لا يفرض الاسلام شيئا على المجتمع، ما لم تكن فيه مصلحة ملحة وهو يحاول عتق الرقاب من الالزامات والفرائض، اما وحيث علم ان هنالك اشياء لا بد منها في تنظيم الاجتماع واسعاد الناس فلا بد من ايجابها والعقوبة على تركها .. ولا بد من الاتيان بها طوعا: من دون اكراه واجور... ولا يغرق الاسلام في الاحلام . ولا يعلق الواجبات على النيات الحيرة، والتزعمات الدينية!!

فمن يضمن للاسلام ان يوجد دائما وفي كل مكان من يدفعون الاجرة ويستأجرون الناس للقيام بالضرورات: التي لو لاها يضطرب النظام؟ وهذا يحرم الجزاء على الفرائض !

سواء أكانت من الواجبات العينية التي تجب على كل فرد فرد ، باصل الشريعة الاسلامية، من امثال : الصلوة، الصيام، الحج ... ام من الواجبات

الكافائية: التي تسقط عن الجميع بقيام الفرد بها: كغسل الميت، وكفنه، ودفنه، ... ومنها:

الرشوة

فانها اجرة على بيان الحكم الواقعى للقاضى ! وتلك محمرة يعاقب عليها الاسلام .. فالقاضى يأخذ على وظيفته – من الرواتب المعينة او غير المعينة – ما يكفيه !

فليس له فوق ذلك الطمع ، في مال الناس لبيان حكم الله الواقعى !!
هذا اذا كانت الرشوة في اجراء اصل الاحكام الواقعية ! اما اذا اخذها الحاكم
على الحكم بالباطل ، فذلك كما قال رسول الله ﷺ «الراشى والمرتاشى كلامهما في
النار» .. ويتهى المقام بامير المؤمنين ع علیه السلام الى حيث يقول: «... وان اخذ هدية كان
غلواً، وان اخذ رشوة فهو شرك».

اما الرشوة التي تعطيها الافراد كل موضع قدم، على الاجازة والتوكيم
والمواقة، فهي اكبر ذنبنا واشد عقوبة ..
الاحتقار:

هو من عناصر الرأسمالية الفاجرة ... ويهاربه الاسلام منذ البداية حتى
النهاية..! واذا كان الناس عباد الله، ومنافع الارض مسخرة لهم، فما بال المحتكر
يوصد ابواب الرزق في وجوههم، ويكلفهم العنت والشقاء، كالاسد العبوس!
تتلطم خلفه البحار، وامامه الفيافي الظامنة، ترفع الشكاوى الى الله! .

ولقد كانت غضبة الاسلام على المحتكر عاصفة: لا تسمح له بالغفران حتى

قال النبي ﷺ : «إِنَّمَا اشترى طعاماً فجُبِسَهُ أربعين صباحاً، يريد به الغلاء لل-Muslimين. ثم باعه، وتصدق بثمنه، لم يكن كفارة لما صنع!»

ولقد قال الامام الصادق ع : «الحركة في الخصب اربعون يوماً، وفي الغلاء والشدة ثلاثة أيام ... فما زاد على الأربعين يوماً في الخصب، فصاحب ملعون ..! وما زاد في العشرة على ثلاثة أيام فملعون» ..!.

وعن النبي ﷺ عن جبرئيل قال: «اطلعت على الناس فرأيت وادياً في جهنم يغلي، فقلت: يا مالك لمن هذا؟ قال: لثلاثة: المحتكرين والمدمرين للخمر، والقوادين»!

هذا هو المحتكر: الذي يقفل الموارد العامة، ليسلط على الفقراء قسوته الخشنة، ويسرع لهم تسعيرًا جائراً: لا يعرف المروءة والضمير! وكان بعض المحتكرين - في الحرب العالمية الثانية - يغرقون السكر في البحر ويدفنون اطنان القند تحت التراب، او يحرقون القمح والشعير ... ليضخمو بذلك اموال الحرام..! عندما الناس كانوا يشربون الشاي مع التمر، ويتنازعون الخبز !! ولقد قرر الاسلام اکراه المحتكرين، على تعريض البضائع للبيع بالاثمان العادلة المرفهة!

وفي كتاب امير المؤمنين ع الى مالك الاشت - واليه على مصر - : «فاما من من الاحتقار ! فان رسول الله ﷺ منع منه. ولتكن البيع بيعاً سمحاً - في موازين عدل - : لا يجحف بالفريقين: البائع والمبتاع ! فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه، فنكل به، وعاقب في غير اسراف» !!.

وذهب بعض الفقهاء الى التسuir الاجباري على المحتكرين، متى اسرفوا في
الثمن !

الامتيازات:

ومن نوع الاحتكار البغيض، الامتيازات السائدة : التي يتولىها بعض التجار او الدول .. فلا حق لغيرهم: ان يشتري تلك السلعة من منابعها... ولا ان يشتري احد من سواهم ! فيشترون الخامات من المنتجين باثمان زهيدة ! ويبيعونها الى المستهلكين بأسعار غالبة ! ويتحتم على السلطات الحاكمة ان تحافظ هاته الحقوق المختلفة ..

من هنا تنشأ ثلاثة مشاكل: فساد الارض وما عليها، الفقر في جميع الطبقات الرأسمالية . الاستعمار ..

١ - اما الفقر.. فلأن المنتجين لتلك السلع لا بد لهم وان يبيعواها من صاحب الامتياز، بثمن بخس ضئيل: لا تسد حاجاتهم الاساسية..! والمستهلكون لا يحص لهم من شرائها من صاحب الامتياز فقط - دون المنتجين - بآى ثمن يقدر له ..! وسائر التجار لا حق لهم في معاطاة هذه الموارد: التي هي عمدة الانتاج والاستهلاك . الا باجازة موقتة من صاحب الامتياز، وتلك الاجازة تكلف اكثر من الربح .. وكذلك يخشى الفقر في الطبقات الثلاث : المنتجين ، المستهلكين ، التجار، وهم عامة الناس، فشاع الفقر !

٢ - واما الرأسمالية ... فلأن اصحاب الامتياز، يكرسون حياة الناس في ثروتهم الفاجرة ويمتصون دماء الشعوب للتوفير على خزاناتهم الموقرة بالفضة والنضار ! وتلك هي الرأسمالية الشائنة : التي يرزح تحت كابوسها

العالم المتحضر في قرن العشرين.

- واما الاستعمار .. فلأن المستهلكين لا يستطيعون من استهلاك مجموع الانتاج، مادامت الاسعار رفيعة: لا ينالها الجميع الا بقناعة مقترة ! فتبقى الشركات متخصمة بالخزائن ، والمعامل تخب في الفائض ولا نجد لها مصر فا !! فلا بد لاصحاب الشركات من ان تطلب لها مصارف، في غير بلادها وتبث عن اسواق جديدة : ترغب في بضائعها . فيكون التنافس على الاسواق .. وحيث ان اصحاب الامتيازات عملوا في سبيل ارتفاع الاسعار، لا لاجل اسفافها . فهم لا يرضون بالتجارة الحرة والتنافس فالدول الكبيرة تحاول: ان تحكر الدول الصغيرة، لتسورد الحاجات منها لا من غيرها .. ويكون بعد ذلك من التناطح على الاستغلال، الحروب الباردة ما تنتهي باطلاق الصواريخ، وانتشار القنابل، فالقضاء على البشر- المسكين .. وذلك هو الاستعمار...! هذا هو الاحتقار ! . وهذه نتائجه الثلاث : الفقر، الرأسمالية، الاستعمار...! فلا غرو اذا رأينا الاسلام يندد بالمحتكرين، تنديداً قاصفاً، وتعصف بهم غضباته النكراء، فلا تبقى ولا تذر.. ويصرخ النبي ﷺ في وجوههم «من احتكر طعاماً اربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه»!

من دخل في شيء من اسعار المسلمين كان حقا على الله: ان يقعده بعظام من النار يوم القيمة وليس من حكمة الاسلام ان يكتفى بالالفاظ والوعود، ثم يسبح في الاحلام وديع البال، دون ان ينزل في الميدان، ليعالج المشاكل عملياً ولهذا يضع - بعد ذلك كله - قانون :

الملكيّة العامة:

وهي : ان الاسلام لا يدع التجار يستأثرون بخيرات الارض ويحتكرون منابع الثروة العامة، وخلفهم الشعب يقاسم الالم والحرمان بل الموارد العامة جميعها ملك مشاع للجميع .. وقد قال النبي ﷺ : « المسلمين شركاء في ثلات: في الماء. والكلاء. والنار ». وفي خبر « الماء والملح والنار » ومن اختلاف الخبرين في تعداد المواد المشاعة نكشف ان النبي ﷺ لم يختصر شركة العامة، في تلك الثلاثة او الاربعة ! وانما كانت تلك موارد كلام النبي ﷺ لانها فقط كانت الحاجات الرئيسية، للبيئة العربية: التي ترعرع فيها الاسلام ..! كما يدلنا على ذلك ذكر (المسلمين) فقط في الحديث مع ان الناس جمیعا شركاء في هذه الثلاثة، او الاربعة بدليل: ان النبي ﷺ نفسه، وامير المؤمنين علیه السلام ، اباح الماء – وقد كان في حوزتها جيوش المخالفين ... فتلك حجة اشتراك الناس في الحاجات العامة ... حتى ولو كان النبي ﷺ اليوم لضم اليها: خيرات البحار والغابات. والجبال والفضاء. والكهرباء. والنفط. والغاز ...

الحمى:

ويوجب هذا النظام حرم الاسلام الحمى ! واصل الحمى: ان العرب اذا نزلوا منزلة مخربا، ارسل رئيسهم كلبا على ربوة من الارض، واستعواه فالى حيث يخدم صوته فهو حماه: لا يرعى فيه غيره، وهو يرعى في مرائع القوم !! وجاء الاسلام فاكتسحه فيما اكتسحه، من تقاليد الفراعنة، وسنتن الطواغيت ، وقال: « لا حمى الا الله ولرسوله ..».

فحوى رسول الله ﷺ (التفيق): - مروج على بعد عشر-ين فرسخا من

المدينة للخيل خيل المسلمين..!

ولقد كان هذا الناموس مقدسا، حتى ارتفى عثمان على فيصلة الحكم فحمل
نفسه دون ابل الصدقة، كما في (انساب) البلاذر: ٣٧١٥ . و (السيرة الحلبية):
٨٧١٢ .. والحكم بن ابي العاص ! كما في رواية الواقدي ..! ولبني امية كلهم !
كما في شرح (ابن ابي الحديد): ٦٧١١ حتى نقمت عليه هذه الفلتة .! وقالت
عائشة : انا عتبنا عليه ... وموضع الغمامه المحاجات ! .. هذا هو الاسلام ... وهذا
دستيره ... يمنع من اكل اموال الناس بالباطل.. ومن الجدير بنا ان لا نغفل :
ان الرأسالية لا تنشأ الا في هذه المراحل السالفة.

برامج العمل

والاسلام يجري على فكرته السابقة، في تحقيق مناهج الاتساع فالمال انا هو الله .. ثم للجماعة بواسطه الافراد ومصلحة الفرد محفوظة في نطاق مصلحة الاجتماع !

اما اذا اختل صالح الفرد بواسطه الجنون او السفه او الافلان - وهو ان يكون ديونه اكثر من نقوده - فليس له التصرف في امواله، ولكن الحاكم ينصب له ولية يقوم بمصالحه !

فالملكية ليست ناشئة عن طبائع الاشياء! وانما تثبت باذن من الشارع، من اسباب معينة يجمعها : العمل الحلال .. ! ويفصلها:

١- الصيد:

سواء كان صيد البر والفضاء، من الحيوان والطير ... ام صيد البحر والنهر .. من الالائء والمرجان والاسفنج ... كما يقرر القرآن الحكيم:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسيَّارَةِ وَحُرُّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ
مَا ذُمِّمْتُمْ حُرُّمًا﴾^(١).

﴿... وَإِذَا حَلَّتُمْ فَاصْطادُوا...﴾^(٢). ﴿يَسْأَلُونَكَ مَا ذَا أُحِلَّ لُهُمْ قُلْ أُحِلَّ
لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَمْتُمْ مِنَ الْجُوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلَّمُونَهُنَّ إِمَّا عَلَمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُّوا إِمَّا

(١) المائدة: ٩٦.

(٢) المائدة: ٢.

أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَإِذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ﴿١﴾ !

والصيد هو الوسيلة البدائية في حياة البشر... ولكنها لا تزال من الموارد
الضخمة للدول والافراد !

٢- احياء الموات:

من القفار التي لم يسبق اليها مالك... او سبق ثم اعرض... حتى صارت
مواتا، لقول النبي الاعظم ﷺ : «عادى الارض الله ولرسوله، ثم لكم من بعد ...
فمن احيا ارضا ميتة فهى له.. ! وليس لمحجر حق ابداً ثلاث سنوات». «من سبق
الى مالم يسبق اليه مسلم فهو احق به».

اما القانون الفرنسي الذي يقرر (ان من وضع يده على الموات لمدة خمسة عشرة
سنة تصبح الارض ملكا له، سواء احياناها ام تركها مواتا...) فهو مخالف لحكمة
احياء الموات، لأن في وسم تجاري النفوس: ان يضعوا اصابعهم على جميع
الاراضي.. ويبقى الفقير يطالب شبرا من الارض لوضع قبره، ولا يجده!

٣- استخراج المعادن والركاز:

من بطون الارض والاوedio، والآجام... ولا فرق بين ان يكون من الموارد
العامة: كالبترول الحديد النيكل . الفحم . الزجاج . البلور. الذهب . الفضة .
الرصاص الفاوفون الصفر الكبريت او كان من غير الحاجات العامة : من المعادن
القليلة : كتلة من الذهب الفضة الدر الياقوت الزبرجد الفيروز ج الالماس ..
وكل ما يستخرج من طبقات الارض في الحفريات ..

ويلحق بهذا كل ما يخرج من الماء : الاملاح الماء الثقيل ... او يتصدى من الهواء الاوكسجين الايدروجين الغازات الخانقة والباكية ... او تجلب من الشمس : الطاقة الذرية الضياء التي تشربها الاحجار الكريمة والمواشير.

٤-المضاربة:

هي: ان يشترك اثنان في تجارة .. ويكون من احدهما المال، ومن الآخر اليد .. ثم ليوزع الربح بينهما على حسب ما يتراضيان عليه، وتوحيه الظروف القائمة اندماك .. كالثالث، او النصف او الثالث او ازيد او اقل وقد حرض الاسلام على هذا النوع من الشركة - تشغيلا للاموال الجامدة والايدي العاطلة - واكد على محفظة الامانة، والرفق واللين، وتجنب الخيانة. فقال النبي الاعظم ﷺ: «يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا».

(يقول الله تعالى: انا ثالث الشر-يكين ما لم يخن احدهما صاحبه ! فان خان احدهما صاحبه خرجت من بينهما).

٥-الزراعة والمساقات:

هي: ان يستأجر صاحب البستان او المزرعة عاملها، يقوم بجميع الخدمات الالزمة للزراعة او الشجر ويدفع المالك : البذر والبقر وسائر الحاجات ... ثم يكون الثمر او الحصيل مشاعا بينهما ... على حسب ما اتفقا عليه : ربعا. ثلثا . نصفا ..!

٦-العمل باجر:

ومن المرابح الشرعية : ان يعمل الانسان لغير - العمل الحلال - ويستقضى بذلك اجرة معينة ... ولا فرق في ذلك بين الوظائف المستمرة : كعمال المصانع والمطابع والمناجم .. والمقطعة: كالاستخدامات اليومية الموقفة .. ! ويشترط في

صحة الاجارة – ان تكون مدة العمل ومقدار الانتاج . والاجرة معلومة من ابتداء التباني ...

وهنا يتقدم الاسلام – لمنع الخصام بين الاجر و المستأجر – فيضم نقطتين:

١ - ان يوفر العامل لنشاطه ، ويستفرغ جهوده مدة العمل، بدقة واتقان، وليسبق فرصة العمل، ويتهى بعد انتهائها .. وبدأب في برنامجه المرسوم دون تله بالمهازل والمغريات، والقصص والاساطير او ابداء الكسل والضجر ... وذلك ما يكرهه الاسلام، ويعد عليه الفقر والذلة – في الدنيا والآخرة – يقول الامام الباقر ع : «ان اكره للرجل ان يكون كسانا عن امر دنياه . ومن كسل عن امر دنياه فهو عن امر اخرته اكسل». ولقد قال امير المؤمنين ع : «ان الاشياء لما ازدواجت ازدواج الكسل والعجز، فنتجا بينهما الفقر...».

ب - الاهتمام بشأن الاجر فلا تضيع اجرته ! يقول النبي العادل ﷺ : «قال الله عز وجل: ثلاثة انا خصمهم يوم القيمة... ورجل استأجر اجيرا، فاستوفى منه ولم يعطه اجره». ولا يكتفى الاسلام باداء الاجر كاما، حتى يأمر بادائه عاجلا، ويسارع في التعجيل، حتى يقولنبي الحياة: «اعطوا الاجر حقه قبل ان يجف عرقه» فالاجر يحتاج الى المال و يحتاج الى تقدير عمله .. وفي حصول الاجرة قبل ان يجف عرقه شعور بتقديس العامل، وحرص على كرامته.

والاسلام بتلك التعاليم الانسانية، استنفد طاقات العمال برغبة نادرة مع المحافظة الكاملة على حقوق الكادحين وارباب العمل.

٧ - اهدايا واهبات:

التي يتعاطاها الافراد.. دون عوض من جهد او مال..! وذلك ان الاسلام احب بـ (انتظام التكافل الاجتماعي): ان يسد الترحة بين الطبقات... فحسب الى المسلمين: ان ينفقوا فضل اموالهم، وان لم يكن بالجانب الاخر فقر واملاق.. وفي ذلك يقول الامام الصادق ع: «لا يكمل ايها العبد حتى يكون فيه اربع خصال... ويخرج الفضل من ماله» وهذا ليس من الزكوة ولا من سائر الحقوق الشرعية، انه كما يقول ابو عبد الله ع: «...ولكن الله عز وجل فرض في اموال الاغنياء حقوقا غير الزكاة..! فقال عز وجل: والذين في اموالهم حق معلوم فالحق المعلوم غير الزكاة.. وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه، في ماله يجب عليه ان يفرضه بقدر طاقته، وسعة ماله فيؤدي الذي فرض على نفسه! ان شاء في كل يوم، وانشاء في كل جمعة، وانشاء في كل شهر ...).

وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ...﴾ اهـ سوى الزكاة..؟

فقال عليه السلام: «هو الرجل يؤتى الله الثروة من المال، فيخرج منه الالف والالفين والثلاثة الاف، والاقل والاكثر، فيصل به رحمه، ويحمل به الكل عن قومه..»

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«ومن منع الماعون من جاره اذا احتاج اليه، منعه الله فضله يوم القيمة، ووكله الى نفسه ، ومن وكله الله الى نفسه هلك ، ولا يقبل الله له عذراً» ...

ولا يعتبر الاسلام: ان تكون من افضل ما تترzin به الاسواق .. حتى يكف الناس عنها بحجة . انهم لا يجدون الافضل ! فتنقطع هاته الصلة بينهم . ولكن ينص على: ان الهبة مهما كانت بخسة ضئيلة، فهى عند الله مقدرة -ليس المقصود منها التكافل والتحابب؟؟ - ويبالغ النبي ﷺ في ذلك حتى يقول:
«انقوا النار ولو بشق تمرة» فحتى هذا هدية تعصم من النار!

هذه... هي موارد الرزق : الاولية البدائية.. والطبقات: التي تتبادل هاته الاعمال، هي التي تستخرج الشعب، والشعب كله عالة عليها اما حقاً او باطلاً ...

وبعد ذلك يأتي دور التجارات. وقطائع السلطان وغنائم الحروب والصدقات والحقوق الشرعية والارث... وننفل الان الثلاثة الاول لخروجها عن نطاق البحث... ونستغني عنها بالثلاثة الاخيرة .. فاما

٥ - الصدقات:

مهمة الصدقات:

يجعلها الإسلام كرصيد للفقراء ، والحالات الشاذة، والحوائج الواقية الملحة التي ليس على ولي الأمر معالجتها ..!، وفيما اذا كانت الدولة الإسلامية مضطربة: لا تستطيع من الثروات: توزيعاً دقيقاً لا يشذ عنه احد.

اولم تشمل الزكاة جميع الفقراء للجدب والمحل .. فهناك الصدقات تقوم بمهمة مقدسة: هي امداد حياة المبتلين، واسعاف المرضى والمستضعفين حتى تنصرم الازمات، ويسود الأمن والرخاء... .

غضب وتشكر:

لمثل هذه المحاجج الصارمة، يطالب الاسلام بالصدقات كالواجب اما اذا استأثر المترفون، ولم يؤدوا الصدقات فيبعث الاسلام قوارعه اللاذعة ﴿كَلَّا بْلَ لا تُنْكِرُ مِنَ الْيَتَيمَ * وَلَا تَحْاضُرُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ الرِّثَاثَ أَكْلًا لَّا * وَتُحْبِبُونَ الْمَالَ حُبًّا بَحْبًا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًا دَكًا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمُلْكُ صَفًا صَفًا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَآتَى لَهُ الذِّكْرِي * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَايِي﴾^(١).

.. فكلمات النفي مع التأكيد. كلا. كلا. تصور للانسان: من ينتفض غيضا، ويتميز زئرا... والنبرات الغضوبية القوية، والمقاطع المشددة لما. جما... والالفاظ الرهيبة المتكررة: دكت. دكا دكا. صفا، صفا، تبرز عتاب الاسلام القاسي على المترفين - بجانب الایتمام والمساكين - وتصور: كان من احتمم غيضا، جعل يزجر وتصطرك اسنانه فتقطع الكلمات، او كأنها انطلاقات الرصاص والمدافع، يتلو بعضها ببعض. وفي نفس الموقف - وبذلك الوزن والقافية والنبرات - ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَيمَ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيَنَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاوِنَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٢).

(1) الفجر: ٢٤-١٧.

(2) الماعون: ١-٧.

ويقول النبي العظيم ﷺ : «... فَمَا آمَنَ بِي مِنْ بَنِتٍ شَبَّعَانَ وَجَارِهِ الْمُسْلِمِ جَائِمٌ».

هذه من مشاهد المسرفين: الذين لم يرحموا الفقراء ولم ينقذوهم من الكوارث، كلها: جهنم. وكذب. وبراءة. ودك. وتأسف. ودع.. أما من رحم .. فسوف ننظر اليهم في القرآن: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِرَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجَّرُ وَنَهَا تَفْحِيرًا * يُوْفُونَ بِالنَّدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبْهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(١): الكلمة: ابرار. وشراب. وكأس مزاج. وكافور. وعباد الله. ووفاء وحب وجه الله ...

هكذا الاسلام يغضب لظاهر الجوع والحرمان ويشكك الراحين المقيمين

لحدود الله ...

حكمة الصدقات :

اما حكمة الصدقات في غير المواقف الحرجة:

١ - ان الفقراء بطبيعتهم حاقدون على الاغنياء، حيث يرون المال الوفير بين ايديهم .. وهم في شطف وتقشف: ليس لهم ما يتقوتون به من الخبر الرخيص .. وتلك عقدة تشتعل وتلتمس منفذًا لتفجير، ولا تحمد لها مياه البحار .. وقد صدق (ابوذر) حيث قال: عجبت للفقراء كيف لا يخرجون بسيوفهم على الاغنياء.. !؟ - وفي نظر الفقراء إن الاغنياء مجرمون،

وأموالهم من الحرام ! – وان كان اموالهم من الحلال – والفقير يطلب الخبز ! ولا يعرف المنطق والدليل ، بل ولا يعرف الله ، في بعض الاوقات، كما قال امير المؤمنين ع : «ما دخل الفقر بلدا الا قال له الكفر خذني معك ». «... من ابتلى بالفقر فقد ابتلى باربع خصال. والرقة في دينه، وقلة الحياة في وجهه» وقال النبي ﷺ : «كاد الفقر ان يكون كفرا» ولكن الصدقات وحدها هي التي تحمد ثورة الفقراء ... فالدينار الواحد يكتسح غيط الفقر الى اجل غير معلوم ويجعل بين الغنى والفقير نوعا من الالفة والوداد ..
بعدما كان الفقر يتربص بالغنى الدوائر .

٢- تقريب مستوى معيشة الفقراء والأغنياء ، والحرص على التوازن الاجتماعي بقدر الإمكان. ! فالحقوق الشرعية لا تجعل الفقراء في منازل الأغنياء ! وان كانت تنتشلهم من الجوع والآلم والموت .. ولكن الصدقات تقرب الطبقات .. فاذا جلس الفقر على مائدة الغنى، يشعر بنوع من المساواة، واذا لبس من لباسه بين الحين والحين، ونال من نقوده: التي لم يرها من قبل، فان المساواة الى حد ما قد حصلت !

فان الصدقات- في عرف الاسلام - ليست كما يتعاطاها البعض ويتصوره الاخرون.. فكلما سمعوا بالصدقة احضر-وا في خيالهم : صورة يد عليا هي المعطية، ويد سفلی هي السائلة.. ووجه الفقر في حالة من العرق والحياة، ووجه الغنى يعلوه الشموخ والكبرياء!

وبالعكس من ذلك ، فالاسلام يحب صدقة السر.. وصدقة الليل وان يأخذ الغني الصدقة بانامله، ويجعل كفه تحت يد الفقر، حتى تكون يد الفقر هي

العليا ويد الغنى هي السفلی .. ثم يعطى الاموال الضخمة وقد تصدق ابو عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمَ باربعين دينارا ، ولم يكن عنده سواه ، واخرج الامام الرضا يده من اعلى الباب ، واعطى ابن السبيل مائتى دينار فسئل عن ذلك ، فقال : «مخافة ان ارى ذل السؤال في وجهه»! . وكان يفرق جميع امواله - في خراسان - كل يوم عرفة ... والمثل العليا لنا في الاسلام من هذا النوع كثيرة ، نرجئها لفرصة اخرى .

٣ - ارتفاع نفسية الغنى ، او شعوره بأنه قوة فعالة في حفظ امان المجتمع .

يقول علم النفس : ان اساس الصحة العقلية في اشتراك الانسان في النشاط الاجتماعي ، وشعوره بأنه يؤدي نفعا لمجتمعه ، وبينى له الاسس الصالحة في سبيل انقاذه من براثن الفقر ، والذلة والسقوط .

٤ - ان الصدقات التطوعية تجعل الانسان يتحلل من عبادة المال وسيطرته الغاشمة التي تؤدي بالانسان الى الانتحار حينا ، والى المرض احيانا .

٥ - ما في الصدقات من الاثار الخارجية : من دفع الفقر ، والمرض والموت ... كما في الخبر : «اذا املقتم فتاجروا بالصدقة». «دواوا مرضاكم بالصدقة» «ان الصدقة بالليل تدفع ميتة السوء ، وتدفع سبعين نوعا من البلاء».

«ان الصدقة تطفى غضب رب». «ان الله .. يدفع بالصدقة الداء . والوبيلة والحرق والغرق والهدم والجحون»، «باكروا بالصدقة ! فان البلاء لا يتخطاها». «يستحب للمريض : ان يعطي السائل بيده ، ويأمره ان يدعوه له».

منابع ثروة بيت المال :

موارد بيت مال المسلمين ستة : الزكاة ، الخمس .. ، الجزية الانفال ، الخراج ، المقاسمة .

الزكاة

صلاة وزكاة:

الزكاة أولى ضرائب الإسلام ، والركن البارز في المجالات الاقتصادية، وليس ضريبة نظامية فحسب ، بل إنها عبادة وضريبة – في وقت واحد –
ليست ركناً عبادياً من الأركان العشرة للإسلام. ؟ وكلما ورد الأمر بالصلاحة –
في القرآن – اتبعتها الزكاة؟ (اقيموا الصلاة واتوا الزكاة) (و ما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة ذلك هو الدين القائم
!) . (قد افلح المؤمنون : الذين هم في صلاتهم خاشعون – والذين هم عن
اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون . !!)

ويرتفع النبي (ص) في قيمة الزكوة العبادية حتى يقول: (زكوا اموالكم قبل
صلاتكم)

فالزكوة في آن واحد طهارة للنفس، ونماء للمال ، ولذلك سميت بـ (الزكوة)
التي هي الطهارة والنماء.

حدود الزكوة:

والزكوة فكرة كريمة سبق إليها الإسلام، فهو:
أولاً: يجبيها من الأموال المتضخمة ، أو الجامدة ، ويفسّر النقود السائلة
والفقراء . ولن يست كالضرائب الدولية التي تتحمل منها الفقراء أكثر من الأغنياء
أو كلاماً على حد سواء .

وثانياً: يعتبرها الإسلام حقاً لا صدقة ، فليس فيها ما يخدش كرامة الفقير ،
أو يلشم عزته .

وثالثاً: يحبها الإسلام بنفسه ، ثم يعيد توزيعها على المرافق المرسومة لها ، ولا
يدع الفقراء يستقاضونها من الأغنياء ، لتحول تفضلاً وإحساناً من المعطين ،
وخسّة ودناءة من الآخذين !!

موارد الزكاة:

تفرض الزكاة على تسعه أشياء ، هي منابع الثروة الأولية في الحياة: الذهب
الفضة القمح الشعير التمر الرزيب الابل البقر الغنم .. ويعتبر في جميعها بلوغ
النصاب ، حتى لو كانت اقل منه فهي معفوة من الزكاة ..

اما الذهب فنصابه الاول ١٥ مثقالاً صير فيها . والفضة نصابها الاول ١٠٥
مثاقيل صير فيه وليس في الزينة زكاة . ! ونصاب الغلات الأربع ثمان وزنات
وخمس حق ونصف تقريراً .. وكذلك النصاب الاول في الابل ٥ . وفي البقر
٣٠ وفي الغنم ٤٠ .

وستسحب الزكاة في مال التجارة! وحاصل العقار المتخذ للنماء وكلما يكال او
يوزن مما تنبتة الأرض ...

من ذلك يظهر - بوضوح - ان الإسلام لا يعمل في سبيل جبائية الاموال،
وانما يحاول تحطيم الرأسالية، ومكافحة الفقر فحسب..!

مقدار الزكاة:

ليست الزكاة كالضرائب القانونية: التي تختلف على حسب فهم الحكماء واهوائهم الطائشة، ولكنها حق معلوم : يفرض بسبب اختلاف مواردها .. وتتراوح بين اثنين ونصف بالمائة وعشرة بالمائة.

مصارف الزكاة:

يعدها القرآن بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(١).

أ- الفقراء: الذين لا يملكون قوت سنتهم بالفعل، وليس لديهم حرفة تنهض بواجباتهم في الحياة... فالاسلام يكمل من الزكاة حاجاتهم الاصلية!

ب- المساكين.. وهم المرضى والشيخوخ الناقهون، والاطفال : الذين لم يرشدوا من بعد، ولا يجدون حيلة ولا يكفلهم وال، حتى لو تركهم وحالتهم المرثية، لأن التجئوا الى السؤال.. او قضى عليهم الفقر والمرض..!

ج - العاملين على الزكاة من المؤمنين: الذين يضخون باوقاتهم واموالهم، سعيًا وراء الزكاة... فهم يقتضون رواتبهم تبعاً لوظائفهم المقررة !

د- المؤلفة قلوبهم .. من الكفار: الذين هم حديثو عهد بالاسلام، ولم يستوعبوا مبادئه الروحية، وافكاره السامية ... والمادية الجامحة تسسيطر على مشاعرهم .. فان اعطوا منها رضوا، وان لم يعطوا منها اذاجهم يسخطون ..

هـ - في الرقاب .. من الرقيق المسلم : الذي يبادر الاسلام الى فك اسارة .
و - الغارمين : الذين استغرقت الديون ثرواتهم، وفاضت تطغى على
رقابهم... ولم ياخذوا الديون لينفقوها تبذيرا او فجورا ولا يجدون الان
متجرأ يستثرونهما على سداد ديونهم، لشلل في الاعصاب او التفكير..
فيسارع الاسلام الى فك رقابهم .. حرصا على اموال الدائن وكرامة
المديون !

ز - في سبيل الله .. من بناء المدارس، والمساجد، والمستشفيات،
والثكنات، والجسور... وسائر المصالح العامة، مما تتحقق به شتى الخدمات
الاجتماعية، حسب ما يراه الامام وفق نداءات الظروف والبيئات.

ح - ابن السبيل .. المنقطع عن ماله واهله ... كالمهاجرين من الحروب،
والغاريات، والاضطهاد .

ومتى فقد بعض هذه المصارف توفر حصتها على الباقي ومجموع هذه
الابواب كافل بتمويل شتى مراقب العوز، وتأمين الضمان الاجتماعي الكافل.

الزكاة كفاية:

ثم ان في الزكاة - وحدتها - كفاية لسد الحاجات الاساسية للمعوزين فان
عوامل الفقر ليس الا المرض، والعجز لصغر او كبر، والسفر والدين الباهر ،
فالفقراء الذين لا يملكون معالجة فقرهم الا بحسب الاموال عليهم حتى يذوب
عامل فقرهم، ليسوا الا اربعة : المرضى، العجزة، ابناء السبيل، الغارمون اما غير
هؤلاء فمن الممكن مكافحة فقرهم بتوفير العمل لهم.

وأولئك الفقراء الذين لا يبرؤن من الفقر الا بحسب الحياة في شرائينهم، حتى تبرؤا من المرض، او يكبروا، او يموتو، او يرجعوا الى اوطانهم، او يدفع الدين عنهم، لا يؤلفون الا اقلية ضئيلة، لا يكون منسوبهم الى مجموع المجتمع الا منسوبا ضعيفا، والكمية المحددة من الزكاة، في الاجناس المعينة من الاموال، نسبة كبيرة بالقياس الى عدد الفقراء، فيمكن اعالة الفقراء جميعا - لا بمجموع الزكاة - بل ب ٤ من ٨ من الزكاة ويبقى ٤ من ٨ من الزكاة لسد الحاجات العامة لذلك ورد عن الامام الصادق عليه السلام:

«... ان فرض للفقراء في مال الاغنياء ما يسعهم، ولو علم: ان ذلك لا يسعهم لزادهم».

وعنه عليه السلام: «... ولو ان الناس ادوا زكاة اموالهم ما بقى مسلم فقيرا محتاجا، ولا تستغني بها فرضه الله له، وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا الا بذنب الاغنياء...».

فالزكاة - وحدها - تكفى لاعالة الفقراء، وتفيض عن حاجاتهم الاساسية، وعلى هذا الضوء تقرر الاية الكريمة مصارف اخرى للزكاة:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيل﴾^(١).

وقد صدق التاريخ ذلك، حيث كانوا يطوفون بالزكاة في الشوارع ولم يكن في المسلمين فقيراً يقبل الزكاة، فكانت تصب في بيت المال، لل توفير على المصالح العامة ...

وربما تلتهم الكوارث الشادة جميع حصص الزكاة على اثر اصابات المسلمين بالزلزال والفيضانات ...

ولكنها حالات شادة، وفي اكثر الاحيان لا يستطيع الفقراء ان يستهلكوا الا نسبة محدودة من الزكاة .

زكوات مسنونة:

ولكن الاسلام حيث يحرص على صيانة الفقراء ، من مختلف النوازل الفجائية، يقرر على الاموال الطاغية زكوات مسنوبة: للاغنياء ان يدفعوها او لا يدفعوها، كي تكون ضماناً لل حاجات الاحتياطية، والشعب - على كل حال - لا يخسر. هذه الزكوات لانها ان اتفقت والحالات المجدية، كانت خير سلاح لمحاربة الكوارث، وان رافقت حالات الرخاء ارصد مقابلتها من الزكاة الواجبة لل حاجات العامة . ونحن نقتصر من الزكوات المنسوبة على ما يأتي:

١ - يستحب الزكاة فيما سوى الغلات الاربع (الخطة، الشعير، التمر، الزبيب) من الحبوب كالسمسم، والارز، والدخن، والحمص، والعدس، ... فعن

ابي عبد الله الصادق ع

«الذرة، والعدس، والسلت، والحبوب، فيها مثل ما في الخنطة والشعير، وكل ما كيل بالصاع فبلغ الاوساق - التي تجب فيها الزكاة - فعليه الزكاة».»

٢ - يؤكد اخراج الزكاة عن مال التجارة، اذا اشتري مたاعا فادخره بغية الفضل حتى دارت عليه السنة، فعندئذ يستحب لدفع زكاته، وذلك غير الخمس الملزم في مال التجارة عندما يحول الحول . فعن ابي الريبع الشامي عن ابي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُونِيَّةُ : «في رجل اشتري متابعا فكسد عليه متاعه - وقد كان زكي ماله قبل ان يشتري به - هل عليه زكاة؟ او حتى يبيعه؟ فقال عَلَيْهِ الْكَلَمُونِيَّةُ : «ان كان امسكه التهاس الفضل على راس المال فعليه الزكاة». .

وعن الامام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُونِيَّةُ : «ما كان من تجارة في يدك ، فيها فضل ، ليس يمنعك من بيعها الا لتزداد فضلا على فضلك ، فزكه ..». . وبهذا المعنى روایات جمة .

٣ - ويستحب اعطاء الزكاة عن الخيل الاناث السائمة طوال الحول، عن كل فرس عتيق دينارين ، وعن كل برذون دينارا، كل عام اما في سائر الحيوانات المسخرة فلا يستحب الزكاة ... كل ذلك عدى الانعام الثلاثة : (الغنم، الابل، البقر) التي تجب فيها الزكاة . صدقات شتى :

ولا ينسى الإسلام عواطف الفقراء ، فهي لا تختلف عن عواطف الأغنياء ، وربما كانت أشواق الفقراء أرهف وانبض من إحساسات الثري الكسول ، فكما إن الأغنياء يوفرون على أنفسهم وعلى أولادهم في الأعياد ، كذلك الإسلام يرفه عن الفقراء وأطفالهم في الأعياد ، ففي عيد الفطر يأمر بزكوة الفطرة تخرج إلى الفقراء ، وفي عيد الأضحى تكون القرابين نصيب الفقراء ، وفي سائر الأيام

يتناولون من كفارات (إفطار الصوم)، و(حنت النذر والعهد واليمين)، و(كفارات الحج)، وغيرها ما يغيرون به سير حياتهم البطيء.

حق يوم الحساب:

وعندما ينهمك الزراع في الحصاد، وال فلاحون في جز النخيل، يحضر-هم الفقير والمسكين، لأنهما يبصران بنعمة موفورة، خوها الله لبعض عباده، وأثره عليها، فيحضر-ان ويتبسط ان اكف السؤال، فمن حقهم على اصحاب الزرع والنخل ان يعطيهما الحفنة بعد الحفنة، من البيادر، والضغط بعد الضغط من التمر، حتى يفرغوا من الجز والحداد.

فعن الامام الصادق علیه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِه﴾^(١) ، قال: «تعطي المساكين الذين يحضر-ونك تأخذ بيده القبضة بعد القبضة حتى تفرغ». وعن الخلبي عن الامام الصادق علیه السلام قال سئلته عن قوله تعالى: وآتو حقه يوم حصاده ... قال: «تقبض بيده الضغط فتعطيه المسكين ثم المسكين حتى تفرغ، وعند الصرام الحفنة ثم الحفنة حتى يفرغ منه».

ويشتد كراهة رد السائل الاول والثاني والثالث، بل يستحب اعطائهم، ثم الفقراء الذين يفدون بعد هؤلاء للانسان ان يمنحهم او يردهم، كما عن مصادف قال: كنت مع ابي عبد الله علیه السلام في ارض له وهو يصر-مون، ف جاء سائل يسئل، فقلت يرزقك الله فقال علیه السلام: (مه! ليس ذلك لكم حتى تعطوا ثلاثة، فاذا اعطيتم ثلاثة، فان اعطيتكم فلكم وان امسكتم فلكلم).

(١) الأنعام: ١٤١ .

ويكره الاسراف في الاعطاء عند الحصاد والجذاذ، بل يلزم التوازن في الاعطاء والامساك، فعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر علیه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرُفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ قال علیه السلام: «كان فلان بن فلان الانصاري ... كان له حرث وكان اذا جده تصدق به، وبقى هو وعياله بغير شيء، فجعل الله ذلك سرفا».

وحيث كان بعض الناس يحتالون للبخل على السائل، وعدم رده، بالحصاد ليلاً، على حين غفوة من السؤال، حتى اذا جاءوا مبكراً وجدوا البيادر المعيبة، او آثار الحصاد المبيت سراً، ورد النهى عن ذلك كما عن ابي بصير عن الامام الصادق علیه السلام قال: «لا تصرم بالليل ولا تحصد بالليل، ولا تضج بالليل ولا تبذر بالليل، فانك ان فعلت ذلك لم يأتك القانع والمعتر، فقلت ما القانع والمعتر؟ فقال: القانع الذي يقنع بها اعطيته، والمعتر الذي يمر بك ويسئلك، وان حصدت بالليل لم يأتك السؤال، وهي قول الله عز وجل : وآتو حقه يوم حصادة، يعني القبضة بعد القبضة، اذا حصدته، فاذا خرج فالحفنة بعد الحفنة، وكذلك عند الصرام ، وكذلك البذر لا تبذر بالليل ، لانك تعطى في البذر كما تعطى في الحصاد».

حق معلوم:

وهناك حقوق اخرى في الاموال عدى تلك، اكد الاسلام على استحبابها فلنستمع الى الامام الصادق علیه السلام وهو يفصلها ويرسم حدودها: «..ولكن الله عز وجل فرض في اموال الأغنياء حقوقا غير الزكاة، فقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ

أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ» فالحق المعلوم غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله فيؤدي الذي فرض على نفسه إن شاء في كل يوم، وإن شاء في كل جمعة، وإن شاء في كل شهر وقد قال الله عزوجل أيضاً «أَفَرْضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» وهذا غير الزكاة وقد قال الله عزوجل أيضاً ... يُنْفِقُونَ إِمَارَزَقْنَاهُمْ سِرًّا أَوْ عَلَانِيَةً» والماعون أيضاً هم القرض يفرضه والمتساع يعيده، والمعروف يصنعه، وما فرض الله عزوجل أيضاً في المال من غير الزكاة قوله عزوجل: «الَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ»، ومن أدى ما فرض الله عليه فقد قضى ماعليه وأدى شكر ما أنعم الله عليه في ماله ... فهذه الفرائض كلها تخرج من الأموال المتخصمة، لتنشر في المجتمع، فتتشمل المدقعين من المساقط الرهيبة، وتتوثق الاواصر والوشائج بين الفقير والغني، ويأخذ من حدة الصراع الدائب بينهما ولذلك كله لم يقرر الاسلام لها حدوداً معينة، وإنما فوض تحديدها إلى اصحاب رؤوس الأموال لأنها لم توضع لتسد فراغاً ابدياً في المجتمع، وإنما قررت لسد الحاجات الاحتياطية، ولتخفيض التوتر والمحروب الباردة، فربما يتطلب الوضع السائد المبالغة فيها، كما قد تستغنى الحالة الراهنة إلا عن القليل منها، فليس لها حدوداً إلا ما تلهمها الظروف، وتنادها الظروف والملابسات الخاصة كل يوم، حسب ما تقررها العوامل والدوافع الموجودة ...

هكذا نجد الشعري يؤكد على توجيه المجتمع نحو الفكرة ذاتها، وينص على عدم حدود مرسومة، وإنما يكتفى بالأشعار عنها، لينبه على أن الاسلام يحذى بتبادل العلاقات الودية بين الأفراد، كما نجد هذا الطابع باديا على لهجة الامام

زين العابدين عَلَيْهِ الْكَلَمُ فَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ الْكَلَمُ : «إِنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى عَلَى بْنِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَالَّذِينَ فِي آمَوَاهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمُحْرُومٌ﴾ مَا هَذَا الْحَقُّ؟

فَقَالَ لَهُ عَلَى بْنُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ : الْحَقُّ الْمَعْلُومُ الشَّيْءُ يُخْرِجُهُ مِنْ مَالِهِ لَيْسَ مِنْ الزَّكَاةِ وَلَا مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَفْرُوضَتَيْنِ قَالَ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الزَّكَاةِ وَلَا مِنَ الصَّدَقَةِ فَمَا هُوَ؟

فَقَالَ : هُوَ الشَّيْءُ يُخْرِجُهُ الرَّجُلُ مِنْ مَالِهِ إِنْ شَاءَ أَكْثَرُ وَإِنْ شَاءَ أَقْلَى عَلَى قَدْرِ مَا يَمْلِكُ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : فَمَا يَصْنَعُ بِهِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ : يَصْلُبُ بِهِ رَحْمًا وَيَقْرِي بِهِ ضِيفًا وَيَقْوِي بِهِ ضَعِيفًا وَيَحْمِلُ بِهِ كَلًا وَيَصْلُبُ بِهِ أَخَاً لَهُ فِي اللَّهِ أَوْلَانِيَّةَ تَنْوِيهَ...» .

فَالْحَقُّ الْمَعْلُومُ فِي الْأَمْوَالِ الْفَائِضَةِ يُلْزِمُ أَنْ يَعْرِلَ جَانِبًاً لِمَكَافحةِ الْكَوَارِثِ الْفَرَدِيَّةِ، وَتَأْمِينِ الْحَاجَاتِ الْمُتَوَقَّعةِ، فَهُوَ يُشَبِّهُ مَا يَدْخُرُهُ الرِّجَالُ الْمَالِيُّونَ الْيَوْمَ فِي (شُرُّكَاتِ التَّأْمِينِ) وَ(صَنَادِيقِ الضَّمَانَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ) غَيْرُ أَنَّ الْإِسْلَامَ بِفَكْرَتِهِ الْعُمِيقَةِ الْوَاسِعَةِ فِي رَدِّ الْأَخْطَاءِ وَالْخَطُوبِ، وَمُعَالَجَةِ الْمَشَاكِلِ السُّودَاءِ بِكُلِّ بُسَاطَةٍ وَهَدْوَةٍ لَا يَقْرِرُ الصَّنَادِيقُ وَالشُّرُّكَاتُ كَيْ تَشْغُلَ شَعْبًاً، وَتَكُونَ مُشَكَّلَةً وَتَبَدَّدَ ثَرَوَةً، وَانْتَهَا يَفْصِلُ الْحَقُّ الْمَعْلُومُ مِنْ ثَرَوَةِ الْإِنْسَانِ، وَيَدْخُرُهُ عَنْهُ، لِيَسْهُلَ ادْخَارَهُ وَاسْتِرْجَاعَهُ.

بَيْنَ الزَّكَاةِ وَالضَّرَائبِ :

وَهُنَّاكَ حَقِيقَةٌ مَاثِلَةٌ يُجَبُّ أَنْ تَنْتَشِبُ بِهَا، لِنَقْفُ عَلَى تَامَّ فَلْسِفَةِ الزَّكَاةِ، وَمَدْى الدِّقَّةِ وَالْحِكْمَةِ فِي تَشْرِيعِهَا، تَلْكَ هِيَ الْمَقَارِنَةُ بَيْنَ الزَّكَاةِ وَالضَّرَائبِ الْوَضْعِيَّةِ .

و قبل تلك علينا ان نعرف فلسفة الضرائب، والهدف المنشود من ورائها، وذلك هو الاحتفاظ بتوزيع ثروة الشعب على افراد الشعب توزيعا عادلا، في نطاق تكافؤ الفرص، وصيانة حق الحياة للجميع، وحيث ان طبيعة الثروة ان تتكدس في جانب، وتقلص عن جانب، تبعاً للعجز المؤقت او الدائم: العجز البدني او الفكري حيث ان طبيعة الثروة وتكافؤ الفرص، يبعثان على اختلاق ثروة عاتية الى جانب فقر ذريع، وجب ان تؤخذ من الاموال المتضخمة - فقط - حرصا لمعالجة هذه المشكلة، وتأمين الحاجات الناتجة من العجز فقط وايضا لتأمين الحاجات العامة، والمشاريع الحكومية العامة التي تمثل مطاليب مجموع الشعب ...

فأذن تختصر- فلسفة الضرائب في تأمين حالات العجز، وتأمين الحاجات العامة. هذه هي النقطة المركزية في فلسفة الضرائب ولا غير .. فلننظر هل الضرائب تؤدي هذا الهدف المنشود منها؟ ام انها اغلال فرضت على الشعب دون ان تحمل فكرة، او تنتج هدفا؟ وهل الزكاة ادت مسؤوليتها كاملة؟ او ابرهضت بحملها .؟؟.

تكفينا الجواب عن كل ذلك جولة مع التاريخ في شعوب الزكاة وشعوب الضرائب الوضعية :

يمدحنا التاريخ ان امير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كتب الى عامله عثمان بن حنيف «...ولعل بالحجاز أو اليهامة من لاطعم له في القرص ولا عهد له بالشبع...». وذلك يدل على ان امير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان واثقا من عدم وجود الفقر في ما سوى هاتين المنطقتين، في الوطن الاسلامي الكبير ..

ولقد ارسل ولی الصدقات بأفريقية الى عمر بن عبد العزيز يقول له: لم يبق فقير محتاج في افريقيا، وبيت مال الصدقات متلىء، فارسل اليه عمر بن عبد العزيز ، يأمره بان يسدد الديون عن الغرماء، فسدد الديون عن المدينين، ثم ارسل الى عمر ايضا بأنه ما زال بيت المال يغص بالصدقات ، فارسل اليه عمر، ان يشتري بها العبيد، ويعتقها، حتى اذا فعل ذلك لم تنفذ الصدقات، فوجدها الى عمر نفسه ...

ثم ان تاريخ الاسلام كله لم يسجل انسانا واحدا مات من الجوع فقراء .. كل ذلك رغم ان منابع الثروة - في بدء الاسلام - لم تكن بوفرتها اليوم، وانما كانت ركيزة بيت المال الزكاة فقط .

اما الخمس والجزية والخراج و ... فلم يكن لها الا دور ضئيل ، ومسارب معينة، فكانت الزكاة وحدها تنظم الحياة الاقتصادية العامة، رغم ان المجتمع الاسلامي - ذلك اليوم - كان في دور الطفولة، وكانت تختلف فيه عملية الهدم والبناء، وكان الترميم الاقتصادي يقوم على انقاض الفوضى الجاهلي او الفارسي او الرومي ، وفي مثل هذا الدور يصاب الاقتصاد بشنج واضطراب مربك وكان الاقتصاد الاسلامي يسخر من هذه العراقيل والصدمات المعاكسة، ويهزأ بالحروب الطاحنة التي كانت تشنها اعداء الاسلام على المسلمين، وكانت جديرة بأن ترتكب بها الحياة الاقتصادية الناشئة على أسس جديدة لم يمارسها الشعب الا منذ فترة الانتقال، من الفوضى الملؤن الى الاسلام ... اضافة على الانحصار الاقتصادي، الذي طوق الجزيرة ، من جراء قطع العلاقات مع الدول

القوية، المحدقة بها، وأولئك الزعماء المترفون الذين كانوا يبددون الملايين .. والملايين .. بين عشية وضحاها^(١) ويخصصون خراج دولة بкамله لخارية^(٢) ويبعثرون مئات الآلوف بين الشعراء^(٣) والفتیان والغلمان .. كل هاته الضربات النابية لم تهد في كيان الاقتصاد الإسلامي، بل صمد امام هذه المعاول، واجتاح المعاول، دون ان يتأرجح بنفسه، وذلك ما يكشف عن تركيز، وأصلالة فائقة في هذه الضريبة الإسلامية (ان صح التعبير) : الزكاة .

اما تاريخ الضرائب الوضعية ، فهى تشهد مصارع عشر-ات الآلوف من القراء الذين يموتون جوعاً وعرضاً، كل عام ... وهذا اقوى حجة على فشل نظام الضرائب .

ثم ان موارد الدولة - بما فيها الضرائب - يجب ان تسد الفراغ الهائل بين الطبقات، ويکشح البلاء الفاجر للبشرية جماء، ويکمل النواقص في الحاجات العامة، وذلك ما لا يكون، وحتى ان الضرائب لا تستطيع ان توقف مأسى الاقتصاد عند حدتها، فنحن نرى النواقص تتزايد، والطبقات تقسو، والفقر يتآزم، يوماً بعد يوم .. وهذا دليل اخر على فشل نظام الضرائب ..

(١) صنع محمد الامين للهواء سفيتين احداهما على صورة الاسد والآخر على صورة النمر، بثلاثة ملايين من الدنانير.

(٢) خصص الرشيد خراج مصر كراتب اضافي لزوجته زبيدة.

(٣) ابو اسحاق المغني مدح الامين ببيتين من الشعر، غنى بهما امامه فوهب له مليون ديناراً. ومن قبل ذلك مدح الرشيد بقصيدة فأجاز بـ ٦٠٠ الف دينار.

ثم ان دول الضرائب تحتجز كثيرا من موارد الثروة المشاعة للجميع على قدر حاجاتهم، ثم تبيعها عليهم . وذلك مورد ثري يتورع عنه الاسلام ورغم ان الزكاة ليست الا ١٠٪ او ٥٪ في الغلات الاربع وما يتراوح بين ٣٪ - ٦٪ في سائر الاشياء .. ومم ذلك ينھض الاسلام بكفالة شتى الضمانات الاجتماعية والفردية .. والضرائب التصاعدية ربما تبلغ ٩٦٪ ، والضرائب تفرض على كل شيء، حتى على الارث، وعلى الاموال التي تعبر الحدود باسم ضرائب الجمارك والمكوس ، وربما تتكسر على البضاعة الواحدة كلما انتقلت من يد الى يد ..

والضرائب - منها كانت صورها - توجب الغلاء، لأن التجار او المستورد او صاحب رأس المال، يقدر: انه يجني من بضاعته ربحا معينا، لا يتجاوز ٢٠٪ - مثلا - فاذا فرضت الضريبة على تلك البضاعة، بنسبة ٨٠٪ فانه لا يلغى ربحه، وانما يضيف الربح والضريبة على أصل رأس المال، فيبيعه بضعفى الثمن العادل لهذه البضاعة ..

اما الزكاة فانها تفرض على الناتج - في الغلات الاربع - بعد إخراج سعر البذر، وأجرة الارض، وسائل التكاليف - كما هو المشهور - فلا توجب الزكاة ارتفاع الاسعار، وانما تقلل قسما ضئيلا من الناتج، فلو كان المأمول ان تشرن التحيل ١٠ اطنان من التمر، فان الزكاة تجعله ٩ اطنان ..

تعاليم للعجبة:

والاسلام - بنظراته العميقه الوعائية - يرى ان استخدام العنف والقسوة في جمع الزكاة، عجز وهروب مواجهة الحقائق الراهنة، فان الزكاة إنما فرضت

لتكميل النواقص، وتلك النواقص غضبات الفقراء الشائرة فعندما يحاول الاسلام إطفاء تلك الغضبات يجب ان لا يلهب مكانها غضبات اخرى، هي غضبات الاغنياء، لأن الزكاة اذا اخذت منهم بالعنف والارهاب فسوف تشور حفائظهم، ولا يقفون مكتوفي الايدي تجاه التعذيب والارهاق. لذلك يكتفى الاسلام بأن ينذر مانع الزكاة بعذاب الله الاليم وحسب، ثم يفوض اليه الامر فله ان يتولى بنفسه اعطاء الزكاة الى من شاء من الفقراء، او ان يدفعها الى جبة بيت المال ليوزعه الامام او نائبه كما يرى، فاذا جاء الجاني الى صاحب الغلات او النقادين او الانعام عرض عليه اخرج الزكاة، فلو قال: ليس في مالي زكاة، صدق، وان اعترف ان في مالي الزكاة، لكن اعتذر بأنه سيدفعها الى الفقراء، او دفعها من قبل، قبل كلامه ...

كما نجد هذه التعاليم الحكيمة في كلام على امير المؤمنين علیه السلام ، فعن ابي عبد الله الصادق علیه السلام قال : «بعث امير المؤمنين علیه السلام مصدقا من الكوفة إلى باديتها، فقال له: يا عبد الله انطلق ، وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له، ولا تؤثرن دنياك على آخرتك ، وكن حافظا لما اثمنك عليه ، راعيا لحق الله فيه ، حتى تأتي ، ناديبني فلان ، فإذا قدمت فأنزل بما لهم ، من غير أن تخالط أبياتهم ، ثم أمض إليهم بسكنينة ووقار حتى تقوم بينهم ، ثم قل لهم : يا عباد الله ، أرسلني اليكم ولِي الله ! لاأخذ منكم حق الله في اموالكم ، فهل في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ؟ فإن قال لك قائل : لا ، فلا تراجعه !! ، وإن أنت لك فهو منعم فانطلق معهم ، من غير أن تخيفه ، أو تتعده إلا خيرا ، فإذا أتيت ماله ، فلاتدخله إلا بإذنه ، فإن أكثره له ، فقل : يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك ؟

فإن أذن لك فلا تدخله دخول مسلط عليه فيه ، ولاعنف به ، فاصدع المال صدعين ، ثم خيره أي الصدعين شاء ، فأيتها اختار فلا تعرض له !! ثم أصدع الباقي صدعين ، ثم خيره ، فأيتها اختار فلا تعرض له ، ولاتزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله ، فإذا بقى ذلك فاقبض حق الله منه ، وإن استقالك فأقله ، ثم اخلطها ، واصنع مثل الذي صنعت أولا حتى تأخذ حق الله من ماله ..».

بالتالي ! هل يوجد في الأرض على وجه الأرض كهذه الفسقية - لو صح التعبير - ؟ وهل في شرق الأرض وغربها دولة تعترف بكرامة الأفراد ، كأعتراف الإسلام بها ، إن الغني الذي عليه الزكاة إنسان تحمل المصاعب ، واهدر الجهد السخي ، حتى استطاع أن يحصل على مال فائض ، تفرض فيه الزكاة فالزكاة إذن ليست الا شطرا من كده وعرقه ، واضافة على ذلك فهو واحد من أفراد الشعب ، الذين وجدت الحكومة لحماية مصالحهم ، فليس من الصحيح ان يعنف في اعطاء الزكاة . وهو مصدق لو قال : أخرجت زكاة اموالي ، لانه مؤمن بالله والدار الآخرة ، والاسلام قد ارهق عواطفه ، حتى ان يتطلع بحر امواله في سبيل الله ، فهو مصدق في كل ما يقول ...

وبعد ذلك فالاسلام لا يسمح لاحد ان يتغىظ حقوق الفقراء ، فلو تم رد شخص على فريضة الزكاة ، وابى ان يدفعها ، يشهر الاسلام سيف العذاب في وجهه ، ويديقه حرارة الحديد في الدنيا قبل الآخرة . ولكن الاسلام في تلك التعاليم يحاول ان يربى المجتمع على الامانة ، والصدق ، ولذلك لا يبتدر باتهام

الناس بالكذب، والخيانة، حتى يقرروا على انفسهم هذه الجريمة البشعة، فينطلقوا في الارض بتكرارها، وتحقيق الجرائم في اعين الناس، فالاسلام يحاول ان يبرز الجرائم في صورة نكراء يستقدرها الجميع، كى لا يرتكبوها، اما اذا علموا : انها جريمة يمارسها كل فرد يسمحون لانفسهم بارتكابها.

الخمس

مصادر الخمس:

سبعة اشياء تستدرك ما ليس فيه زكاة .. ومقداره عشرون بالمائة وهو اضخم

بكثير من اموال الزكاة!.

الموارد السبعة:

أ- غنائم الحروب ... وما تخلفه جيوش الكفر في ساحات الحرب وميدانين
القتال .. سواء اكانت من المنقولات : التي يحويها العسكر ام من العقارات
: تهزم عنها المشركون!.

ب- المعادن : التي يتصرف فيها المسلمون.. متى زادت على خمسة عشر مثقالا
صيرياً من النضا ... من غير فرق بين ما كان منها على سطح الارض:
كالملح. الياقوت. الزبرجد. العقيق. الكحل. او في بطنها المغلفة:
كالبترول. الغاز. الزفت. الكبريت. المرمر... يخرج الخامس من الفائض
الصافي بعد استثناء جميع تكاليف الحفر والاذابة ، والعمال المهنديين...!.

ج- الكنز .. من الاموال: التي تدخر تحت التراب .. او في الاسطوانات
والسقوف، للحفظ من الاقارب الفاجرة واللصوص الزاحفة حتى يموت
عنها المالك، وتختلف عليها الايدي، وتمحي الآثار، او كانت في الموات،
حيث لا يستدل على مالكه بشيء...اما اذا كانت عليها عالمة الاسلام، او
كان للارض ملاك، فيجب المراجعة اليهم، حتى يعلم بعدم وجود مالك
شرعى لها!.

د- ما يستخرج من الارض بالغوص : كاللؤلؤ . المرجان . العنبر . اذا بلغت
قيمتها الدينار !.

هـ - المال المختلط بالحرام .. فيما اذا لم يعلم مقدار الحرام، ولا ملاكه الشرعيون ،
و عند احتمال معرفة المالك الشرعي يجب الفحص حتى اليأس !.

و - العقار : الذي يشتريه الذمي من المسلم !.

ز - الفائض من ارباح، بعد اخراج جميع النفقات الواجبة عليه، لنفسه وعياله
... بل والتكاليف المستحبة والمبادرة ... ومصارف الحج والاسفار غير
المحرمة .. و مختلف انواع الزينة والكماليات، ما لم تكن من الترف
والتبذير !.

توزيع الخمس:

تقرر الآية الكريمة ذلك:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَنِمَتْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَيْرُ الْمُبِينُ وَلِرَسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمُسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(١).

فهو اذن يوزع ستة اقسام : ثلاثة للله ولرسول ولذى القربى، وجميعها تترجم
إلى الامام ومن بعد إلى نائبه الخاص، ثم العام .. يصرـفها في شؤون المسلمين ...
والثلاثة الأخيرة، لليتامى والمساكين وابن السبيل ، من ابناء هاشم ..

ومتى قصرـت حصصهم عن كفاءاتهم، سده الامام علـى الله من حقه ! . و اذا
زادت تلـحـق بحصة الامام علـى الله في تأمين المصالح العامة.

الجزية:

والاسلام يفرض الجزية على اهل الكتاب : اليهود ، والنصارى، والمجوس :
الذين هم في بلاد الاسلام، ولم يسلمو! ولكنهم يحتمون بالحكومة الاسلامية !
فالاسلام يفرض على الرؤوس او الاراضى مقدار من المال – بایسم الجزية –
وليس لها حد محدود، بل هو موکول الى رأي الامام عندئذ ! يقرره على وفق
المصالح المشتركة بين المسلمين ،

وتلك بدل عن قيام الدولة الاسلامية، بمصالحهم، وكف الاعتداءات عنهم!
فالاسلام يقوم بواجبات المسلمين والذميين على حد سواء! فياخذ الزكاة من
المسلمين، والجزية من الذميين ... فالاسلام انما يأخذ الجزية لصرفها في مصالح
انفسهم .. فله الفضل عليهم في ايوائهم، ودفع الاذى عنهم، من الخارج
والداخل ... وهذا النوع من المحافظة على الاقليات ما لم يعرفه العالم .. لا قبل
الاسلام ولا بعده! مع ان اهل الكتاب كانوا من الدّاعدين للإسلام في بدء انبثاق
الدعوة . حتى اليوم اصبحوا قذى في عين المسلمين : يكيدون لهم من الف
باب..!

الانفال:

(ويسئلوك عن الانفال! قل : الانفال لله والرسول...) والانفال ملك
للنبي ﷺ ثم للامام من بعده.. والنبي والائمة علیهم السلام لا يستاثرون بشيء من
اموالهم حتى يفرقوه بين المسلمين، او يوفروا به على بيت المال..! والأنفال
خمسة:

ا - الاراضى : التى يملكونها المسلمون، دون ان يرجعوا عليها بخيل ولا ركاب
... ولكن صولحوا عليها من غير زحف وقتل ! او ابخل اهلها وسلموها

للمسلمين رهبة او طواعية ..!

ب - الاراضى الموات القاحلة الجرداء: التى ليست عليها يد، من الفيافي والماواز
والقفار !.

ج - شواطئ البحار.

د - رؤوس الجبال، وما بها من معادن وكنوز !

ه - بطون الاودية والآجام وما فيها ...

غير ان الائمة عَلَيْهِمُ الْكَلَمَةُ أبا حوها - في غيبتهم - لشيعتهم ...

مال الخراج: ^(١)

ان الاراضى المفتوحة عنوة وبالسيف، تعتبر ملكا مشاعرا لجميع المسلمين،
حتى يوم القيمة ! ويمثلهم النبي ﷺ ثم من بعده الامام عَلَيْهِمُ الْكَلَمَةُ وفي وسعه ان
يؤجر السواد والبياض بما يراه مصلحة .. كما فعل النبي ﷺ بخيبر ، حين
فتحت، فاعطاها اليهود بالنصف في الحاصل !.

(١) نشرت بنود من هذا الكتاب في نشرة (اجوبة المسائل الدينية) التي تصدرها لجنة الثقافة
الدينية في كربلاء الدورة الثالثة العدد الثاني عشر، وهي كل من العناوين: (مال الخراج.
المقاسمة. وظائف بيت المال الهبات الصدقات غضبة وتشكر . حكمه الصدقات
صدقات شتى) .

هذا هو الخراج ويسمى ايضاً بـ(قبالة الارض) فالخراج والقبالة تكونان على
الارض اليابسة البيضاء، والبساتين والمزارع .. !

المقاسمة:

وتكون في الارض المفتوحة عنوة - مثل الخراج - ولكن الامام يؤجر
الاراضي الزراعية، بقسمة معينة من الحصيد .. ! والخراج والمقاسمة إنما يكونان
بدلاً من الزكاة. ! اما اذا اسلم أهلها عليها - كالطائف - فهم يدفعون الزكاة
فقط . ! اما الذين لا يطالبهم الاسلام بالزكاة، وهو مسؤول عن تأمين حاجاتهم
الجماعية، فيطالعهم بالخراج والمقاسمة، لصرفها في نفس مصالحهم، في اطار
مصلحة المسلمين، كما ينص عليه النبي ﷺ بقوله : «.. لا يجتمع خراج، وعشر.
- زكاة - في ارض مسلم» تلك هي موارد بيت المال.. ! اما

وظائف بيت المال:

فهى نفس تلك الشهانية: التي بيناها - آنفاً - في مصارف الزكاة وهى .. إعالة
الفقراء . والمساكين والموظفين وابن السبيل . والمؤلفة قلوبهم . وإطلاق الغارمين
وفي الرقاب . ! وفي سبيل الله، وتلك الكلمة تنطبق - في كل عصر- ومصر- - على
الصالح العام، وتشمل بناء التغور والثكنات، وتشييد المحاكم ومدارس،
واستيراد المصانع والمعامل، وارسال البعثات العلمية، واللجان والوفود لجمع
المعلومات الحديثة، وإنشاء القواعد، وتهيئة العتاد، وتعبئة اللوازم لمكافحة
المرض، والمجاعة ، والطوفان، والفيضان، والزلزال.. وكل شيء يكون من
صالح المسلمين .. !

محاربة الفقر والرأسمالية:

من ذلك كله .. تبدو طريقة الاسلام في مكافحة الفقر والرأسمالية صريحة صارخة : لا تشويبها الغياب والتمويهات .. فان تلك الموارد : التي حرمتها الاسلام الربا . الاحتياط . المكاسب الحمراء . هي العلاقات : التي تتضى دماء الشعوب بصمت وصمود .. لتفرغها في كؤوس المترفين مرة واحدة .. ولو لاها لا ينشب الفقر ولا تزداد الرأسمالية !

ومن بعد ذلك الحقوق الشرعية الستة : التي يجبيها بيت المال من المشرين، ليضيفها على المساكين، كفيلة بتحقيق العدالة الاقتصادية الى حد بعيد ... !

ولكن الاسلام يفقه : ان الشاب اليقظ الملي لـو استخدم جميع مواهبه، واستنجد بطاقة غيره، في سبيل التجارة خمسين عاما، لحصل على ثروة ربها يخل بالتوازن المنشود، فـيلزم بـحكم العدالة الاقتصادية: تأسيس:

نظام الارث:

فـانه من العوامل الدائمة على توزيع الملكيات الكبرى، وتحطيم كتلتها. اثلاثا، وارباعا، وسداسا، واثمانا ..

واول ما يلاحظ الاسلام في تقسيم التركة : ان يجعله اجباريا بالنسبة للوارث والمورث .. ! فليس للمورث سلطان على ماله بعد وفاته، ليعمل بنظرته الطائشة، في ايشار البعض، وحرمان الآخرين، حسب ما تقتضيه احقاده الثائرة وافكاره الهوجاء ساعة الاحتضار..! وحتى معاملاته الغبية - في مرض الموت - تعتبر باطلة، لأنها - كثيرا ما - تلاحظ فيها المصالح والمفاسد الشخصية، وتتبعت

لتناقض التوريث الشر-عي ! الا في الثالث فلللمورث السلطة عليه، ليتدارك
تقصيرا دينيا او دنيويا فإنه - في سورة حياته - ويحاول الان استدراكه .
وكذلك الوارث ليس له الحق في ان يطلب الزيادة من حقه .. انها هو ملك
مقدر، فعليه ان يقبلها طوعا او كرها ..

ويتولى الحاكم الشر-عي توزيع التراث كله - ان لم يوص - والثلاثين - ان
اوصى - بموجب المقررات الشر-عية، على نحو لا تخرج التركة عن نفس
الاسرة .. الا اذا لم يكن هناك وارث فامواله تنتقل الى بيت المال لجميع المسلمين .
ويولى على حخص الاطفال والسفهاء، وغير الراشدين - من نفس الاسرة
او غيرها - من يتولى التصرف على غبطة المتولي عليه، بارشاد الحاكم، ورقابة
الناظر ..!

توزيع التركة:

ويقرر الاسلام توزيع التركة على فكرة دقيقة عميقة: لم تستعد الامم الاخرى
- بعد - لان تتلقى عنه هاته الحكمة .. ! فبعض دول اليوم تأخذ من مجموع
التراث ٨٠٪، والبعض الاخر ٩٥٪، والثالثة ٨٥٪ ثم يقسم الباقي في الورثة
بقانون جائز مضطرب .. او يستأثر به الولد الاكبر فقط - كما كان من رسم
الجاهلية - ! وذلك ما اثار حزب العمال الانجليزي على ان يطالب في برنامجه
الاشتراكى : بتطبيق نظام الاسلام في المواريث ! وأخذت الدولة السوفياتية
تطبق ما يشبه نظام الاسلام في التراث بعد استثناء حخص الدولة .
وتعتمد الفكرة الاسلامية في توزيع الارث على ثلاثة دعائم .

١ - اىثار الاقرب الى المتوفى على غيره ، مع ملاحظة تفتيت الثروة فعمود النسب اقرب من الحواشى ! فالاب والام والزوجة .. والاولاد واولاد الاولاد - الاقرب فالاقرب - دون تفرقة بين الصغير والكبير هم الطبقة الاولى ! . فان فقدوا جميما تأقى نوبية الطبقة الثانية ، وهم الاجداد والجدات - الاقرب فالاقرب - والاخوة والأخوات ، فان فقدوا فالطبقة الثالثة .. وهم الاعمام والعمات ، والاخوال والحالات وهكذا ...

ب - ملاحظة الاحتياج الى المال - نوعا - ولعل ذلك هو السر - في زيادة نصيب الاولاد على حصة الابوين - فالاولاد لا يأخذون اقل من النصف ، عندما الأبوان لا يأخذان اقل من الثلث - فالغالب في الابوين : ان يكون هما من فضل المال ما يتقوثانه ... و حاجاتهما ضئيلة جدا ، و هما يستدبران الحياة .. بخلاف الذرية الضعاف الذين يستقبلون الحياة بحاجاتهم الكثاث ، من ضرورات التعليم والولي وعدم الكفاءة .. وذلك ما جعل للذكر ضعف الانثى ! فالذكر يطالب بعيشة وعيشة نفر - في الغالب - والانثى مكفولة للاخرين ..

وهذه الملاحظة تجعل الحبوة - : وهى مختصات الاب - لبكر الذكور ، جراء ما تقع عليه من قضاء فوائت الاب : كالصلة والصيام وتكليف الاسرة التي يصبح لها أبا .. !

ج - عدم الاستئثار في جانب ، والحرمان في جانب ، فليس الميراث للولد الاكبر فحسب ! ولا للبناء دون البنات ! ولا للاولاد دون الاباء والازواج . !

خاتمة

هذه لمحات عجلی .. من اقتصاديات الاسلام، اقتطفناها بنظرات عابرة ..
كمناذج : تحکی الجم الرحیب . ! لنقايسها بشتى الاقتصاديات السائدۃ - في
انحاء العالم - هل فيها ما يعادل هاته الافكار العادلة .. ؟ ام انها - جمیعا - رملة
میثاء ، الى جنوب مسابح النجوم . ؟؟ والقاريء هو الحكم . ! وضمیره الرقیب .!
شريطة ان لا یحرفه الجلب ، والضوضاء !!!

نهاية المطاف:

ان مهمة النظام الاقتصادي - أیا كان - أن ينشط في الشعب روح استغلال
منابع الثروة، واستنفاد الخامات والطاقة المعطلة الدفينة ، ثم يوزع بمجموعة
الثروات، على مجموع الشعب، بصورة عادلة، وطبيعية - في نفس الوقت - حتى
لا ينقسم المجتمع الى طبقات متباعدة، بل يكون اشبه بالطبقة الواحدة، دون ان
يتوصل النظام في سبيل ذلك، الى العنف والارهاب، بل يوقد في جميع الافراد
حب العمل، ومجاهدة الترف، ويحسن توجيه الناس، حتى یسيرا و بأنفسهم على
الخطة المرسومة لهم، دون اي مسیر یرغمهم على الانسلاخ من طبائعهم
وعواطفهم .. اما النظام الذي یضطهد الشعب ليتبع خططه وبرامجه، فهو نظام
فاشل، لن یكتب له الخلود لأن النظام الذي یقهر الشعب كل الشعب على
معاكسة طبائعه، لا یكون موضع التقديس ومصب الحب والاجلال، بل یعرفه
الناس عدوهم الوحيد فلا یتوانون عن محاربته، والنظام الذي یقاومه الشعب
كله، ولا یتمتع بولاء الجماهير لن یستطيع من الاستمرار في تنظيم الاجتماع ،
ويتحطم على صخرة الحقائق في اقرب فرصة سانحة تتخلى عنه القوة .

تلك هي قضية النظم الاقتصادية، فما كان منها منتزعاً من واقع الاجتماع، ومنسجها مع طبائع الأشياء، فهو النظام الصحيح الذي يصلح لتنظيم الحياة الاقتصادية، وما كان منها نسيج أحلام وأطامع أفراد حاقددين من اعداء الإنسانية والشعوب، فهو نظام فاشل: يفسد ولا يصلح . لأن الفشل في النظام لا يعني عجزه عن السيادة والسيطرة، فربما يكون النظام فاسداً يقاومه الشعب بمختلف عناصره ودوافعه، ورغم ذلك يسود طيلة سنين، بواسطة استخدام القوة وخنق الأصوات الناقمة المتحدية له، ولكن سرعان ما تتشيب القوة، فيذوب النظام تحت غضبة الشعب ولعائمه الماء.

فمقياس النجاح في النظم الاقتصادية، ليس إلا كونه مستلهمًا من واقع الحياة الاقتصادية، وقدراً على معالجة مشكلة الطبقات وأصحابها في طبقات متقاربة – لا تمايز بينها إلا باختلاف الاعمال والافكار – بكل عفوية ومرونة حكيمة . وبالتالي أن لا يدع الثروات تتضخم في جانب وتختسر في جانب فيصاب الأغنياء والفقراء بأوبئات أو هنها الانتحار والاغتيال .

وبعد ما اتفقنا: أنا وأنت على هذه الحقيقة نستطيع أن ندرك مدى الفشل في النظم : الاقتصاد الرأسمالي، والاقتصاد الشيوعي ، والاشتراكى الروسى الليبىنى ، والاشتراكى الفاشى ، والاشتراكى النازى ، والبعثى ، والديموقراطى ، والبريطانى ، والهندى ، وسائر الاشتراكيات المختلفة الفاسدة فانها – جمياً – لم تقدر على الغاء الطبقات ، وتوزيع ثروات البلاد على كل فرد فرد ، توزيعاً عادلاً حسب معدل عام ، قوامه تكافؤ الفرص ، وتعادل الجهد والجزاء بل ظلت

الكثرة الهائلة من الطاقات معطلة، تولد وتموت وتتبر في الأرض، دون ان يستغلها النظام، وبقيت الشروات - كطبيعتها الأصلية - تقلص ذيولها بسرعة خيالية، عن الأسواق والآيدي والأفواه لتنكمش وتنتكدّس في المخازن والبنوك والقصاصات، تحت أيدي افراد معدودين هم الاغنياء في النظام الرأسمالي، والحزب الشيوعي في النظام الشيوعي والاشتراكي الروسي، وافراد الدولة في سائر الاشتراكيات.

وأضاف على ذلك كله لم تستطع هذه النظم ان نفتح طرقها للتطبيق الا بإلغاء الاديان والاخلاق، واباحة الفساد والاستهتار والمجون، وتحطيم الاسر باستخدام النساء والأولاد، واستعمار البلاد الآمنة الوديعة، واسعال نيران الحروب ... كما تكشفت هذه الحقائق في ذلك العرض الموجز لتلك النظم، وما اصاب المجتمع من مأسى وويلات ...

أما الاقتصاد الاسلامي فهو النظام الوحيد الذي استطاع - بكل هدوء وحكمة ورزانة - ان يوجه الشعب توجيهها راسدا، يحفزه على استخراج الطاقات وإثارة المواهب والصلاحيات، وتوزيعها على مجموع الافراد : فردا فردا، توزيعا عادلا عفوييا طبيعيا، حتى لم يبق في الدولة الاسلامية الرحيبة، فقير يقبل الصدقات ، فانهارت الطبقات بنفسها، واصبح المجتمع الاسلامي الكبير اشبه بالطبقة الواحدة رغم ان الاسلام بنفسه دين، واقر سائر الاديان - في نطاق عادل - وحث على الالتزام بالأخلاق والفضائل، وحرر النساء عن العمل المضني خارج البيت، واعفى الاطفال لينطلقوا في حياة الطفولة، حتى يرشدوا

ويبلغوا أشد هم، وتفتل عضلاتهم المفعمة قوة وحرارة، وشوقاً إلى العمل .

كل ذلك دلالة مجردة على فساد وفشل النظم الاقتصادية الحاضرة والبائدة كلها، ونجاح الاقتصاد الإسلامي، وصلاحيته للعودة إلى الحياة التطبيقية.

حسن السيد مهدي الشيرازي

كربالاء ١٣٨٠ هـ

اعذارات

كان من المقرر أن ننشر كتاب : الاقتصاد ، والاسلام أمل الشعوب ولا سلام إلا في الاسلام في غلاف واحد هذا وقد كتبت في الاقتصاد الاسلامي مقلا فأدلى قسما منه الى الطبع على ان أتمه ككتيب لا يتجاوز الشهرين صحيفة وكان ذلك قبل دراستي للإconomics دراسة عامة فكانت الدراسة والكتابة في وقت واحد ، حتى أصبح الكتاب هذه الصحائف ، التي لم تترك مجالا للكتابين الاسلام أمل الشعوب . ولا سلام الا في الاسلام ولعل الله يوفقنا لنشرـهما في وقت قريب . وقد صادف تأليف هذا الكتاب فترة مزدحمة بالمعاكسات والاحداث والأرzae ، فقد قارن فترة الثورة ، ووكل للأبحاث الموضوعية الدقيقة من الثورة . هكذا كان يمر على الاسبوع تلو الاسبوع دون ان أضيع حرفا على ورق . وقد كانت المطبعة تباريبي في الطبع ، وأباريها في الكتابة ، رغم إنها كانت تفوز على ، فكنت متى ستحت لي الفرص أكتب بعض الصحائف عفو القلم وجري الخاطر ، ثم أدلی بها الى الطبع من توه ، ولست أحاول ان أبرهن بذلك على شيء وإنما أريد ان افتح الباب على مصراعيه للناقدین ، كى لا يتهموا المؤلف .

المؤلف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

من المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

- البحار.....الشيخ محمد باقر المجلسي
- وسائل الشيعة.....الشيخ محمد حسن الحر العاملي
- مستدرك الوسائلالميرزا محمد حسن التورى
- رأس المال ج ١.....كارل ماركس
- رأس المال ج ٢.....كارل ماركس
- رأس المال ج ٣.....كارل ماركس
- بيان الشيوعيكارل ماركس وفريديريك انجلز
- الاشتراكية بين الخيال والعلمفريديريك انجلز
- الدولة والثورة.....لينين
- حول دور النقابات ومهماهالينين
- مرض الطفولة في الشيوعيةلينين
- حركة التحرر الوطني في الشرقلينين
- أسس اللينينيةستالين
- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخيةستالين
- بيان اللجنة المركزية الشيوعية في المؤتمر العشرينخروشوف
- الأرقام التوجيهية لتطوير الاقتصاد الوطني
- في الاتحاد السوفيتي لأعوام ١٩٥٦-١٩٥٩
- الحكومة الاتحاديةماتوسى تونغ

| | |
|---|------------------------|
| الوعي الإسلامي | ٣٢٠ |
| الزراعة السوفيتية..... | أنسيسیمون |
| دستور الاتحاد السوفيatic | |
| التعاليم الشيوعية..... | |
| النظام الشيوعي | Maher Nessim |
| الاشتراكية العملية نشوئها وتطورها | إبراهيم حداد |
| المذهب الاقتصادي بين الشيوعية والاسلام | محمد سعيد رمضان البوطي |
| النظام الاقتصادي في الاسلام..... | تقى الدين النبهانى |
| أسس الاقتصاد بين الاسلام والنظام المعاصر ابو علي المودودي | |
| تنقيحات | أبو علي المودودي |
| الحجاب..... | أبو علي المودودي |
| الربا..... | أبو علي المودودي |
| رسالة الثروة المعدنية..... | سعيد محمد عودة |
| لحات من تاريخ العالم..... | جواهر لال نهرو |
| العدالة الاجتماعية في الإسلام..... | سيد قطب |
| الإسلام والطاقات المعطلة | محمد الغزالي |
| الإسلام والأوضاع الاقتصادية | محمد الغزالي |
| الإسلام والمنهج الاشتراكيه | محمد الغزالي |
| شبهات حول الإسلام | محمد قطب |
| تنظيم الإسلام للمجتمع | محمد أبو زهرة |
| دع القلق وابداً الحياة | دبل كارنيجي |
| الإسلام في عصر العلم | فريد وجدي |
| مشاصل الطريق للشباب | سلامه موسى |

فهرس محتويات الكتاب

| | |
|-----|-----------------------|
| ١٣ | مقدمة الكتاب |
| ١٣ | الاقتصاد |
| ١٥ | تصدير: |
| ١٩ | الرأسماليون |
| ٨٣ | الرأسمالية الجديدة |
| ٩٣ | الاقتصاد الشيوعي |
| ١٣١ | حساب الشيوعية |
| ١٦٣ | الاقتصاد الاشتراكي |
| ١٨٩ | مناقضات الاشتراكية |
| ٢٤١ | مذاهب اشتراكية مبتورة |
| ٢٤٧ | الاقتصاد الإسلامي |
| ٢٦٣ | الجزاء بلا عمل |
| ٢٧٥ | برامج العمل |
| ٢٨٥ | الزكاة |
| ٣٠٣ | الخمس |
| ٣١٣ | خاتمة |
| ٣١٧ | إعتذارات |
| ٣١٩ | من المصادر |
| ٣٢١ | فهرس محتويات الكتاب |